حضارة الاسلام

مجلة فكرية جامعة

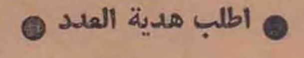


في هذا العدد :

● اطلب هدية العدد ●

عدد خاص

بفقيد الاسلام الدكتور مصطفى السباعي





إنّ لله عباداً قطعوا علائق الشهوات ، وأسرجوا مراكب الجدّ بصدق العزمات وامتطوا جياد الأمل ، واتجهوا إلى الله عزّ وجلّ ، وتزودوا إليه بصالح العمل ، مع إخلاص النيّة وتوسّلوا إليه بصفاء القلب وصدق الطوية ، فمروا بالخضرة الفاتنة مسبحين ، وبالحطب اللاهب مستعيذين ، ولم يعبؤوا بالعقبات ، ولم يلتفتوا إلى المغريات ، قد صانوا وجوههم عن الابتذال ، وطهروا أقدامهم من الأوحال ، استعانوا بالله على مشقّة الطريق فذلّل لهم صعابه ، وعلى بعد المدى فلملم لهم رحابه ، فلمّا اجتازوا الصعاب ، سألوا الله ففتح لهم بابه ، فلمّا دخلوه استضافوه فقربهم ورفع دونهم حجابه ، فلما استطابوا المقام بعد طول السرى قالوا : « الحمد لله الذي صدقنا وعده ، وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين » أولئك أحبّاء الله ، صدقوه لعهد فصدقهم الوعد ، ومحضوه الحبّ فمنحهم القرب .

مصطفى السباعي

بسم الله الرحمن الرحيم

حضارة الإسلام

مجلة فكرية جامعة

جمادى الآخرة، رجب ، شعبان ١٣٨٤ هـ	عدد خاص ٤ ، ٥ ، ٦ السنة الخامسة	تشرين الاول والثاني كانون الاول ١٩٦٤ م

عهد .. ووفاء

على مثل جمر الغضى يمسكني القدر المحتوم لأخط هذه السطور المتواضعة في مفتتح العدد الحزين الباكي من مجلة « حضارة الاسلام » .

وتأتي تلكم الكلمات بعد معذرة وعلى استحياء لتشعر بمسؤولية الوفاء بمتابعة الطريق ، طريق الاستاذ الرائد ، والعالم الصابر المجاهد ، الدكتور مصطفى السباعي صاحب هذه المجلة .

فلقد كانت الاعداد الماضية ـ وليتها لم تنقطع عن الامة اسبابها ـ يزينها وهي في حرارتها ومضائها فكرة المؤمن المستنير ، وقلمه الصادق المعبر ، واسلوبه البارع الموجه .

أما هذا العدد فيوشحه سواد الالم ، وتبلله دموع اللوعة وتحركه خفقات القلوب ، القلوب التي هزتها يد الفاجعة فحركت كوامنها واعتصرتها حتى الثمالة .

ومنذا الذي يزعم لنفسه ان الفراغ الذي تركه مصطفى السباعي في هذه الساحة يمكن أن تملأه كلمات تكتب كل شهر وقول يدفع الى المطبعة بين الحين والحين .

ولعل خير ما يذكر أمام هذه الحقيقة قول رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه : ((إنما الناس كالإبل المائة لا يوجد فيها راحلة)) .

ولكنه الحرص الصادق على أن تستمر هذه المجلة فلا تتوقف وان يتصل حبلها باسرتها الكبيرة من القراء فلا ينقطع أداءً لرسالة الاسلام والمعرفة ، ووقوفا عنـد امر الله في أن يؤدي العالم الامانـة ولا يكتم ما أنزل الله .

ولقد كنت وما زلت اعتقد أن هذه الطريق التي رسم معالمها مصطفى السباعي وغذاها بروحه وأعصابه ، وأثمن ما لديه من مواهب وطاقات تفتقر ــ بعد الاستعانة بالله ــ الى تعاون القلوب المؤمنة ، والعقول الواعية والنفوس المدركة . وان عناية الله معنا اذا كنا أمناء على متابعة السير بوعي صادق وادراك سليم .

لقد علمتنا عقيدة الاسلام أن الخلود لله عز وجل ، وأن كل من عليها فان ، وان كتاب الله ليعد بحسن الصبر عمن نفقد حسن العوض منه ، وانا لنستنجز الله وعده أن يهبنا ــ ونحن الضعفاء ــ قوة من عنده ورحمة من لدنه .

ألا وان اعلام الامة امتحان لأبناء الامة ، وحجة الله على عباده في مقدار استمساكهم بحبله المتين ، وصراطه المستقيم ، فكل واحد من هؤلاء الاعلام بشر من البشر ، ولكنه تعالى على حطام الدنيا ، وارتفع فوق ترابها وشهواتها فكان المنار الهادي والقدوة الأمين .

وما أبو حسان ــ طيب الله ثراه ــ الا واحد من هؤلاء الافذاذ ، فقد حمل راية العلم والجهاد صادقا مخلصا وصبر على البلاء وصابر حتى اختار الله له ما عنده وقبضه الى رحمته .

واذا كانت هذه المجلة في المقام الاول من الاهتمام عند الفقيد ، يوم كان بيننا فهو بها حفي أكثر من المال والولد ، ان الوفاء يقتضينا أن نجدد العهد على أن تتابع المجلة طريقها بالفكرة الواعية والكلمة الطيبة على هدي المعالم التي رسمها الاستاذ السباعي لخدمة دعـوة الاسلام في رسالتـه الانسانية المثلى .

فاللهم امطر فقيدنا العظيم وابل رحمتك ورضوانك ، وأنزل السكينة في قلوبنا حتى نبصر المعالم فلا نتعثر ، وهبنا من فضلك وعنايتك حتى تقوى سواعدنا على حمل الامانة ، وارزقنا اخلاصا في العمل وصبرا على وعورة الطريق ، واجعلنـا في مرضاتك على كل حال ... والحمـد لله رب العالمين .



من نور كتاب الله

قال الله تعالى في كتابه الكريم :

● « مِنَ المُؤمنينَ رِجالٌ صدقُوا ما عاهدوا الله عليهِ فمنهُم مَنْ قضى نحبهُ ومنهُم مَنْ ينتظِر وما بدلُوا تبديلاً »
« الاحزاب ٢٣ »

● يا عِبادِ لا خوفٌ عليكُمُ اليومَ ولا أنتُم تحزنُونَ الَّذينَ آمنُوا بآياتنا وكانُوا مُسلمينَ ادخُلوا الجنَّةَ أنتُمْ وأزواجُكُمْ تُحبرُون ، يُطافُ عليهِم بصِحافٍ مِنْ ذهبٍ وأكوابٍ وفيها ما تشتهيهِ الأنفُسُ وتلذُّ الأعيُنُ وأنتُمْ فيها خالِدونَ ، وتلكَ الجنَّةُ التي أُورِثتُمُوها بما كُنتُم تعملُونَ ، لكُمْ فيها فاكِهةٌ كثيرةٌ منها تأكُلُونَ » . (الزخرف ٦٨)

● « إنَّ الَّذينَ آمنُوا وعمِلُوا الصَّالحاتِ يَهدِيهِمْ ربُّهُمْ بإيمانِهمْ تجري من تحتِهِمُ الأنهارُ في جنَّاتِ النَّعيمِ ، دعواهُمْ فيها : سُبحانكَ اللهُمَّ ، وتحيَّتُهُمْ فيها سلامٌ ، وآخِرُ دعواهُمْ أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ » . (يونس ٢٩)

● يا أيتُها النفسُ المُطمئنَّةُ ، إرجعي إلى ربكِ راضيةً مرضيةً ، فادخُلي في عِبادي ، وادخُلي جنَّتي » . الفجر (٢٧-٣٠)

« صدق الله العظيم »

من هدي رسول الله

• عَنْ أَبي هُرَيرَةَ رضي اللهُ عنه أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: « إذا مَاتَ ابْنُ آدمَ انْقطَعَ عَملُهُ إلا مِنْ ثلاثٍ: صَدقةٍ جارِيةٍ، أَوْ عِلمٍ يُنْتفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صالِحٍ يدْعُوا لَهُ ».

(رواه مسلم)

• وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « لَنْ يَشْبعَ مُؤْمِنٌ مِنْ خَيرٍ حَتَّى يَكُونَ مُنْتهاهُ الْجنَّةَ ». (رواه الترمذي وقال حديث حسن)

• وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: « إنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ الْعلْمَ انتزَاعاً ينْتزِعُهُ مِنَ النَّاسِ. ولَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إذَا لَمْ يُبقِ عالِماً اتَّخذَ النَّاسُ رُؤُوساً جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضلُّوا وَأَضَلُّوا ».

(متفق عليه)

• وعن أبي الدَّرْدَاء رضي اللهُ عنه قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: « ... وَفَضْلُ الْعالِمِ على الْعابِدِ كَفضْلِ الْقمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكواكِبِ، وإنَّ الْعُلماءَ وَرثَةُ الأنبياءِ وإنَّ الأَنْبياءَ لَمْ يُورِّثُوا دِيناراً وَلا دِرْهَماً وَإنَّما وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍ وَافِرٍ. ». (رواه أبو داود والترمذي)

الأستاذ الدكتور مصطفى السباعي

أول عميد لكلية الشريعة ورئيس للجنة موسوعة الفقه الاسلامي كان رمز التضحية والايثار

للأستاذ مصطفى الزرقاء
رئيس قسم القانون المدني وأستاذ الشريعة الاسلامية بجامعة دمشق

لا اريد هنا بهذه الكلمة القصيرة أن اشيد بشتى مآثر فقيدنا العظيم النفس بل فقيد العالم الاسلامي اجمع ، تلك المآثر التي تستند الى مواهب جمة أسبغها الله تعالى عليه وجمعها فيه حتى كان بها وحده في قوة جيش من العاملين من مختلف الكفايات والمزايا العلمية والفكرية والادبية والنفسية والسياسية ، قلما ، ولسانا ، ونشاطا وعملا ، وايمانا ، واخلاصا لرسالة الاسلام العظمى الخالدة . ومعرفة بالزمن الذي نعيش فيه وبخصائصه ومقتضياته في أساليب العمل ، وبصيرة بالمقدمات والنتائج ، والبدايات والعواقب .

لا اريد ان اشيد بكل هذه المواهب التي جمع الله فيه منها ما لو فرّقه على كثيرين لكان لكل منهم نصيب يجعل منه شخصية لامعة ألمعية ، فان فيما تناوله كتاب هذا العدد من الحضارة ما يغنيني عن ذلك .

ولكني اريد ان اشير هنا الى مأثرة من مآثر الفقيد العظيم الاستاذ السباعي لا يعلمها الا القليلون من اخوانه ، ولا نزال نذكرها له بمزيد من التقدير .

لما أنشئت كلية الشريعة في جامعة دمشق منذ عشر سنوات تقريبا

وكان لفقيدنا العظيم الاستاذ الدكتور مصطفى السباعي الجهد الاكبر في مساعي انشائها ، وفضل ميلادها الذي استكملت به جامعة دمشق ركنا كان ينقصها ، عهد بالاشراف عليها الى لجنة ألفت بقانون وأعطيت بالنسبة الى كلية الشريعة سلطات مجلس الجامعة بالنسبة الى بقية الكليات ، وأعطيت علاوة على ذلك سلطة تعيين الاساتذة للتدريس في الكلية في جميع المراتب وبدون تقيد بالشهادات العلمية العليا المطلوبة في اساتذة الكليات الاخرى ، وذلك خلال فترة انتقالية مدتها اربع سنوات لاجل امكان تسيير الكلية في اول مرحلة لها دون ان تتعثر بالقيود والشرائط الجامعية التي ربما لا تتوافر عادة في مجالات الدراسات الشرعية والاسلامية .



الفقيد الكبير يلقي كلمته في حفل افتتاح كليـة الشريعة على المدرج الكبير

وكنا والاستاذ السباعي في هذه اللجنة وكانت الكلية قد ضاقت بانشائها في الجامعة صدور أناس كثيرين يحرصون على وضع العصي في عجلاتها ، وزرع طريقها بالاشواك لعلها تتعثر فتسقط عاجزة عن المسير من الاعياء تحت ثقيل الاعباء . وكانت أمامها مشكلتان .

الاولى ــ مشكلة العمادة التي ينبغي ان تكون لاحد كبار الاساتذة في الكلية ولم يكن في الكلية اساتذة بعد .

والثانية ــ مواجهة الضغط المتزايد على اعضاء لجنة الاشراف على الكلية من شتى الاصناف طمعا في تعيين بمرتبة عليا رأسا من مراتب الاستاذية في الجامعة استفادة من فرصة السلطة التي تملكها اللجنة في المرحلة الانتقالية ، ولا سيما ممن لا يحملون شهادات علمية تؤهلهم لهذا المقام الجامعي ولكنهم يرون ان كلية للشريعة يمكن ان يتغاضى فيها عن المؤهلات العلمية الرسمية .

وكانت اللجنة تواجه هذا الضغط وتقاومه علما منها بأن هذا هبوط في المستوى العلمي الجامعي للكلية اذا تم فسوف يفقدها قيمتها التي انشئت لاجلها والتي نريد ان تكون بها على قدم المساواة مع سائر الكليات العلمية الاخرى في الجامعة ، وسوف يجعل منها تكأة لمن يريدون ان يقفزوا على اكتاف اللجنة الى مراتب في الاستاذية هم بعيدون عنها ، وهذا ما يضرب سمعة الكلية في الصميم .

ولكن نقطة الارتكاز في كل هذه المقاومة الحكيمة يجب ان تبدأ من ايجاد استاذ جامعي لائق يقبل ان يترك كليته ويأتي عميدا لكلية الشريعة التي هي في مهب الرياح لا يعرف مصيرها بعد ، دون ان يتطلب قفزة من مرتبته الى مرتبة أعلى .

وكان الاستاذ الدكتور مصطفى السباعي قد تم تعيينه قبل فترة قصيرة استاذا اصيلا لمادة الاحوال الشخصية في كلية الحقوق . واني لاعترف وانا اغض من بصري انني انا والاستاذ الدكتور معروف الدواليبي من اساتذة الشريعة الاسلامية في كلية الحقوق لم نقبل ان

نضحي بمراكزنا في كلية الحقوق وننتقل الى كلية الشريعة لاستلام عمادتها ، لاعتبارات عديدة تجعل هذه التضحية ثقيلة علينا ، فضعفت نفوسنا عنها ، ولكن الذي اقدم عليها غير مبال مهما كانت النتيجة عندما امتنعنا نحن وضحى بمركزه الجديد الثابت في كلية الحقوق الى مركز في كلية الشريعة لم يكن من الممكن اذ ذاك ان يعرف مصيره انما هو الاستاذ الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله • فهو الذي من بيننا قبل ان ينتقل بمرتبته وراتبه دون ان يتطلب مرتبة أعلى وهو في أشد الحاجة الى زيادة المرتبة، وتملك اللجنة اعطاءه اياها ولكنه قال : اريد ان اضرب المثل بنفسي حتى لا يفكر بالمجيء الى هذه الكلية الا من يريد منفعتها لا منفعة نفسه ، وان اجعل من تضحيتي هذه حاجزا في وجه من يريدون ان يقفزوا اليها من أجل المراتب التي لا تتيسر لهم في سواها أو من يريدون التسلل اليها ليقال انهم اساتذة جامعيون وهم ليسوا بذلك !! وهكذا تسلم الاستاذ الفقيد السباعي عمادة الكلية في المرحلة العصيبة ، فسار بها مع اللجنة يشق لها الطريق في خضم الامواج والاعاصير ، بمهارة الربان الخبير ، والقائد الشجاع المؤمن المخلص الذي يبتغي رضى الله قبل هواه، ويريد بناء منزلته عنده قبل مرتبته في الجامعة •

وقد وهب الكلية في تلك المرحلة من روحه وحيويته وعلمه وتوجيهه أثرا لا ينفد ، يتوارثه من يتعاقبون عليها اساتذة وطلابا ، كما كان له في تأسيس مشروع موسوعة الفقه الاسلامي الذي تفرع من كلية الشريعة ايام عمادته وكان رئيس لجنة الموسوعة زمنا لا ينس فيه نشاطه وجهوده الكبرى •

رحم الله الاستاذ السباعي رحمة واسعة وأعلى مقامه لديه ، بما كان له في الجامعة وفي كلية الشريعة خاصة من غناء ، وما تحمله في سبيل الاسلام العظيم من عناء •

السباعي

رائد فكر وقائد دعوة

للأستاذ محمد المبارك
عضو المجمع اللغوي بدمشق

رحمك الله أخا عزيزا ، وصديقا حبيبا ، واثابك الله وأعلى في الجنان مقامك أن كنت علما من اعلام الاسلام ، ومجاهدا بكل معاني الجهاد في سبيل الذودعن الاسلام ، ونشر دعوته ، وتوطيداركانه ورد كيدالكائدين عنه .

اما ما كان بيننا من صحبة ما انقطعت الا بهذا الفراق حين سبقتني للقاء ربك ، ومن أخوة وثقها الايمان والحب في الله ، والالتقاء على صعيد الدعوة الاسلامية ، فسقى الله ايامها الحلوة التي لم يبق من لذتها الا الذكرى ، واحتسب عند الله اجرها رجاء ان يعوضنا في الحياة الاخرى بما هو خير منها وان يجمعنا على الحوض في ظله الظليل ورحمته الواسعة تحت لواء امام النبيين وسيد الخلق اجمعين صلوات الله عليه وعلى اخوانه الانبياء والمرسلين .

ولئن ذقت مرارة الفراق لفقد اخ عزيز حبيب بعد صحبة صافية لم تشبها شائبة تكدير ولا جفاء استمرت زمنا أربى على العشرين عاما انقضت بين اشتراك في نضال أو مذاكرة في علم او تشاور في موقف يتخذ في احدى قضايا المسلمين والامة الكبرى أو في مؤانسة ومباسطة .

لئن ذقت مرارة الخسران لمثل هذه الحياة الاخوية الخصبة العزيزة ، فلقد كان شعوري بخسارة بلدك وقومك والعالم الاسلامي كله لك يا أبا حسان وخلو مكانك الذي كنت تملؤه دون سواك أشد مرارة وألما وحسرة .

فلقد قام اخونا الفقيد عليه الرحمة والرضوان مقاما في الدعوة الى رسالة الاسلام لا يشاركه فيه غيره فلقد هبط دمشق شابا تتقد فيه الحيوية وراء هدوئه وأنسه وحياته قوة البراكين المتفجرة بعد ان نال حظه من العلم من كلية الشريعة في الازهر واختصاص القضاء الشرعي وبعد ان أتم تمرين النضال في سجون مصر ايام الانكليز وفي معتقلات صرفند



آلام الامة وآمالها مرتسمة دوما على محياه رحمه الله

في فلسطين ، ويبتدىء هذا الفتى المناضل حياة جديدة وتأخذ الحركة الاسلامية في بلاد الشام شكلا جديدا وتخرج عن اطار الحلقات الخاصة والجمعيات الخيرية والمحاضرات العلمية الى نطاق الجماهير ، وتقوم الصلة بين الحركة الاسلامية وجماهير الشعب .

ان من أبرز ما يتميز به فقيد الاسلام الاخ الاستاذ السباعي رحمه الله من بين دعاة الاسلام هو انه استطاع ان يبث الوعي الاسلامي في الجماهير الشعبية ، الوعي لمبادىء الاسلام وتعاليمه ، والوعي لمآسي الاسلام في العصر الحديث ونكباته مع الاستعمار والالحاد والصهيونية ، بعد ان كانت هذه الجماهير موزعة بين فئة المتدينين تدينا تقليديا لا يعرف الا اقامة بعض شعائر الدين الفردية الظاهرة دون المشاركة في قضايا البلاد العامة والكفاح في سبيل تحرير البلاد الاسلامية مما لحق بها من استعمار وظلم وجهل ، وفئات اخرى سادرة غافلة أو منحرفة عن أهداف أمتها استهوتها المبادىء الضالة لانواع من الشعوبيات الحديثة التي جاءت تتصيد هذه الجماهير مستغلة ما كان يحيط بها من اجواء الجهل أو الظلم أو الفقر .

استطاع فقيدنا رحمه الله ان ينقل الاسلام الحي النابض الفعال ، الاسلام المحرر في مثاليته ونضاليته الى هذه الجماهير وان ينقل هذه الجماهير الى جو الاسلام .

وبذلك جعل للنضال في سبيل الاصلاح وللنضال ضد الاستعمار وللنضال للتحرر من ظلم الظالمين من المسيطرين والظالمين من أي لون ، جعل لهذا النضال أساسا من العقيدة والدين فامده بذلك بقوة عظيمة جدا فازال ما كان في الواقع بين الدين والحياة من بعد وجفاء في واقع هذه الجماهير المسلمة وشتان بين ان يكون الدين صفحات تكتب في كتاب أو مجلة فلا تقرأ ولا يكون لها صدى في نفوس جماهير الشعب أو ان يكون منحصرا في فئات صغيرة محدودة العدد لا تصدر عنها الا التأوهات والحسرات وهي تنظر الى عجلة الحياة السائرة سيرا سريعا في غير مصلحة الاسلام والدين ، شتان بين هذه الحال وبين ما استطاع ان يحققه ذلك الفتى المؤمن الذي هيأ الله له من اسباب العلم والنباهة والوعي والحيوية ما مكنه بأن يجعل هذه الجماهير الشعبية المؤمنة تشارك عن طريق دينها في تسيير هذه العجلة لمصلحتها ومصلحة الاسلام الذي كان في الماضي البعيد مناط عزها وسبب سعادتها .

ان من اهم ما مكن الفقيد رحمه الله من اجتياز هذه الخطوة والانتقال بالحركة الاسلامية الى هذه المرحلة الشعبية الواسعة النطاق صفة من أبرز

صفاته وهي قدرته الفائقة على التحسس بمشكلات الحياة الراهنة ، فلقد كان رحمه الله يعيش في حاضره بعقله ولبه وبقلبه وعاطفته فان من الناس بل من كرامهم وفضلائهم من يعيشون في الحاضر باجسامهم ولكنهم لايعون مشكلاته ولا يتحسسون بأزماته . لذلك استطاع ان يجعل علمه وثقافته الاسلامية حية ، وان يصل بين تعاليم الاسلام ومشكلات الحياة .

فلقد كان رحمه الله فاهما للاسلام احسن الفهم مدركا لمراميه ومقاصده عارفا من خلال اطلاعه على الكتاب والسنة وعلى الآراء الفقهية المختلفة لاهداف الشريعة ، فلقد كان يفهم النصوص في اطار الشريعة العام ويعرف الجزئيات في مواضعها من كليات الشريعة وقواعدها العامة ، وقد استطاع أن يضيف الى دراسته على شيوخ بلده والى دراسته الازهرية العالية ثقافة اسلامية واسعة بتتبعاته الشخصية ومطالعاته التي كان يوجهها حس مرهف وادراك عميق لاهداف الشريعة ومقاصدها في الحياة يدلك على ذلك مكتبته الكبيرة النادرة التي جمعها ووعى بعقله أكثرها حتى في ايام نضاله العنيف وفي مرحلة انهماكه في العمل الاجتماعي والسياسي .

وقد تجاوز هذه الثقافة الى ثقافة انسانية عامة أوسع فقد كان مولعا بالاطلاع على ما تخرجه المطابع العربية من نتاج أدبي وعلمي ، مؤلف أو مترجم ، مغرما باقتناء الكتب وانك لتعجب حين كنت تجده رحمه الله وهو في أشد ما يكون انشغالا وانهماكا في عمل اجتماعي أو معركة انتخابية وعلى منضدته كتب جديدة مما ترجم من روائع الادب الاوربي أو اخرج من موضوعات حضارية او تاريخية من المؤلفات الحديثة لم تكن دراسته رحمه الله مدرسية منظمة ولم يكن ممن درسوا في الجامعات الاوربية ، ولكنه استطاع بجده ومواهبه الشخصية ان يحصل من ألوان الثقافة ويطلع ويتمثل ما لم يستطع ان يفعله كثير ممن أتيحت لهم فرصة الدراسة المنظمة والتحصيل في أوربا ، وقد كان لذلك كله أثر فيما اخرج وكتب وألف وفيما القى من دروس ومحاضرات وفي سائر مجالي تفكيره وتعبيره بل في عمله الاصلاحي الكبير .

ولو تصفحت موضوعات كتابه (**من روائع حضارتنا**)أو (**اشتراكية الاسلام**) أو (**السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي**) لوجدت ان مصادرها زادت في الاول على خمسين مصدرا وفي الآخرين على الثمانين بين قديم

وحديث ولا يقل عن ذلك كتابه (**المرأة بين الفقه والقانون**) في سعة افقه وكثرة مصادره .

ان هذه الثقافة الواسعة التي كانت تزيد وتتسع باستمرار لم تبق في نطاق الفكر المحض ولم تكن موضوع مباهاة في مجلس أو ندوة ، ولكن كانت وسيلة لما هو أكبر منها ، وأداة لتحقيق رسالة اصلاحية كبرى ، ومددا لقيادة حركة اسلامية جديدة .

ذلك ان فقيدنا الكبير أجزل الله ثوابه وأعلى عنده مقامه كان شديد التحسس لامراض مجتمعه مدركا لكبرى مشكلاته متابعا بعقله وقلبه لاهم قضاياه السياسية والاجتماعية ، فقد كان طالبا يتلقى العلم حتى آخر أيام حياته ، وكان وعيه الاجتماعي هذا يزداد مع الايام قوة وعمقا وفهما واستيعابا . لقد كان يتحسس أشد التحسس ما يتهدد المجتمع الاسلامي في بلادنا العربية وفي غيرها من غزو عقائدي وما يدور في البيئات المثقفة وفي غيرها احيانا من شبه حول الاسلام ومن افتراءات وتشويهات دسها المستعمرون والاعداء ، وكان يبصر ويشعر بمرارة ما ران على هذا المجتمع منذ عصور من مظالم اجتماعية تتحمل وطأتها الكثرة الكاثرة من جماهير الشعب الساذج المؤمن الذي كان واحدا من أفراده ، وما كان عليه أكثر حكام العرب والمسلمين من تبعية للدول الاجنبية وائتمار بأمرها أو على الاقل من طغيان في السلطة واهمال لحقوق الشعب ، فارتسمت في ذهنه وفي نفسه صورة واضحة لكبرى مشكلاتنا الفكرية والاجتماعية والسياسية فانطلق يعالجها مزودا بثقافته الاسلامية العميقة الواسعة وحسن فقهه للدين وبحسه المرهف واخلاصه الشديد وغيرته التي كانت دونها كل عاطفة من عواطفه او ميل من ميوله انطلق يعالجها بعمله الدائب ونضاله المستمر في الميادين الاجتماعية والسياسية والفكرية في حماسة نادرة وجرأة لا تعرف حدا واخلاص شديد وصدق واضح وصراحة لا تعرف الى المجاملة سبيلا ومن هنا كانت الخصومات الشديدة التي ثارت حوله سواء أكان مبعثها الجهات التي ازعجتها خطته وأهدافه الاصلاحية لانها تحبط مؤامراتها أو تكشف سوءاتها ، أم كان مبعثها الخلاف في وجهة النظر وفي طريق الاصلاح واسلوب العمل ام نقصان الوعي لمشكلات الحياة الحاضرة والبعد عن فهمها والتحسس بها وهذه خصومة من نوع آخر

ولكنها كذلك مزعجة وربما كانت أشد ايلاما وازعاجا لانها كانت تأتي ممن يشاركونك العقيدة والفكرة ويخاصمونك لمجرد الاختلاف في الاسلوب أو طريق التفكير أو لضيق في الفهم أو لنقص في الشعور بالمشكلة .

اما الناقدون باخلاص والمخالفون في وجهة النظر بدافع من غيرة دينية صادقة أو رأي علمي له حجته فلم يكن رحمه الله يضيق بنقدهم ، بل كان يفتح صدره لهم وينشر نقدهم في مجلته سواء وافقهم في وجهة نظرهم أم لم يوافقهم ذلك ان قصدهم حسن ونيتهم طيبة فهم لم يقصدوا الانتقام أو التشفي أو تصيد الاخطاء للايقاع والتشويه .

ولقد اعان الاستاذ الفقيد رحمه الله في قوة مواقفه وجعله في محل الكرامة والتقدير بحيث لا تناله السهام خصلة لا يعرف حقيقتها فيه الا من عاشره عن قرب مدة من الزمن وهذه الخلة هي زهده فيما يطمع فيه أكثر الناس ولا سيما من اصحاب المواهب من المال والمناصب فكثيرا ما كان يبذل أكثر مما عنده ولو ركبه في سبيل ذلك الدين الثقيل ، وكثيرا ما رفض ما عرض عليه من رياسات ووزارات كما يعلم من رافقوه في تلك المجالات ، وقد أتيح لي ان اشاهد ذلك بنفسي في فترات من عملنا المشترك .

لقد استطاع فقيدنا الحبيب رحمه الله ان يعمل في مجال الدعوة الى الاسلام في المجتمع فشق طريقه الى جمهور الشعب وفتح لهذا الجمهور الطريق الى فهم الاسلام ومبادئه ووصل ما بين مشكلاتهم الحيوية ودينهم وما بين قضاياهم القومية وكفاحهم للاستعمار ورسالة الاسلام الذي آمنوا به دينا وعرفوا شعائره وعباداته فارتفع بالعامة منهم والخاصة الى مستوى الاسلام عقيدة ورسالة في الحياة واستطاع في فترة اخرى من مراحل كفاحه ان يجعل من السياسة خادما لمصلحة الشعب ووسيلة لحل مشكلاته وتحريره من المظالم والمفاسد في اطار من الدعوة وفي ضوء مبادىء الاسلام .

لم يستغل الدين في سبيل السياسة بل جعل السياسة خادما للدين محققا لاهدافه السامية ووسيلة لخدمة الشعب وتحريره من الشرور والمفاسد والمظالم .

ولقد انتهى من جهاده العنيف المرهق سواء في ميدان العمل الاجتماعي

ام في الميدان السياسي ام في ميادين الحرب في فلسطين التي شارك فيها بنفسه مشاركة فعلية بالسلاح انتهى هذا كله بأن تظاهرت عليه الامراض واحدا بعد واحد دون ان يصغي لنصح الاطباء بالتوقف عن النشاط فما زال المرض يثقل كاهله حتى وقع جسمه تحت ثقل المرض ولكن عزيمته كانت اقوى من المرض فظل في صراع مع المرض الشديد والآلام الملازمة التي يجزع لها الجلد الصبور سبع سنين كاملة .

فقد اصيب بعد الاجهاد العنيف بشلل نصفي بقيت آثاره ملازمة له وسبب له آلاما مبرحة لا تكاد تفارقه ، ولم تجده المعالجة والمداواة فابتلى بما ابتلى به كثير من الصالحين واصحاب الرسالات في هذه الحياة الدنيا فكان في مرضه الشديد مثال المؤمن الصابر الراضي بقضاء ربه المسلم له بحكمه ، بل ان هذه الفترة من حياته كانت من اخصب ايام حياته وأكثرها انتاجًا من الناحية العلمية وبركة في عمله العلمي . فقد استمر في خلال مرضه في عمله الجامعي يلقي دروسه ولا يقبل التخلف عنها ، وكان يستعد لها ويحضرها تحضيرا جيدا ويكتب للطلاب ويؤلف لهم .

لقد كانت هذه الفترة من حياته هي فترة التأليف وخرجت أكثر تآليفه في خلال هذه السنين التي اثقله فيها المرض وبرحت به الآلام ، فقد طبع كتابه (السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي) **سنة ١٩٦٠** ، وهو وان يكن الرسالة التي نال بها شهادة الاستاذية (الدكتوراه) من الازهر الا ان فيه اضافات كثيرة واقتضى اشرافه على طبعه واعادة النظر فيه بعد ان مضى على تأليفه سنوات طويلة واخرج كتابه (من روائع حضارتنا) وهو خلاصة لاجمل ما في تاريخنا من منازع انسانية وسمو أخلاقي ومؤسسات حضارية في **عام ١٩٥٩** ، وكتب محاضرته التي كان لها صدى واسع في العالم العربي والاسلامي وكانت مثارا لابحاث علمية كثيرة وهي (اشتراكية الاسلام) في آذار **١٩٥٩** وكانت في (١١٢) صفحة ثم اعاد طبعها في السنة نفسها في كتاب بلغت عدد صفحاته (١٧٥) ثم اعاد طبع الكتاب طبعة ثانية كانت تأليفا جديدا فقد زادت صفحاته على (٤٢٠) صفحة . والف كذلك وهو تحت وطأة الآلام الملازمة لها كتابه **(المرأة بين الفقه والقانون)** وهو يزيد على (٣٣٠) صفحة في أواخر عام **١٩٦٢** وهو كتاب ملىء بالافكار واسع الافق كثير المصادر .

لقد زود فقيدنا رحمه الله المكتبة الاسلامية بثروة ضخمة وانتاج يتميز

من كثير مما يؤلف ويكتب فهو عصارة تجريبية لعالم واسع الثقافة وداعية عرف المجتمع ومشكلاته وهو نتيجة علم وخبرة وتجربة وتفكير عميق .

وقد فتح رحمه الله بهذه المؤلفات آفاقا واسعة جديدة وشق للجيل الاسلامي الصاعد طريقا جديدة وليس يغض من شأن هذا العمل العظيم ان يحتاج الى تعديل في الجزئيات أو تصحيح لبعض التفصيلات بعد ان شق الطريق ورسم معالمها الكبرى وهو العمل الذي يحتاج الى العقل الكبير والدين الراسخ المتين ومعرفة الحياة ومشكلاتها ومواقفها القائمة ، وهـو ما توفر لفقيدنا الكبير عليه الرحمة والرضوان ، وكم رحب احسن الله اليه بالنقد العلمي البرىء وكم سمعته يثني الثناء الجميل على صديقه العالم الجليل الشيخ محمد الحامد بمناسبة ما كتبه حول موضوع اشتراكية الاسلام ويذكر علمه وفقهه ويشيد بخلقه وورعه بل انه قال رحمه الله على أثر ذلك ــ كما سمعته منه بنفسي ــ انني ساكتب ما يزيل الالتباس الذي حصل عند بعضهم في موضوع اشتراكية الاسلام واوضح ان الاشتراكيات الحديثة التي نراها ليست هي الاشتراكيـة التي وصفتهـا ولا هي من اشتراكية الاسلام في شيء وكان رحمه الله على وشك كتابة هذا الموضوع حين فاجأه اجله .

لقد كان السباعي استاذ جيل ، وقائد رعيل ، وباعث نهضة ، وكان خطيب جماهير ، ومصلحا كبيرا وعالما باحثا ، وكاتبا اديبا ، ومؤلفا منتجا وقلما تجتمع هذه الصفات في رجل واحد وقد جمعها الله فيه ، ولئن كان استاذا جامعيا ونائبا في مجلس النواب ونائب رئيس المجلس النيابي ومرشحا لوزارات اعرض عنها ورفضها ، فقد كان تجاوز ذلك كله فكان استاذ جيل وقائد رعيل وباعث نهضة واديبا كبيرا ومؤلفا منتجا وعالمـا باحثا ينظم ذلك كله فكرة واحدة حملها في عقله وقلبه ونفسه وجميـع مشاعره وهي الدعوة الى الاسلام ورسالته في هـذه الحياة والدعـوة الى الله .

فجزاه الله خيرا وتغمده برحمته وجعله مع الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا .

رجـــل أمّـــة

للأستاذ عمر بهاء الأميري

تَمَـرَّدَ قَلْبي والجَنانُ تَرَدَّدا
فَقُلت : استَبِينوا الأَمر ! قالوا : تأكدا

فَحَشْرَجتِ الآهاتُ ، والدمعُ خانقٌ
بحَنجَرتي ، أَوّاه مِنْ فَجأَة الردى

قضى ... ومضى ...
واصبح كل ما بينه وبين الناس :
كان ... رحمـه الله
من مُصَعِّد لها ، مع اللوعة والحسرات
ومترسل بها ، كالذي يكتم نقده ، تسامحاً وتسامياً !!
أما الحياة ،
حيـاته
المتألقة بالامل ، والعمل ،
الزاخرة بالعلم والايمـان
الصابرة على الآلام
السابحة في الأحلام
فقد أودعها الأجل

في قبضة الأزل
وأصبح ذلك الانسان
خبراً .... كان ...

●

ونادى أَذانُ الموتِ واروه تُرْبَهُ
غــــداً ، فاذا ماعُدْتُمُ ارتقبوا غدا

غــــداً سَيَسير الناسُ خَلْفَ نُعوشِكم
فيا حظّ من سوّى الطــــريق ومَهَّدا

ولكنّ النـــاس
جـــل النـــاس
قد وارَوه تربـــه
ولم يصغوا الى أذان الموت !
داروا في غفلاتهم
كل على محوره
هذا يكتب تقريره
يزوّق فيه ويزوّد
عن الهاتفين وما هتفوا
وذاك يتحدث عن الموكب
ضخامتـــه وتشعبـــه
من سار فيه ، ومن تخلف عنه

[illegible]

[illegible] على الأرض كفراخ القطا أخشى عليهم [illegible] تعيش في دقات قلبها ولولا زوجة محبة وفية [illegible] ففرحت بالموت من غير غصة ، ان موتي عرس [illegible] ولكن الله خير حافظا وهو أرحم الراحمين .

ذروة اليقــين

ربما كان من حكمة امتداد العلة أن يعلم الله من عبده المؤمن أنه اذا عافاه سلبه لذة الانكسار اليه ، وحلاوة الاقبال عليه وفي ذلك بلاء له أكبر من البلاء الذي عوفي منه .

القلب الكبير ..

لا تنقل أحزانك وآلامك الى أطفالك ، بل دعهم يعيشون المرحلة الوحيدة التي لا يعرفون فيها هموما ولا أحزانا . ولا تنقل أحزانك وآلامك الى الناس فلكل انسان من أحزانه وآلامه ما ليس معه مزيد لتحمل آلام وأحزان أخرى .

يا عجبــا .. !

يا عجبا . ! كلما اقترب الانسان من الكمال ، اقترب من المــوت ! . وكلما ازداد علما ... ازداد قربا من الفناء ! .

وكلما اقترب من الحقيقة .. اقترب من العدم ! .

الشر في خدمة الخير

من حكمة الله ان الشر يهيج الخير ويوقظه ولولا ذلك لظل الخير يغط في نوم عميق .

مجتمع المؤمنين ..

ما أجمل الحياة بين قوم يتحابون في الله ! . لا طمع ولا شك ولا هجر ولا عبوس ولكنه ايثار وثقة ووصال وابتسام .

جيل المأساة ! .

نحن جيل كتب عليه أن يأكل من دماغه ، ويعيش بأعصابــه ويلبس آلاما لا يجد لها طبيبا .

وقد يُؤْثرونَ عَـذابَ الحَيَاةِ
على أَنْ يُريحَهم عَـذْبه

يَفِرّونَ منـه ، ومهما نأَوَا
وشطّوا ، يُلاحِقُهمْ قُـرْبُه

فلابدّ أَنْ يَشْرَبوا كأْسَهُ
وهيهـات ينجيهـمْ شُـرْبُه

●

••• وفي زاوية من زوايا البيت
كائنٌ ، حَيٌ كميت
مُسَلِّمٌ لله
ولكنه يكاد يُسْلِمُ الأنفاس
في عينيه دموع حِرار
تذرف الى اعماقـه
وقلبـه
جرح ينغر أبـداً
كهفٌ من جمر
لا يفتأ يَئِجُّ ويضج
حرقةً وألمـا
إنّهُ

تهمة ظـالمة !

يا جيل النكبة في فلسطين ! أساؤا الوصاية عليـك فلما أصبحت شريدا زعموا أنك سيء الاخلاق ، هل كان ذلك الا من سوءتصرفهم وخيانة أمانتهم ؟

دعامة النصر ..

من استطاع مواجهة المتاعب بجرأة حقيقية متزنة استطاع أن ينجـو منها غالبـا .

انابـة

اذا نزل بك مالا تملك دفعه فأقلل من الشكوى وأكثر من الدعاء .

الداء القـاتل

لا شيء أقتل للانسان من يأس يستولي عليه ، أو خيال واهم يجري وراءه .

دين الحريـة

الامة التي حررها دينها من عبادة الاصنام هي أبعد الامم عن عبادة الاشخاص لو كانت لدينها فاهمة ولكرامتها محترمة .

مشكلات الطائر

● **مشكلات الطائر وهو يحلق في السماء لا يفهمها الا طائر مثله .**

مناجـاة

يا الهي : أليس من عظيم احسانك أن تبتلينا بالالم وتمنحنا معه الامل ، وأن تقدر علينا المرض ، وتهبنا معه اليقـين ، وأن تحرمنا من المسرات وتعطينـا الرضى ، وأن تصرف عنا النـاس وتؤنس قلوبنا بك ، وأن تؤدبنا بالفقر اليك ، وتكرمنا بالترامي عليك ، وأن تفتننا بالدنيا وتحبب الينا طلب الجنة ؟ أليس من عظيم احسانك أن تعطي أكثر مما تأخذ ، وتمنح خيرا مما تسلب ، وتسر بأكرم مما تؤلم ، وترضي بأحسن مما تحرم ، وانك لا تأخذ شيئا ليس لك ، ولا تعطي شيئا هو لنا .

سبحانك انك بالمؤمنين رؤوف رحيم ...

مصطفى السباعي

السّباعي

أعطى دُنياه أكثر ممّا أخذ منها

للأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة
المراقب العام للاخوان المسلمين في الأردن

اذا كانت كل امة تتحسس ألم المصيبة وفداحة الكارثة حين تفقد بطلا من أبطالها ورجلا فذا من رجالاتها فان امتنا حري بها ان يطول حزنها ، وتشتد مصيبتها لفقد ابنها البار ، وعالمها العامل ، وخطيبها الملهم فضيلة الاستاذ المجاهد الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله . وأشهد أني وقد شيعت الكثيرين من الاحبة الذين عز علي فقدهم ، وهاضني ألم المصاب بهم ، وواكبت محافل الموت الى ساحات دار البلاء ومساكن أهل الآخرة مرارا عديدة وأدوارا كثيرة كنت اشعر فيها بمرارة الالم وحرقة المصيبة تعصران العين فتفيض ، وتلهبان الشوق في القلب فيلج ، واللوعة في الكبد المقروحة فيحترق ولكن المصاب بفقد اخي وصديقي ابي حسان زاد على الالم ، واستعصى علي الصبر ذلك لانه جمع بين لوعة الفقد ومصيبة الثكل في أخ كريم كان حبيبا الى نفوسنا أثير المنزلة في قلوبنا ، جمعتنا معه



ـ في ساحات معركة الاسلام الخالدة ـ وشائج الاخوة الصادقة واواصر الالفة والمحبة وبين فداحة الخطب والكارثة في قائد حنكته الارزاء وانضجته التجارب والملمات وابرزته الدراسات العميقة والافكار الراشدة . ولقد قلت لنفسي ماذا عسى ان اكتب في كلمة قصيرة مستعجلة طلبتها مني مجلة ((**حضارة الاسلام**)) عن الفقيد الراحل رحمه الله فان أبواب الكتابة عنه متعددة ، وصفات الخير فيه متوفرة واذا امسكت واحدة منها تكاد تستغرق عليك كل وقتك اذا أردت ان توفيها حقها في التوضيح والتبيان ، أو تتطرق الى ذكرها عن مشاهدة العيان ، ورأيت نفسي واقفا متهيبا امام سيرته ـ رحمه الله ـ الحافلة بوافر الانتاج وجليل الاعمال كالواقف على شواطىء البحر الكبير ، تهوله عظمته ، وتروعه قوته وتبهره لآلئه وكريم اصدافه . ولقد كان السباعي رحمه الله كالبحر ، عميقا في فكرته ، غنيا في مكنون جواهره مهيبا في طلعته ، جميلا رائعا في منظره ، سمحا كريما لمن طلب رفده أو مد يده ليغترف من خيره فاذا طمع فيه طامع ، ولج في خصامه جهول كان في موج كالجبال ولجج كقطع الليل البهيم يضع من ركب متنه تائها مغترا برقته وسماحة طبعه مكبوبا على وجهه غائرا تحت قدميه .

نعم يا أخي مصطفى . . . كنت كالبحر في عظمته واتساعه وكالنجم في طهره ونقائه فعز علينا فقدك ، وكاد يذهلنا مصابك لولا ان شعاعة الامل في القلوب المؤمنة تثوب ـ دوما ـ بالعقول الراشدة الى تكأة الصبر وأركان التجلد متأسية برسول الله وصحبه الاخيار ومن تقدمون من المجاهدين الابرار فتهدأ اللوعة وتنطلق الالسنة الصادقة تجدد العهد مع امة ان تمضي على الطريق . . . طريق الوحدة والحرية والعدالة طريق الاسلام الذي وحد العرب على مبادئه وتعاليمه وكانوا من قبل اشتاتا متفرقين وحررهم من ربقة الفساد والعبودية وكانوا اذلة مستعبدين ومكن لهم حياة ناعمة في عدالة سامية لا يصرفهم عنها شيء من بهرج الحياة ولين اعطافها ، ولا يخيفهم تهديد الجبابرة وصفير اشداقها .

لقد فقدناك يا أخي أبا حسان ففقدنا أخ الهدى والتقى وقوة العزيمة ونفاذ الرأي وحسن التدبير والحلم الواسع على جهلاء الصف في الدعوة وشدة مراقبتك لنفسك ان تنتصر لهواها عفيف اليد واللسان طاهر الذيل والسريرة وكل هذا مع اشراقة الوجه الجميل وسماحة الخلق الكريم وهيبة الرجولة الصادقة .

شاهدت دمشق الفيحاء تشيعك الى مثواك الاخير وكنت انسان عينها وحبة القلب منها ، تبصرها الطريق . وتصول في سبيل حريتها وهدايتها على الاعداء لا تبالي بالنتائج كيف تكون فضنت عليك دمشق بالسفر الذي كنت تزمعه والفراق الذي كنت تريده والموطن الجديد الذي كنت تتمناه وأبى عليها حبها لك الا ان تضمك في احشائها وتغيبك في سويداء قلبها بجوار العلماء الصالحين من ابنائها . وكأني — حين مشيت مطرقا في موكب جثمانك الطاهر — كنت أشاهد الاكام المطلة على مقبرة الباب الصغير تشيعك معنا بصمت الوقار وتبكي مع الباكين وتنطق قائلة مع القائلين : الهي لقد جاءتك روح كريمة من أرواح الصالحين فاكرمها . ورجعت اليك بعد حياة حافلة بجليل الاعمال ومقبول الجهاد فارض عنها فما كانت تبغي بكل جهدها وصادق جهادها شيئا سوى رضاك . ولقد اعطى مصطفى الى دنياه أكثر مما أخذ منها طمعا بعطائك وعظيم نوالك فانله ربي جنتك وكريم رحمتك واجعل البركة والتوفيق والرعاية منك لبنيه واخوته عوضا لهم عن فقده وكريم رعايته .

عندما يموت الابرار ! !

... ومثله لا تموت ساعة موته من عمر من شهدها ، فلذلك يوم عجيب قد لف نهاره المدينة كلها في كفن أبيض ، فما بقيت في نفس رجل ولا امرأة شهوة الى الدنيا ، وفرغ كل انسان من باطله ، كما يفرغ من أيقن أن ليس بينه وبين قبره الا ساعة ، وظهر لهم الموت في حقيقة جديدة بالغة الروع لا يراها الابناء في موت آبائهم وأمهاتهم ، ولا الآباء والامهات في موت من ولدوا ، ولا المحب في موت حبيبه ولا الحميم في موت حميمه ، فان الجميع فقدوا الواحد الذي ليس غيره في الجميع ، وكما يموت العزيز على أهل بيت فيكون الموت واحدا وتتعدد فيه معانيه ، كذلك كان موته بعدد أهل المدينة !

مصطفى صادق الرافعي

الوَقود الأعظم لعبقريّة السّباعي

للأستاذ الشيخ نديم الجسر
مفتي طرابلس ولبنان الشمالي

يوم مات السباعي كان كثير من الشباب الابرار عندنا في شبه مناحة ... لقد كنت اعرف الشيء الكثير عن فضل الدكتـور الشيخ مصطفى السباعي ، وعلمه مما قرأت له ، ولكن لوعة هؤلاء الشباب كانت فوق ما يستدعيه ، في العادة ، موت عالم في بلد بعيد ، فعرفت ان وراء هذه اللوعة حبا غير حب العلم .

وكان لي بينهم أخ كريم أثق بدينه وفضله وهو الاستاذ رشيـد الميقاتي من تلاميذ السباعي ، فسألته عن سر هذا الحب ، حين جاء يحمل الي رسالة من (مجلة حضارة الاسلام) ، تطلب بها المشاركة في تحرير العدد الممتاز الذي ستخرجه عن السباعي رحمه الله .

فاجابني : أتعرف شيئا عن سيرة السباعي ؟

قلت : اعرف شيئا غير قليل عن علمه وفضله واخلاصه من كتبه ومن مقالاته في (الحضارة) التي اخذ يهديني اياها بعد ان اهديته كتابي (قصة الايمان) .

قال : يا سيدي السباعي ليس عالما فحسب ، ولكنه بطل من أبطـال الجهاد في الاسلام سقط شهيدا في صميم المعركة ... وسكت لحظة يجرض بريقه ليسيغ غصته ثم قال :

ليس العظيم في السباعي انه ألف عشرات الكتب ، ومئات المقالات والخطب ، فالمؤلفون كثر .

وليس العظيم فيه أنه جاهد الاستعمـار وتعرض للحبس والنفي والتشريد ، فالمجاهدون كثر .

وليس العظيم فيه انه برز في كل نواحي نشاطه العلمي والديني والسياسي : فكان مؤلفا ، واستاذا محاضرا في جامعات كبرى .



على نفس المنبر الخالد : كما وقف العلماء ورواد الاصلاح وقادة زحوف التحرير

ورئيسا لقسم الفقه الاسلامي في جامعة دمشق ، ونائبا لرئيس مجلس النواب ، فاننا نعرف بين العباقرة من لهم مثل هذا النشاط العجيب في مختلف الميادين .

ولكن العظيم في السباعي رحمه الله ، انه اصيب بالشلل في شقه الايسر ، وظل ، مع يأسه من الشفاء ، يمارس نشاطه وجهاده من فراش المرض ، وفي غمرة الآلام المبرحة ، عدة سنوات ، لا ينكفىء ، ولا يفتر ، ولا يشكو ، ولا يتبرم ، ولا يصرف وجهه لحظـة عن حب الله ورسوله حتى لفظ آخر أنفاسه .

قلت لصاحبي : كفى يا أخي كفى ... الآن عرفت سر دموعكم على الشهيد . والآن عرفت الوقود الاعظم لعبقرية السباعي ... انه الوقود الذي يندفع به الشهيد الى الشهادة ... انه وقود الايمان ...

عن السباعي

كان أمة في فرد

للدكتور معروف الدواليبي

أبا حسان...
كلما جلست اريد تسجيل كلمة حول غيابك عنا ونحن أحوج مانكون اليك ، تمثلت لي أعباؤك العظام، تلك تحملها عنا جميعا في سبيل الله وفي سبيل الاسلام ، فرثيت لانفسنا من بعدك ، قبل رثائنا عليك لغيابك

أبا حسان...
كلما حاولت أن استنطق القلم ليقول فيك ما أنت له أهل ، افتقدت القلم الذي هو لتسجيل فضائلك ومروآتك وأمجادك اهل... فانتملء اعين المبصرين ، وأسماع السامعين، وقلوب المعجبين .



أبا حسان... وقليل مثلك يا أبا حسان فانت صاحب القلب الكبير ، والعلم الوفير ، والادب الغزير ، والبيان الخطير ... فاذا ناقشت في أمر

جلل انقادت اليك الاسماع ، واذا خطبت ملكت على سامعيك القلوب ، واذا وعظت استجابت اليك الدموع ، وانقادت اليك النفوس .

أبا حسان ... وقليل مثلك يا أبا حسان ... فقد كنت في عملك حين الازمات ، وفي نضالك عند المهمات ، مجموعة رجال في شخص بل امة في فرد ... ولذلك كان المصاب بفقدك عظيما ، والعبء على من بعدك في رسالتك ثقيلا ...

وفوق ذلك ، فانت يا أبا حسان الاخ الحبيب ، والصديق الوفي ، والاستاذ والرفيق ، والمؤنس حين الضيق . فلا عجب ان بكتك دوما عيوننا، واستوحشت لفقدك أبدا قلوبنا .

فرحمك الله يا أباحسان ، وغفر لكوأرضاك . وانا لله وانا اليهراجعون:

وإذا أُصبْتَ مُصيبةً تُشجى بها فاذكُر مصابك بالنبي محمدِ

العقيدة والحياة

هذه الحياة الانسانية لاسمى من ان تكون طعاما أو شرابا أو متعة أو شهوة ، وانما هي فكرة وعقيدة يسعى وراءها الانسان الكريم ، حتى اذا حصل منها على ما تطمئن اليه نفسه ، وترتاح اليه روحه ، جعلها محور حياته ، وصدر عنها في كل ما يعمل وما يقول وما يأتي وما يذر ، وأجدر الناس بالحياة الانسانية الكريمة هم اربا ب العقائد ، فهم الذين يتذوقون السعادة في غير ما يألفه الناس من معاني السعادة ، ان السعادة عندهم قد تكون سجنا ، وقد تكون حرمانا ، وقد تكون تشردا ، وقد تكون عذابا ، وقد تكون موتا ، ففي السجن والحرمان والتشرد والعذاب سعادتهم ولذتهم وهناءة نفوسهم ، وان كان الناس يرون ذلك كله بلاء وشقاء ، وبذلك كان المصلحون يعيشون في مجتمعاتهم وكأنهم غرباء عنها ، انهم ليخالطون الناس ويؤاكلونهم ويمازحونهم ويعاملونهم ولكن المقاييس التي يقيسون بها الغنى والفقر والعطاء والحرمان والسعادة والشقاء ، غير المقاييس التي يعرفها الناس ، وما رأينا مصلحا في قومه قد سلم من ألسنة المعاصرين ومن استهزائهم .

مصطفى السباعي



((من القسم الذي لم ينشر))

توثب ورضى

وما لهفتي للبرء لهفة طامع	حريص على الدنيامن الموت يهلع
رضيت من الرحمن أجر طوية	على فعل خير نفعه لا يضيّع
فان يؤتني برءا نهضت لفعله	والافقدرضيتنفسيبماالله صانع

اصالة المجد

من لم تسر في عروقه دماء المجد لا يمكن أن ينشىء مجدا ، ومن لم يتسلل من جباه مرتفعة لم يستطع أن يرفع رأسا الا في غفلة الشرفاء .

زاد الرحلة الطويلة

كل يوم من أيامك التي تعيشها قد يكون آخر يوم من حياتك فتزود فيه ما يعينك على رحلتك الشاقة الطويلة التي تبدأ بعد أن تفارقك الحياة .

فليغرسها ..

لا تنقطع عن عملك مهما شعرت بدنو أجلك ، فأنت حينئذ أحوج ما تكون الى اغتنام الساعات والدقائق لتزيد في رصيدك من الخير عند ربك بعد أن فرطت في جنبه كثيرا .

اقدام الواثقين ..

من استقبل القدر المحتوم بابتسامة الشجاع كان بطلا تحنى له الهامات، ومن استقبل أمر الله بطمأنينة المؤمن كان حقا على الله أن يمنحه ثواب الصابرين المحتسبين .

بسمة حتى النهاية ..

مت وأنت مبتسم أكرم لك من أن تموت وأنت باك حزين .

عرس .. ومأتم

آه ! لولا فتية صغار يدرجون على الارض كفراخ القطا أخشى عليهم حبالة الصائد ، ولولا أم عجوز أعيش في دقات قلبها ولولا زوجة محبة وفية أعيش في افراح أحلامها ، لفرحت بالموت من غير غصة ، ان موتي عرس لي ، ومأتم لهم ، ولكن الله خير حافظا وهو أرحم الراحمين .

ذروة اليقـين

ربما كان من حكمة امتداد العلة أن يعلم الله من عبده المؤمن أنه اذا عافاه سلبه لذة الانكسار اليه ، وحلاوة الاقبال عليه وفي ذلك بلاء له أكبر من البلاء الذي عوفي منه .

القلب الكبير ..

لا تنقل أحزانك وآلامك الى أطفالك ، بل دعهم يعيشون المرحلة الوحيدة التي لا يعرفون فيها هموما ولا أحزانا . ولا تنقل أحزانك وآلامك الى الناس فلكل انسان من أحزانه وآلامه ما ليس معه مزيد لتحمل آلام وأحزان أخرى .

يا عجبـا .. !

يا عجبا . ! كلما اقترب الانسان من الكمال ، اقترب من المـوت ! . وكلما ازداد علما ... ازداد قربا من الفناء ! .

وكلما اقترب من الحقيقة .. اقترب من العدم ! .

الشر في خدمة الخير

من حكمة الله ان الشر يهيج الخير ويوقظه ولولا ذلك لظل الخير يغط في نوم عميق .

مجتمع المؤمنين ..

ما أجمل الحياة بين قوم يتحابون في الله ! . لا طمع ولا شك ولا هجر ولا عبوس ولكنه ايثار وثقة ووصال وابتسام .

جيل المأساة ! .

نحن جيل كتب عليه أن يأكل من دماغه ، ويعيش بأعصابـه ويلبس آلاما لا يجد لها طبيبا .

تهمة ظـالمة !

يا جيل النكبة في فلسطين ! أساؤا الوصاية عليـك فلما أصبحت شريدا زعموا أنك سيء الاخلاق ، هل كان ذلك الا من سوءتصرفهم وخيانة أمانتهم ؟

دعامة النصر ..

من استطاع مواجهة المتاعب بجرأة حقيقية متزنة استطاع أن ينجـو منها غالبـا .

انابـة

اذا نزل بك مالا تملك دفعه فأقلل من الشكوى وأكثر من الدعاء .

الداء القـاتل

لا شيء أقتل للانسان من يأس يستولي عليه ، أو خيال واهم يجري وراءه .

دين الحريـة

الامة التي حررها دينها من عبادة الاصنام هي أبعد الامم عن عبادة الاشخاص لو كانت لدينها فاهمة ولكرامتها محترمة .

مشكلات الطائر

● **مشكلات الطائر وهو يحلق في السماء لا يفهمها الا طائر مثله .**

مناجـــاة

يا الهي : أليس من عظيم احسانك أن تبتلينا بالالم وتمنحنا معه الامل ، وأن تقدر علينا المرض ، وتهبنا معه اليقـين ، وأن تحرمنا من المسرات وتعطينـا الرضى ، وأن تصرف عنا النـاس وتؤنس قلوبنا بك ، وأن تؤدبنا بالفقر اليك ، وتكرمنا بالترامي عليك ، وأن تفتننا بالدنيا وتحبب الينا طلب الجنة ؟ أليس من عظيم احسانك أن تعطي أكثر مما تأخذ ، وتمنح خيرا مما تسلب ، وتسر بأكرم مما تؤلم ، وترضي بأحسن مما تحرم ، وانك لا تأخذ شيئا ليس لك ، ولا تعطي شيئا هو لنا .

سبحانك انك بالمؤمنين رؤوف رحيم ...

مصطفى السباعي

السّباعي

أعطى دُنياه أكثر ممّا أخذ منها

للأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة
المراقب العام للاخوان المسلمين في الأردن

اذا كانت كل امة تتحسس ألم المصيبة وفداحة الكارثة حين تفقد بطلا من أبطالها ورجلا فذا من رجالاتها فان امتنا حريٌ بها ان يطول حزنها، وتشتد مصيبتها لفقد ابنها البار، وعالمها العامل، وخطيبها الملهم فضيلة الاستاذ المجاهد الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله . وأشهد أني وقد شيعت الكثيرين من الاحبة الذين عز علي فقدهم، وهاضني ألم المصاب بهم، وواكبت محافل الموت الى ساحات دار البلاء ومساكن أهل الآخرة مرارا عديدة وأدوارا كثيرة كنت اشعر فيها بمرارة الالم وحرقة المصيبة تعصران العين فتفيض، وتلهبان الشوق في القلب فيلج، واللوعة في الكبد المقروحة فيحترق ولكن المصاب بفقد اخي وصديقي ابي حسان زاد على الالم، واستعصى علي الصبر ذلك لانه جمع بين لوعة الفقد ومصيبة الثكل في أخ كريم كان حبيبا الى نفوسنا أثير المنزلة في قلوبنا، جمعتنا معه



ــ في ساحات معركة الاسلام الخالدة ــ وشائج الاخوة الصادقة واواصر الالفة والمحبة وبين فداحة الخطب والكارثة في قائد حنكته الارزاء وانضجته التجارب والملمات وابرزته الدراسات العميقة والافكار الراشدة . ولقد قلت لنفسي ماذا عسى ان اكتب في كلمة قصيرة مستعجلة طلبتها مني مجلة ((**حضارة الاسلام**)) عن الفقيد الراحل رحمه الله فان أبواب الكتابة عنه متعددة ، وصفات الخير فيه متوفرة واذا امسكت واحدة منها تكاد تستغرق عليك كل وقتك اذا أردت ان توفيها حقها في التوضيح والتبيان ، أو تتطرق الى ذكرها عن مشاهدة العيان ، ورأيت نفسي واقفا متهيبا امام سيرته ــ رحمه الله ــ الحافلة بوافر الانتاج وجليل الاعمال كالواقف على شواطىء البحر الكبير ، تهوله عظمته ، وتروعه قوته وتبهره لآلئه وكريم اصدافه . ولقد كان السباعي رحمه الله كالبحر ، عميقا في فكرته ، غنيا في مكنون جواهره مهيبا في طلعته ، جميلا رائعا في منظره ، سمحا كريما لمن طلب رفده أو مد يده ليغترف من خيره فاذا طمع فيه طامع ، ولج في خصامه جهول كان في موج كالجبال ولجج كقطع الليل البهيم يضع من ركب متنه تائها مغترا برقته وسماحة طبعه مكبوبا على وجهه غائرا تحت قدميــه .

نعم يا أخي مصطفي . . . كنت كالبحر في عظمته واتساعه وكالنجم في طهره ونقائه فعز علينا فقدك ، وكاد يذهلنا مصابك لولا ان شعاعة الامل في القلوب المؤمنة تثوب ــ دوما ــ بالعقول الراشدة الى تكأة الصبر وأركان التجلد متأسية برسول الله وصحبه الاخيار ومن تقدمونا من المجاهدين الابرار فتهدأ اللوعة وتنطلق الالسنة الصادقة تجدد العهد مع الله ان تمضي على الطريق . . . طريق الوحدة والحرية والعدالة طريق الاسلام الذي وحد العرب على مبادئه وتعاليمه وكانوا من قبل اشتاتا متفرقين وحررهم من ربقة الفساد والعبودية وكانوا اذلة مستعبدين ومكن لهم حياة ناعمة في عدالة سامية لا يصرفهم عنها شيء من بهرج الحياة ولين اعطافها ، ولا يخيفهم تهديد الجبابرة وصفير اشداقها .

لقد فقدناك يا أخي أبا حسان ففقدنا أخ الهدى والتقى وقوة العزيمة ونفاذ الرأي وحسن التدبير والحلم الواسع على جهلاء الصف في الدعوة لشدة مراقبتك لنفسك أن تنتصر لهواها عفيف اليد واللسان طاهر الذيل والسريرة وكل هذا مع اشراقة الوجه الجميل وسماحة الخلق الكــريم ومهابة الرجولة الصادقة .

شاهدت دمشق الفيحاء تشيعك الى مثواك الاخير وكنت انسان عينها وحبة القلب منها ، تبصرها الطريق ، وتصول في سبيل حريتها وهدايتها على الاعداء لا تبالي بالنتائج كيف تكون فضنَّت عليك دمشق بالسفر الذي كنت تزمعه والفراق الذي كنت تريده والموطن الجديد الذي كنت تتمناه وأبى عليها حبها لك الا ان تضمك في احشائها وتغيبك في سويداء قلبها بجوار العلماء الصالحين من ابنائها . وكأني ــ حين مشيت مطرقا في موكب جثمانك الطاهر ــ كنت أشاهد الاكام المطلة على مقبرة البــاب الصغير تشيعك معنا بصمت الوقار وتبكي مع الباكين وتنطق قائلة مــع القائلين : الهي لقد جاءتك روح كريمــة من أرواح الصالحين فاكرمها . ورجعت اليك بعد حياة حافلة بجليل الاعمال ومقبول الجهاد فارض عنها فما كانت تبغي بكل جهدها وصادق جهادها شيئا سوى رضاك . ولقــد اعطى مصطفى الى دنياه أكثر مما أخذ منها طمعا بعطائك وعظيم نوالك فانله ربي جنتك وكريم رحمتك واجعل البركة والتوفيق والرعاية منــك لبنيه واخوته عوضا لهم عن فقده وكريم رعايته .

عندما يموت الابرار ! !

... ومثله لا تموت ساعة موته من عمر من شهدها ، فلذلك يوم عجيب قد لف نهاره المدينة كلها في كفن أبيض ، فما بقيت في نفس رجل ولا امرأة شهوة الى الدنيا ، وفرغ كل انسان من باطله ، كما يفرغ من أيقن أن ليس بينه وبين قبره الا ساعة ، وظهر لهم الموت في حقيقة جديدة بالغة الروع لا يراها الابناء في موت آبائهم وأمهاتهم ، ولا الآباء والامهات في موت من ولدوا ، ولا المحب في موت حبيبــه ولا الحميم في موت حميمه ، فــان الجميع فقدوا الواحد الذي ليس غيره في الجميع ، وكمــا يموت العزيز على أهل بيت فيكون الموت واحدا وتتعدد فيه معانيه ، كذلك كان موته بعدد أهل المدينة !

مصطفى صادق الرافعي

الوقود الأعظم لعبقرية السباعي

للأستاذ الشيخ نديم الجسر
مفتي طرابلس ولبنان الشمالي

يوم مات السباعي كان كثير من الشباب الابرار عندنا في شبه مناحة ... لقد كنت اعرف الشيء الكثير عن فضل الدكتور الشيخ مصطفى السباعي ، وعلمه مما قرأت له ، ولكن لوعة هؤلاء الشباب كانت فوق ما يستدعيه ، في العادة ، موت عالم في بلد بعيد ، فعرفت ان وراء هذه اللوعة حبا غير حب العلم .

وكان لي بينهم أخ كريم أثق بدينه وفضله وهو الاستاذ رشيد الميقاتي من تلاميذ السباعي ، فسألته عن سر هذا الحب ، حين جاء يحمل الي رسالة من (مجلة حضارة الاسلام) ، تطلب بها المشاركة في تحرير العدد الممتاز الذي ستخرجه عن السباعي رحمه الله .

فاجابني : أتعرف شيئا عن سيرة السباعي ؟

قلت : اعرف شيئا غير قليل عن علمه وفضله واخلاصه من كتبه ومن مقالاته في (الحضارة) التي اخذ يهديني اياها بعد ان اهديته كتابي (قصة الايمان) .

قال : يا سيدي السباعي ليس عالما فحسب ، ولكنه بطل من أبطال الجهاد في الاسلام سقط شهيدا في صميم المعركة ... وسكت لحظة يجرض بريقه ليسيغ غصته ثم قال :

ليس العظيم في السباعي انه ألف عشرات الكتب ، والوف المقالات والخطب ، فالمؤلفون كثر .

وليس العظيم فيه أنه جاهد الاستعمار وتعرض للحبس والنفي والتشريد ، فالمجاهدون كثر .

وليس العظيم فيه انه برز في كل نواحي النشاط العلمي والديني والسياسي : فكان مؤلفا ، واستاذا محاضرا في الجامعات الكبرى ،



على نفس المنبر الخالد : كما وقف العلماء ورواد الاصلاح وقادة زحوف التحرير

ورئيسا لقسم الفقه الاسلامي في جامعة دمشق ، ونائبا لرئيس مجلس النواب ، فاننا نعرف بين العباقرة من لهم مثل هذا النشاط العجيب في مختلف الميادين .

ولكن العظيم في السباعي رحمه الله ، انه اصيب بالشلل في شقه الايسر ، وظل ، مع يأسه من الشفاء ، يمارس نشاطه وجهاده من فراش المرض ، وفي غمرة الآلام المبرحة ، عدة سنوات ، لا ينكفىء ، ولا يفتر ، ولا يشكو ، ولا يتبرم ، ولا يصرف وجهه لحظـة عن حب الله ورسوله حتى لفظ آخر أنفاسه .

قلت لصاحبي : كفى يا أخي كفى ... الآن عرفت سر دموعكم على الشهيد . والآن عرفت الوقود الاعظم لعبقرية السباعي ... انه الوقود الذي يندفع به الشهيد الى الشهادة ... انه وقود الايمان ...

الدكتور مصطفى السباعي

الوجه الكريم ... الذي توارى !

للدكتور محمد صبحي أبو غنيمة

سفير الاردن في دمشق



قبل عام من أيامنا هذه توفي الى رحمة الله العلامة الشيخ عبد المحسن الاسطواني فرثاه المرحوم الدكتور مصطفى بكلمة بليغة تدل على شدة احترامه واجلاله للعلم والعلماء وتحت عنوان (رجل فقدناه ..)

ويشاء الله جلت قدرته وتعالت حكمته ان لا يمضي العام الا والذي رثى (الرجل الذي فقدناه) يصبح موضعا للرثاء ، وعلي أنا المحب الذي صدمت لوقع الفاجعة ان اكون في عداد الكتاب الكثر الذين فجعوا مثلي بالفقيد لانشر للناس بعض ما عرفته عنه من المزايا والفضائل والحسنات مما لا يمكن جمعها في مقال أو مقالات .

وليس ما يحزنني هو هذا فحسب ، بل لذلك قصة لا بد من ذكرها فقد كان فقيدنا الكبير رحمه الله وأدخله فسيح جنانه يلح علي في كتابة مقال لمجلته الرفيعة (**حضارة الاسلام**) وكنت لكثرة اشغالي أسوف في

الامر ، حتى خجلت مرة من عجزي عن عدم تلبية رغبته فأعطيته كلمة صغيرة كانت نشرتها احدى الصحف بمناسبة احتفالها بمرور أعوام على صدورها وهي بعنوان (تأدب ! ...) ومع ان المجلة لا تنشر الا ما يكتب لها خصيصا فقد نشرها شاكرا وكان مثال الاخ المهذب الناعم الاحساس مما اخجلني بهذا اذ ذاك كثيرا ، وتأبى الاقدار بعد ذلك الا أن أكتب ولكن ... ليس في موضوع آخر غير نعيه ورثائه فكان ذلك بمثابة جزاء صارم لي أشعر وأنا أخط هذه الكلمات بوقعه الاليم على روحي ولعل هذا هو ما يجعلني أندفع بكليتي الى تلبية الطلب الذي وجه الي بهذا الصدد من محبيه وناشري فضله .

ولعمري ان الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله أشبه بالبحر الذي يسهل على الكاتب ان يغترف منه ما شاء ويظل ما بقي منه هو ذلك البحر الذي لم ينقص منه شيء !...

لقد كانت معرفتي بالفقيد تمتد الى زمن بعيد ، وكان أول ما عرفته يوم سمعته خطيبا وأنا لا أعرفه شخصيا فاستباني بحسن القائه وكبير ثقافته وجميل سرده واستعراضاته للحوادث ، وأنا بطبعي ميال للخطباء اللامعين الذين لم أر منهم الا القليل ولعل فقيدنا الجليل والصديق الكبير الاستاذ محمد المبارك مد الله في عمره هما أبلغ وأقدر من عرفت من الخطباء في هذه السنين الاخيرة ، ثم لما كثر اتصالي بالفقيد وبدأت أقرأ له نتاج أفكاره وآرائه ، بدأت اتبين انني أمام رجل لا كالرجال فهو فضلا عن خلقه السامي ومزاياه النبيلة كان عالما بكل ما يعرف لهذه الكلمة من معان وصفات ليس من اليسير على كل مثقف ان يتحلى بها جميعها ، كما كان صديقنا العظيم نور الله ثراه يتجلببها فيزيدها بهاء ورواء ...

أمامي الآن مجموعة مؤلفاته وهي مجموعة ضخمة وفي كل منها تستطيع ان تتحقق صفة العالم الباحث الذي يشبع موضوعه درسا وتمحيصا في كثير من العمق وفي كثير من تشعب الثقافة .

في كتابه (**السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي**) يقف مدافعا عن

نسب الى أبي هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتراه يفحم المغتربين والمغرضين والدساسين من المستشرقين اليهود وأنصارهم بحجج دامغة تدل دلالة واضحة على مقدار ما تزود به من العلم والبحث والمطالعة ودقة المقارنة حتى لترى نفسك أمام فارس من فرسان الفقه والحديث ممن لا يحابي ولا يعرف في الحق لومة لائم .

وليس هذا فقط ففي كل مؤلفاته ــ وعلى الاخص (**اشتراكية الاسلام**) نجد ان الفقيد العظيم على مقدار واسع من مختلف الثقافات والمعرفة فكأنه خريج عدة جامعات وخبير كثير من الحرف والصناعات ...

ولا اعتراض على ارادة الله فقد قضى رجلنا العظيم وهو في بريق العمر وشرخ الشباب وكان من المنتظر أن يستفيد العالم الاسلامي من علمه الكثير من الخير والصلاح الا ان حيوية الراحل الكريم ربما كانت سببا في الاسراع في وفاته قبل أوانها .

انني فحصته أكثر من مرة وكنت على علم بالمصير المحزن الذي سينتهي اليه وكان هناك من الاسباب ما يبرر لي ما قلت ، غير انه كان كمن يشعر بدنو أجله فكان يسعى لان يعطي أمته ودينه أكثر ما يمكنه عطاؤه قبل دنو الساعة المحتومة وكان هذا من أشد الاسباب لتدهور صحته وتقدم المرض الخبيث تقدما بغيضا أدى الى النتيجة المحتومة .

كنت أتوسل اليه ان يشفق على نفسه وعلى أطفاله ومحبيه فلا يرهق نفسه أما هو وقد كان يتبسم لقولي هذا ويتظاهر بالتلبية ــ فانه في قرارة نفسه كان قد صمم على ان يبذل نفسه في سبيل أمته ودينه وهكذا وصل الى مصيره المحتوم ولا يدوم الا الحي القيوم ! ...

رحمك الله أيها الصديق الحبيب ، وجزاك عن أمتك ودينك خيرا وانا لله وانا اليه راجعون .

السباعي كما عرفته

بروية
للأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار
عضو المجمع اللغوي بدمشق



قال الله تعالى :

« وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا أنا لله وانا اليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، واولئك هم المهتدون » .

الفقيد العزيز الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله تعالى .

نشأ هذا الفقيد الكريم في بيت دين وعلم وكرم وصلاح بعيدا عن اللغو والمجون . ولقد كان المصاب عظيما بفقد هذا العالم العامل الذي كان سلفي المعتقد ، اصلاحي المنزع ، صافي المشرب ، ثابت العزيمة ، دؤوبا على العمل ، سليم الذوق ، حسن الاختيار. الف في السنة النبوية كتبا رائعة ، وليست مؤلفاته الآن أمامي فأصفها ، ولكني أقول : ان أقوى ما يلتمسه المسلمون من الوسائل لاستعادة مجدهم الباهر ، ومدنيتهم الزاهرة ، هو العود الى العمل بالكتاب والسنة ، والاقتباس

من نورهما في عصر غلبت فيه الاثرة . وركب الناس في سبيل شهواتهم وأطماعهم متن عمياء . « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » . الا وان الاصلين الكريمين هما مستقر الحياة الطيبة للمسلمين ، وهما سبيل النجاة من آفات المدنية الحديثة وغوائلها ، وليت الشبان المتفرنجين الذين يذهبون الى ديار الغرب ، يبقون شرقيين بأخلاقهم وآدابهم ، وغربيين بهمتهم ونشاطهم .

انشأ الفقيد مجلة حضارة الاسلام ، عدة سنين بدمشق ، فكان في مقالاته القيمة داعي الامة في جميع أقطارها وأمصارها الى التضامن والتعاون على ما فيه مصلحتها ، والى دفع عوادي الشر عنها ، ولا ريب ان الاسلام خير من هذه السياسات العنصرية والمحلية . اذ هي كلها ضغائن وأحقاد ، وشر وفساد . وكان قلمه سيالا ، يستمد من قوى هذا العصر وحقائقه ، وعلومه ومعارفه ، ويقدم لطلابه في جامعة دمشق ، ولقراء مجلته ، ما يجمع لهم بين خيري الدنيا والدين ، فرحمه الله رحمة واسعة ، وعوض الامة عنه خير العوض ، وأفضل ما يقوله الصابرون « انا لله وانا اليه راجعون » .

مناجاة

يا حبيبي ! وحقك لولا يقيني بحبك لعتبت عليك ، ولولا علمي برحمتك لشكوتك اليك ، ولولا ثقتي بعدلك لاستعديتك عليك ، ولولا رؤيتي نعمك ، لاستبطأت كريم احسانك ، ولكني ألجمت الشك باليقين . والتسخط بالرضى ، والتبرم بالصبر ، فلك مني يا حبيبي رضا قلبي وان شكا لساني، وهدوء نفسي وان بكت عيوني ، واشراق روحي وان تجهم وجهي وأمل يقيني وان يئس جسمي ، فلا تؤاخذني بصنيع ما يفني مني . ولك مما أعود به اليك . ما تحب .

مصطفى السباعي

٤٥

نجمٌ تألّقَ ثُمّ هوى !

للأستاذ محمد الحسني الندوي

ـ الهند ـ

الدكتور مصطفى السباعي ... !

ذلك الاسم العذب الجميل ، الذي كان يحلو لنا أن نسمعه ونتحدث عنه في مختلف أجزاء وطننا الاسلامي الكبير ، الاسم الذي كنا نعتز به ،



لا في سورية فحسب بل في مصر ، والعراق ، وفي الهند وباكستان أيضا . الاسم الذي كان يهابه المستشرقون والمستعمرون على السواء لعلمه الغزير وجرأته الادبية .

الاسم الذي كان يحتل مكانا رفيعا عاليا حبيبا في النفوس بعد الامام الشهيد حسن البنا ، هذا الاسم الذي تألق في سماء العالم الاسلامي برهة سعيدة من الزمن ثم محي من صفحة الوجود وسجل في عالم الخلود . لقد سقط الجندي الثائر في المعركة وهو يقاتل في سبيل الله ويدافع عن دين الله . سقط وعلى هامته وسام العز وعلى جبينه ضياء الايمان ، وعلى شفته بسمة الرضى وفي عينيه بريق الامل ، أمل الغد المرتقب واليوم المشهود .

ان الدكتور مصطفى السباعي كان – بلا نزاع – من أساتذة الحركة الاسلامية العالمية ، ومن صفوة الدعاة والمرشدين والعلماء من الطراز الاول، وهو الذي جمع بين الايمان العميق بالمبدأ ، والفهم العميق بروحه ، والعلم العميق بدقائقه وأسراره ، والقلم السلسال اللبق واللسان العذب الذلق للتعبير عنه على صفحات المجلة ومنبر المسجد ومنصة الجامعة ومسرح السياسة على السواء . من غير تهريج أو دعاية ، ومن غير اشفاق ووجل . وهي ميزات ومواهب قلما تجتمع في رجل واحد . الا ما شاء ربك !

الدكتور مصطفى السباعي اسم معروف في الاوساط العلمية والدينية في الهند وباكستان ، واسم محبوب في الحركات الاسلامية هناك . وذلك للمقالات القوية الممتعة التي كانت تنشر له في الصحف الاسلامية مترجمة. أو المؤلفاته التي نقلت بعضها الى اللغة الاردية . وكان لمقالاته « عن السنة ومكانتها في التشريع » تأثير قوي ودور فعال في دحض الموجات الفكرية الهدامة التي كانت تهدد باكستان وتتحدى العنصر الاسلامي في هذه البلاد ، وذلك عدا مقالاته الاخرى في مختلف الموضوعات الاسلامية التي كانت تنشرها الصحف الاسلامية السيارة في البلدين .

أما دوره ككاتب ومؤلف وباحث وخطيب فحدث عن البحر ولا حرج

« فالبيت يعرفه والحل والحرم »

ان ايما رجل تتوزع قواه ومواهبه في مختلف المجالات الفكرية والعملية، أو يشتغل بتنظيم جماعة وادارة مؤسسة ، أو يشتغل بالدعوة والخطابة لا يستطيع أن يركز همه في التأليف والبحث والدراسة أو يأتي فيه بشيء جديد رائع ويقوم في هذا المجال بدور يذكر ، وخدمة تشكر ، أو يسد فراغا ، ويملأ مكانا شاغرا ، ولكن الدكتور مصطفى السباعي كذب هذا الخيال ، ومؤلفاته كلها تشهد بذلك وتدل على دراسة واسعة ، وتفكير طويل واستنباط رائع ، واجتهاد سليم ورزانة علمية ، لا تخلو منها حتى مقالاته العادية في الصحيفة .

وشرح ((قانون الاحوال الشخصية)) ((واشتراكية الاسلام)) و ((المرأة بين الفقه والقانون)) و ((السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي)) برهان ساطع على روحه العلمية ونظرته العميقة ودراسته الواسعة ، رغم حياته المليئة بالصخب والضجيج والسرعة المذهلة والاشغال المتلاحقة ، والمواعيد المتلاصقة ، وزيارات واجتماعات وأحاديث ورحلات في داخل البلاد وخارجها ، واشراف على تنظيم الاخوان وسيره على الوضع المقبول .

أما كتاب « اشتراكية الاسلام » فهو من روائع الكتب الاسلامية التي ألفت في هذا الموضوع في العصر الحديث ، ونال عليه المؤلف الجائزة التشجيعية وقالت فيه اللجنة المؤلفة من كبار فقهاء الشريعة في القاهرة ودمشق « انه يتميز بتأصيل التفكير الاشتراكي من الناحية الفقهية واختيار النصوص الصريحة من الكتاب والسنة وآراء الفقهاء وتفسيرها تفسيرا علميا من غير تكلف ولا تعسف في التأويل .

كما أن شرح قانون الاحوال الشخصية ، يعتبر موسوعة علمية في موضوعه ومرجعا ومادة للتدريس والبحث والكتابة ، عدا مؤلفاته الاخرى المتعة الشيقة ، وكل من ينظر في كتبه يظن أن مؤلفها باحث بحت لا شأن له بأي شيء آخر ، وقد وضع فيها عصارة أفكاره ، وركز فيها كل مواهبه وجهوده ، وأذكر أنني قرأت كتابه « اشتراكية الاسلام » و « من روائع حضارتنا » فوجدت في هذين الكتابين لذة البحث العلمي ، والحصافة الفكرية واشراق الروح المؤمنة ، فتركت في نفسي أثرا ناعما جميلا ألمسه كل ما أذكر السباعي وأذكر جهوده في سبيل العلم والدين .

أما حذقه الكتابة الصحفية وتناوله الموضوعات الاجتماعية والسياسية فاسأل عن ذلك مجلة ((**حضارة الاسلام**)) الغراء فهي من أروع المجلات الاسلامية في هذا الزمن الذي تضاءلت فيه المجلات الاسلامية ، واستمع الى احاديثه في الاذاعة أو اقرأه في كتاب ((**من أخلاقنا الاجتماعية**)) فبذلك تطلع على أسلوبه الصحفي والاذاعي ، وكلها تنم عن لباقة الحديث وعمق الموضوع ، وموضوعية البحث .

وأنظر كذلك الى بحوثه في ((**السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي**)) وقد نال الكتاب اعجاب الباحثين في الهند وباكستان وترجم الى اللغة الاردية ، والتقى الدكتور مصطفى السباعي ، بأعلام المستشرقين واختلط معهم في زيارته لاوربا عام ١٩٥٦ م وكانت له معهم جولات ومواقف ومناقشات برز فيه كعملاق بين الاقزام أو مدرس بين الطلبة الصغار وهو ليس تهويل مني أو مبالغة ، فقد ظل المستشرقون يخافونه لانه فضحهم في الطريق ، وأمام الناس عدة مرات ، تعمد السباعي في هذه الرحلة مطاردة هؤلاء فقابل أكثرهم ، أمثال « اندرسون » و «آربري» والمستشرق اليهودي المعروف « شاخت » بليدن (هولندا) وكثيرا غيرهم، وزار الجامعات العلمية الكبرى وقابل رؤساء الاقسام العربية والاسلامية ، وكان له مع « شاخت » المذكور آنفا قصة طريفة حكاها في مجلته حضارة الاسلام قال :

« في جامعة « ليدن » بهولندا اجتمعت بالمستشرق الالماني اليهودي « شاخت » وهو الذي يحمل في عصرنا هذا رسالة « جولد تسيهر » في الدس على الاسلام والكيد له وتشويه حقائقه ، وباحثته طويلا في أخطاء « جولد تسيهر » وتعمده تحريف النصوص التي ينقلها عن كتبنا ، فانكر ذلك أول الامر فضربت له مثلا واحدا مما كتبه « جولد تسيهر » في تاريخ السنة فاستغرب ذلك ثم راجع كتاب « جولد تسيهر » وكنا نجلس في مكتبته الخاصة فقال : معك الحق ، ان جولد تسيهر أخطأ هنا ، قلت له هل هو مجرد خطأ ؟ فاحتد وقال لماذا تسيئون به الظن ؟ فانتقلت الى بحث تحليله لموقف الزهري من عبد الملك بن مروان وذكرت له من الحقائق

التاريخية ما ينفي ما زعمه « جولد تسيهر » وبعد مناقشة في هذا الموضوع قال : وهذا خطأ أيضا من « جولد تسيهر » ألا يخطيء العلماء ؟ قلت له ان جولد تسيهر هو مؤسس المدرسة الاستشراقية التي تبني حكمها في التشريع الاسلامي على وقائع التاريخ نفسه ، فلماذا لم يستعمل مبدأه هنا حين تكلم عن الزهري ؟ وكيف جاز له أن يحكم على الزهري بأنه وضع حديث فضل المسجد الاقصى ارضاء لعبد الملك ضد ابن الزبير مع أن الزهري لم يلق عبد الملك الا بعد سبع سنوات من مقتل ابن الزبير ؟ وهنا اصفر وجه « شاخت » وأخذ يفرك يدا بيد ، بدا عليه الغيظ والاضطراب فأنهيت الحديث معه بأن قلت له : لقد كانت مثل هذه الاخطاء كما تسميها أنت تشتهر في القرن الماضي ، ويتناقلها مستشرق منكم عن آخر على أنها حقائق علمية ، قبل أن نقرأ — نحن المسلمين — تلك المؤلفات الا بعد موت مؤلفيها ، أما الآن فأرجو أن تسمعوا منا ملاحظتنا على « اخطائكم » لتصححوها في حياتكم قبل أن تتقرر كحقائق علمية » .

وبالجملة فكل ما كتب عن المستشرقين ومكائدهم شيء هام خطير ، وجدير بالبحث والدراسة والمتابعة والاطلاع ، أما عن خطابته فقد كان خطيبا بالطبع وبالسليقة ومن أفذاذ الخطباء في العالم العربي وقد سمي « خطيبا هائلا » في سورية عن جدارة وحق فهو يملك عنان الجمهور ويستولي على مشاعر الناس وأحاسيسهم بصوته الرخيم القوي وحديثه الحماسي المتزن في وقت واحد ، ويبرز على أقرانه في المجالس والنوادي والحفلات .

ودور السباعي في انشاء كلية الشريعة عام ١٩٥٤ وجهوده في هذا المضمار تضاف الى مآثره وحسناته وقد كرس عليها جهوده أخيرا وبقي عميد هذه الكلية الاولى من نوعها في الشرق الاوسط مدة اربع سنوات وكانت مدة حافلة بالاعمال والخدمات ، وبقي رئيس قسم الفقه الاسلامي فيها الى آخر عهده .

وثمة ناحية أخرى تسمو بمكان مصطفى السباعي على كثير من العلماء والخطباء والدعاة وتدخله في صف المجاهدين الابطال وهو جهاده الرائع في معركة فلسطين مع الاخوان المسلمين ، وقد سبق في هذا الامر على كثير

من اخوانه وأقرانه وكانت بداية ذلك في أواسط الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٢ أو ١٩٤٣ م ، اذ عاهد مع نمر الخطيب أن يعلن صوت النذير والايقاظ ويبدأ بالجهاد ، وألقى أول محاضرة عن فلسطين في مقر الاخوان، وقام بجولة للمدن السورية كلها يشرح للجماهير خطورة الوضع ، وخاض المعركة اخيرا فدافع عن المسجد الاقصى وكان له سهم كبير في سائر المعارك التي خاضتها كتائب الاخوان ، ويذكر منها معركة الحي اليهودي ، ومعركة القدس الكبرى ، وقد أظهر فيها المجاهدون من البطولات ما يعجز عنه الوصف ، فقد كانوا يتقدمون لنسف الحي اليهودي بيتا بيتا بأيديهم الرشاشات والقنابل تحت وابل من الرصاص والقنابل كان يقذفه اليهود عليهم من نوافذ البيوت .

وقد أثبت السباعي ــ بذلك ــ أنه يملك السيف والقلم ، وله في كل منهما جولة وصولة ومواقف وبطولات ودرس وعبرة لمن يأتي بعده من الدعاة والعاملين .

ان الدكتور مصطفى السباعي قدم لنا مثلا رائعا للكاتب الاسلامي والمجاهد الاسلامي وعرض علينا ــ عمليا ــ كيف أحاط بالجهات المختلفة وكيف حافظ على الاتزان بينها وكيف استقام على الطريقة وصمد في وجه الاعاصير والزلازل الفكرية والسياسية التي اشتدت في عهده ، والتي لا تزال في أوجها وقوتها والتي سوف تحتاج في المستقبل الى كثير من أمثال مصطفى السباعي في مختلف الجبهات وفي مختلف الظروف والمناسبات .

وبعد فهذه سطور عاجلة لا تصور واقعه الغني ولا تمثل حياته العامرة الخصبة وانما هي كلمة أملاها الحب والاخلاص والوفاء للراحل الكريم والفقيد العظيم .

رحم الله مصطفى السباعي وجزاه عن المسلمين في مشارق الارض ومغاربها أحسن ما يجزي عباده المخلصين الصادقين .

وانا لله وانا اليه راجعون !



وداع راحل

في ساعة من ساعات اشتداد الآلام ، وبعد أن صارحه الاطباء بيأسهم من شفائه . فاضت نفسه المؤمنة الراضية بهذه الابيات التي يودع فيها وداع مفارق أهله وأحباءه وذويه .

أهاجَكَ الوجدُ أمْ شاقَتْكَ آثارُ ... كانت مغاني نعمَ الأهلُ والدارُ

ومالعينكَ تبكي حُرقةً وأسى ... وما لِقلبكَ قد ضَجَّتْ بهِ النارُ ؟

على الأحبة تبكي أمْ على طللٍ ... لم يبق فيه أحباءٌ وسُمّار ؟

وهل من الدهر تشكو سوءَ عشرتِهِ ... لم يوف عهداً ولم يهدأ له ثار ؟

هيهات يا صاحبي آسى على زمن ... ساد العبيدُ به واقتيدَ أحرارُ

أو أذرِفُ الدمع في حبٍّ يفاركني ... أو في اللذائذِ والآمالُ تنهارُ

فما سبقني قبلَ اليومِ غانيةٌ ... ولا دعاني إلى الفَحْشاءِ فجّارُ

أَمتُّ في الله نفساً لا تطاوعني ... في المكرمات لها في الشرِّ إصرارُ

وبعتُ في الله دُنيا لا يسودُ بها   حقٌ ولا قادها في الحكم أبرارُ

وإنما حَزَني في صِبيةٍ دَرَجوا   غفلٍ عن الشرِ لم تُوقَدْ لهم نارُ

قدْ كُنْتُ أرجوا زماناً أن أقودَهُمُ   المكرماتِ فلا ظلمٌ ولا عارُ

والآنَ قد سارعت خُطوي إلى كَفنٍ   يوماً سيلبسه بَرٌّ وجبّارُ

بالله يا صبيتي لا تهلِكوا جزعاً   على أبيكم طريقُ الموتِ أقدار

تركتكم في حِمى الرحمن يكلؤكم   من يَهدِه اللهُ لا توبقْهُ أوزارُ

وأنتمْ يا أُهيلَ الحيِّ صِبيتُكُمْ   أمانةٌ عندكم هل يُهمل الجارُ ؟

أفدي بنفسيَ أُمّاً لا يفارقها   هَمٌّ وتنهارُ حزناً حين أنهارُ

فكيف تسكنُ بعدَ اليومِ من شَجنٍ   يا لَوعةَ الثكل ما في الدّار دَيّارُ

وزوجةً مَنَحَتني كلَّ ما ملكت   من صادقِ الودّ : تحنانٌ وإيثارُ

عشنا زماناً هنيّاً من تواصلنا   فكم يؤرق بعدَ العزِّ إدبارُ

وأخوةً جعلوني بعد فقدِ أبي   أباً ، لآمالهم روضٌ وأزهارُ

أستودعُ الله صحباً كنت أذخرهم   للنائبات لنا أنسٌ وأسمارُ

الملتقى في جِنان الخُلدِ إن قُبلتْ   منّا صلاةٌ وطاعاتٌ وأذكارُ



حسن التربية :

أنفع ثروة تخلفها لاولادك أن تحسن تربيتهم وتعليمهم ، وأبقى أثر منك ينتفعون به بعد موتك : علمك وخدمتك للناس .

مصطفى السباعي

أولاد الفقيد حسان واخوته ..



مات رجل الجامعة

للدكتور اسماعيل عزت
وكيل جامعة دمشق

عزيز على الطبيب الذي يعيش حياته في صراع مع قوى الفناء ان يلقي سلاحه ويؤبن انسانا اصابته مصيبة الموت :

وعسير على المرء ان يقف موقفا يرثي فيه زميلا ، صديقا ، فاعذروني اذا أوجزت وحسبي كلمات هي عصارة القلب الجريح ... يقطر دما مخضبا بالدموع ...

ماذا عساي اقول عن مصطفى السباعي ؟

ومن ذا الذي يستطيع ان يفي الرجل حقه ؟

أأتحدث عما فعل مصطفى السباعي للجامعة ؟ وهل استطيع ؟

لقا كان الرجل وحده جامعة ...

كان معلما ..

ويسير على المرء ان يكون مدرسا يلقي الدروس بلا عدد ...

ويسير عليه ان يكون مؤلفا يصنع الكتب الضخام

ويسير عليه ان يكون بحاثه يغوص على النفيس

ولكن : ان يكون معلما أمر عسير

المعلم ينفذ الى اعماق طلابه يصهرهم ... ويصوغهم بقالبه يضعهم كما يشاء ...

يحيا فيهم ، يجعلهم علمه اناسا غير الناس يفتح لهم افاقا جددا . ينقلهم الى عالم جديد

وهكذا كان مصطفى السباعي .

كان معلما .

كل طلابه يقولون ذلك .

من كان منهم في صفه ومن لم يكن .

من مشى على دربه ، ومن مشى على غير دربه .



مؤسس كليـة الشريعة يلقي كلمته في حفل افتتاحهـا

كان معلمـا .

كان بنـاءً .

أنشأ في الجامعة كليـة .

وانشاء كلية ليس بالامر الهين .

ورعاها حتى آتت أكلها واينعت ثمارها واستمر يرعاها ويهبها من روحه وفكره وقلبه ما شاءت

ثم عدا عليه المرض ـ ويح المرض ـ منذ سبع سنين .

المرض لا يقعد النفوس الكبار .

لقد ظل مصطفى السباعي رغم المرض ورغم الالم ورغم السقام يغالب المرض والالم والسقام بيد ، ويمسك باليد الاخرى قلمه يكتب به للعلم كل يوم جديدا نفيسا ويقدم الى طلابه كل ما يستطيع واكثر مما يستطيع .

ان الجامعة التي تحاول اليوم ان تحيي ذكـرى مصطفى السبـاعي ستحاول ان تعدد بعض ما فعل ... وسيحاول الخطباء ان يذكروا باسم كلياتهم عنه الكثير .

ولكن الجامعة لا تزعم بعد ذلك انها وفته حقه ..

كل ما في الامر انها محاولة وفاء ..

وسيمضي الزمن ويرى الناس من نتاج كلية الشريعة في الجامعة ما يروقهم ويبقى طلاب الشريعة والحقوق تلامذة العلم الذي ضمنه الرجل في كتبه وضمنه محاضراته ...

فهل سيبقون يذكرون مصطفى السباعي منشىء كلية الشريعة وعميدها الاول ورائدها ومؤلف هذه الكتب القيمة وشارحها ؟

لو انهم فعلوا لكان له الفضل ان جعلهم يذكرون صاحب الفضل ...

والرجل ليس بحاجة الى ان يذكره الناس ..

لقد كان العلم عنده فريضة بكل ما تضمه كلمة الفريضة من معـــاني الطهارة والنظافة والاخلاص .

ولقد عاش للعلم خالصا لم تشب علمه شائبـــة رياء ومات والمـــداد لم يجف ..

كان يكتب ومات : هذه حياة عالم
لقد قلت انني لن اطيل
لانني لا استطيع ان اطيل
الحزن يمنعني .. يلجمني ... يمسك لساني عن البكاء .
رحمة الله عليك يا مصطفى وبركاته في الخالدين .

مناجاة

ياحبيبي ! ها أنا بعد سبع سنين لم ينفعني علم الاطباء . ولا أفادتني حكمة الحكماء ، ولا أجداني عطف الاصدقاء ، ولا آذتني شماتة الاعداء . وانما الذي يفيدني بعد اشتداد المحنة ، كسوة الرضا منك . وينفعني بعد القعود عنك ، حسن القدوم عليك ويخفف عني . جميل الرعاية لمن زرعته بيدك ، وعجزت بمحنتي عن متابعة العناية به . ومن مثلك يا حبيبي في صدق الوفاء ، وجميل الرعاية ، وحسن الخلافة ! فان قضيت في مرضي — وهو نافذ في لا محالة — فهم وأرضهم الطيبة امانة عندك يا من لا تضيع عنده الامانات ، ولا يخيب فيه الرجاء ، ولا ينتقص من خيره ورحمته والاحسان .

مصطفى السباعي

تحسسه بآلام الجماهير *

هناك شيء هام في السياسة الاصلاحيةالتي كانت تسير عليها الدولة من قبل . فلقد كانت العناية بالمدن الكبرى أكثر من المدن الصغرى ، والعناية بالمدن أكثر من القرى ، والعناية بأحياء الاغنياء أكثر من أحياء الفقراء .. ولا أريد أن أضرب الامثال ولكن اسألكم: هل تجدون العناية باحيائكم أنتم يا سكان الشاغور والميدان وباب السريجة والسمانة والعقيبة كما تجدون العناية بشارع الروضة وأبي رمانة ؟ وأسألكم يا سكان القرى : هل طرقكم كلها معبدة ؟ هل تنالون نصيبكم من ميزانية الاشغال العامة ؟ هل تنعمون جميعكم بالكهرباء ؟ هل تشربون جميعا الماء النقي ؟ هل تجدون المدارس الكافية ؟ فلماذا هذا التفاوت ؟ لماذا هذا الاصلاح الذي يدلل فريقا ويحرم جمهورا ؟ .. لماذا تبني الدولة لاهل المدن المدارس أو تستأجرها لهم ، وهي في القرى تجبر الفلاحين على بناء المدارس أو استئجارها ؟ ولماذا يكون المعلمون في مدارس المدن موفورين كاملين في كل صف وفي كل مدرسة ، وأكثر مدارس القرى لا يوجد في المدرسة ذات الصفوف الثلاثة الا معلم واحد ؟ .

وهنالك ناحية اخرى وهي أننا ننفق على اصلاح أمور ثانوية بمقدار ما نهمل اصلاح أمور ضرورية ..

لقد أراد بعضهم في المجلس النيابي السابق أن تخصص الدولة (٤٠) الف ليرة لاصلاح الموسيقى وتخريج عدد من الفنانين . ونحن لا ننكر حاجة الموسيقى الى الاصلاح ولكن أين كنا نحن يومئذ ؟ كنا نخوض معركة فلسطين أو نتأهب ...

ولقد كانت رغبة الشعب وما تزال حتى الآن ، ان نهيء الجندي والبندقية والخرطوشة قبل ان نهيء العازف والعود والكمان . ان الاصلاح يجب ان يبدأ بالضروري قبل الكمالي وبالفقير قبل الغني وبالقروي مع المدني وعلى جميع ابناء الشعب وجميع الاحياء وجميع المدن والقرى لا على فريق دون فريق ولا على طائفة دون طائفة .

المرحوم الدكتور مصطفى السباعي

---

* من كلمة ألقاها في حفل عام في مكتب الجبهة الاشتراكية الاسلامية بدمشق بتاريخ ١٩٤٩/١١/٨

الساطع رائد الطليعة
في الاصلاح الديني والاجتماعي والسياسي

للدكتور محمد الفاضل
عميد كلية الحقوق في جامعة دمشق

السيد وزير التربية والتعليم ، السادة الوزراء والسفراء ، أيها الحفل الكريم :

ان الشعور بمرارة الفجيعة ، وفداحة الخطب ، يزداد على الزمن عمقه، واتساعه ، وامتداده ، كلما كانت شخصية الفقيد عميقة الالتصاق بجذور المجتمع ، واسعة الاتصال بآفاق الحياة ، ممتدة الجنبات في رحاب المعرفة ... والفقيد الراحل من هذا الطراز الانساني الرفيع : كلي النظرة قوي الاحاطة والشمول ، متعدد الجوانب ، متشعب المواهب ، رائد .. في الطليعة من رواد الاصلاح الديني والاجتماعي والسياسي في العالمين العربي والاسلامي : حمل زنده راية الدعوةُ الاسلامية زهاء ربع قرن ، دون ان يهن الزند او يلتوي ، ورفع ساعده راية محمد ــ صلى الله عليك يا محمد ــ فلم يضعف الساعد ، وبقيت راية محمد خفاقة تزحم النجوم ... ودعا لسانه الجرىء الحر المتدفق الى الوحدة تحت علم القرآن ، فتندّيت العربيةُ بالحق على لسانه ، واعشوشبت المنابر بالمعين الثر من بيانه ، وكان في ذلك كله عزمة لا تسعها قدرة ، وشعاعا لا يحصره أفق ، وحيوية مؤمنة دافقة صمدت في وجه الشدة حتى خجلت الشدة ذاتها من الصمود ...

ثم قضى الفقيد الكبير كما يقضي الفارس المُعْلَم في قلب المعركة : كبرياء النصر في عينيه ، ودعوة الحق بين شفتيه ، ووهج العقيدة المؤمنة يغمر جنبيه ، ولواء المعرفة مُشْرعٌ بين زنديه ، وهذا الامل العريض ، بمستقبل كتائب الايمان في الاجيال الصاعدة من بعده يملأ شغاف نفسه، ويأخذ بمجامع لبه ... فلا والله ما بقيت ريحانة من رياحين الغوطتين الا تمنّت ان تكون ضفيرة من ضفائر المجد على جبينه ، ولا والله ما بقيت مزنة طيبة عطرة من سحائب رياض الفيحاء الا رجَت ان تضمخ بها جثمانه ، أو أن يتندّى بها ضريحه .

ومن هنا كان مأتم الفقيد الكبير السباعي مأتم الامة العربية جمعاء ، ويوم ذكراه من أيام ثكل الامة جمعاء ...



أيها السيدات والسادة :

لقد كانت لي غبطة الاتصال بالفقيد الكبير منذ أن عين مدرسا في كلية الحقوق في جامعة دمشق ، ولم أكن اعلم عنه الا ما روته لنا آيات جهاده ضد الانتداب وزبانيته . وكانت شخصية السباعي ، كشخصية كل نابغ

عظيم في هذا البلد ، يلفها خصومه بأوشحة من الخرافات والاساطير والحكايات التي تمليها المصالح والاحقاد . واشهد أنني ورعيلا من زملائي أعضاء هيأة التدريس لم نقرب الفقيد الكبير في السنوات الاولى من معرفتنا به الا على حذر شديد ، ثم لم يلبث ان تبدد هذا الحذر ، وغدونا ــ بحكم الاتصال الدائم والنقاش العلمي المنهجي الهادىء ــ كلما ازددنا من الفقيد الغالي قربا ، ازددنا له حبا وبه تقديرا واعجابا .

وكانت له ــ يرحمه الله ــ آراء . . . وكانت لنا آراء . . . فكنا نتقارب في النظر تارة ، ونتباعد تارة اخرى . وأشهد ان اختلاف الرأي لم يفسد علينا مودتنا ، ولم ينتقص من الشعور المتبادل بالاحترام والتقدير . واشهد ان قد كان ــ طيب الله ثراه ــ رقيق الاهاب ، متفتح الذهن ، يتكلم فيشع عقله في معانيه ، ويشيع ذكاؤه في مراميه ، ويسيل شعوره الحي على ألفاظه وعباراته ، ويحيا القضية التي يعمل لها بكل حواسه ومشاعره : بديهة حاضرة ، وذهن متوقد نفاذ ، واطلاع شامل ، ومنطق مستقيم ، ورجولة بعيدة الغور ، سنية القصد . كان ــ نضّر الله مثواه ــ ذكيا الى درجة الحكمة ، مشبوب العزم الى درجة المغامرة ، طموح النفس فلا يحصر افقه يأس ، ولا يحد غايته مطلبٌ ، بعيد الهمة فلا يضلِّله كغيره شاردُ الخيال ، ولا يغره كغيره خادع الامل ، كبير القلب فلا يشوب غرضه سوء . ورث شمائل العروبة الاصيلة ، ورث حفظ الكرامة ورعاية الحق ، والانصاف بالاريحية والنجدة ، فكان عربيا بدمه ، مسلما بخلقه وعقيدته ، ولم يكن ــ والعياذ بالله ــ من اولئك الشعوبيين الذين يعيشون على الامة العربية ولا ينتسبون اليها . . .

لقد اعتنق السباعي ــ في رأيي ، وهذا ما يجعله عظيما في عيني ــ عقيدة ، وظل أمينا لها بلسانه وقلمه حتى آخر نسمة من نسمات حياته . عقيدته : ان دعوة القومية العربية التي بُعِثَت من جديد لتلم شتات العرب في كل قطر وتجعل منهم امة موحدة الرغائب والقوى يجب ان تقوم على اساس من قيم الاسلام الروحية ، وتعاليمه الاصيلة ، وتراثه الحضاري الخالد .

ان الاسلام كان وسيبقى . . . ويجب ان يبقى : ظئرا للعروبة : حماها

حماه ، وقيمها مشتقة من قيمه .. مستلهمة منها . متساوقة .. منسجمة معها ..

هل تريدون ، ايها السيدات والسادة ، برهانا أدل على عقيدة الفقيد هذه مما خطه بقلمه الثري في كتابه القيم : « اشتراكية الاسلام » ، وهو الكتاب الذي نال جائزة الدولة التشجيعية في ظل الوحدة . **اسمعوه يقول:**

ان اشتراكية الاسلام :

أخذت من العرب وثنية متردية ، وقبائل متفرقة ، وحياة خشنة ، وعزلة موحشة وأعطتهم توحيدا متساميا ، وعيشا رخيا ، وامة واحدة ، وقيادة لمواكب النور في تاريخ الانسانية كلها .

أخذت من العالم عقائده المتفسخة ، وملوكه الظلمة ، وحيوانيته المتقاتلة ، وأعطته عقيدة محررة وقيادة ساهرة ، وانسانية بالنبل والخير زاخرة .

أخذت من العرب (**ابا جهل**)	وأعطتهم (**أبا بكر**)
أخذت من الفرس (**مزدك**)	وأعطتهم (**أبا حنيفة**)
أخذت من العراق (**رستم**)	وأعطتها (**سعدا**)
أخذت من مصر (**المقوقس**)	وأعطتها (**عمروا**)
أخذت من الشام (**هرقل**)	وأعطتها (**معاوية**)

أخذت من قيادة العالم (**كسرى وقيصر**) وأعطتها (**خالدا وعمرا**)

أخذت من العالم (**امبراطوريتين**) افنتا الشعوب : امبراطورية الفرس في الشرق ، وامبراطورية الروم في الغرب ...

وأعطت العالم (**حضارتين**) بعثتا الشرق الوثني والغرب الهمجي من من رقدتيهما : حضارة (**بغداد**) في الشرق و (**قرطبة**) في المغرب (١) .

وثمة عقيدة ثانية ما حاد عنها السباعي في كل ما عرفته من حياته ، وهي : ان الانسان ما خلق الا ليكون حرا ، فمن اقدس واجباته ان يجاهد في سبيل حريته بغير هوادة ولا ملل ، لا سيما حرية الفكر والضمير .

---

(١) انظر اشتراكية الاسلام للدكتور مصطفى السباعي طبعة ثانية ص ٣٦١ وما بعدها .

بيد ان هذه الحرية ــ في رأي السباعي ــ يجب ان تمارَس في اطار من القيم الخلقية والفضائل الروحية ، فشرف الكلمة يجب ان يقدم على حريتها ... لنخشع امام هذه العبارة الفذة من عباراته :

« ان الذين يزعمون أن من حقهم أن يقولوا ما يشاؤون باسم حرية الكلمة ينسون أن شرف الكلمة قبل حريتها ، ولم أجد امة تسمح بالخيانة الوطنية باسم الحرية ، ولكن نفرا عندنا يريدون خيانة الشرف الاجتماعي باسم الحرية ، ولو كان عندنا رأي عام واع لحاكمهم كما يحاكم خونة الوطن في قضاياه الوطنية » (١) .

ثم ان ثمة عقيدة ثالثة ، تكاد تكون صفوة حياة الفقيد الكبير ، بل هي جوهر دعوته الاصلاحية التي تعتبر ــ في نظري ــ امتدادا لدعوة كبار المصلحين في العالمين العربي والاسلامي ، وتكاد تسلكه في العقــد الثمين الــذي من بعض لآلئــه جمال الدين الافغــاني وعبد الرحمن الكواكبي ومحمد عبده .

اسمعوه ــ تغمده الله برحمته ــ يعرب عن رأيه فيقول :

« الذين يطمسون وجه الشريعة المشرق بجهودهم اسوأ أثرا من الذين يطمسونه بجحودهم » (٢) .

ثم اسمعوا من حكمه الغوالي :

« الذين يلبسون لبوس الدين ثم يستغلونه أشد خطرا على الدين ممن يكشفون عن وجوههم فيحاربونه » .

ويضيف فقيدنا الكبير :

« مصيبة الدين في جميع عصوره بفئتين : فئة أساءت فهمه ، وفئة أتقنت استغلاله .. تلك ضللت المؤمنين به ، وهذه أعطت الجاحدين حجة عليــه » (٣) .

ويبلغ الفقيد الغالي القمة في الدعوة الى فهم الاسلام فهما صحيحا وفي التحرر مما علق بالدين في عهود الانحطاط ، وما يبعده عن أصالة الرسالة المحمدية ، فيقول :

---

(١) انظر الصفحة ١٣٩ البند ٥٢٩ من كتاب « هكذا علمتني الحيــاة » القسم الاول : الاجتماعي للدكتور مصطفى السباعي .

(٢) المرجع السابق ص ٨٣ ، البند ٣٢٥ .

(٣) المرجع السابق ص ١٧٧ ، البندان : ٦٩٥ ــ ٦٩٧

حين تضيع معاني الدين وتبقى مظاهره . تصبح العبادة عادة ، والصلاة حركات ، والصوم جوعا ، والذكر تمايلا ، والزهد تحايلا ، والخشوع تماوتا ، والعلم تجملا ، والجهاد تفاخرا ، والورع سخفا ، والوقار بلادة ، والفرائض مهملة ، والسنن مشغلة .

وحينئذ ... يرى أدعياء الدين عسف الظالمين عدلا ، وباطلهم حقا ، وصراخ المستضعفين تمردا ، ومطالبتهم بحقهم ظلما ، ودعوة الاصلاح فتنة ، والوقوف في وجه الظالمين شرا .

وحينئذ ... تصبح حقوق الناس مهدرة ، واباطيل الظالمين مقدسة ، وتختل الموازين ، فالمعروف منكر ، والمنكر معروف .

وحينئذ ... يكثر اللصوص باسم حماية الضعفاء ، وقطاع الطرق باسم مقاومة الظالمين ، والطغاة باسم تحرير الشعب ، والدجالون باسم الهداية والاصلاح ، والملحدون بحجة ان الدين أفيون الشعوب (١) .

أيها السيدات والسادة :

هذه قبسات يسيرة من الدعوة الاصلاحية الحرة التي حمل مشعلها نسرنا الصريع في آفاق دنيا العرب والمسلمين ، وما اخالني مهما أفضت فيه — الا ان كلمتي تضيق عن استيعاب كنهه ، وتنكمش حواشيها عن عميق ذاته .. وحسبي ان اقول لكم : اذا ما ذكرتم الفقيد الكبير مصطفى السباعي فاذكروا الداعية المصلح في زمن عز فيه الدعاة المصلحون ، واذكروا فارسا من فرسان المنابر ، وكاتبا اديبا ، ومؤلفا بارعا ، وفقيها مجددا ، واستاذا جامعيا عالما ، قضى نحبه في طلب العلم ومن أجل العلم ، واذكروا له فكرته الخلاقة المبدعة في انشاء موسوعة للفقه الاسلامي ، واذكروا له دفاعه عن « السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي » وشرحه الرائع لقانون الاحوال الشخصية ، واذكروا له « اشتراكية الاسلام » و « المرأة بين الفقه والقانون » وما باهى به الملأ « من روائع حضارتنا » وما نثره من خواطره وافكاره الاجتماعية في كتابه المليء بالتجربة والحكمة : « هكذا علمتني الحياة » . وما وقف له جهده العلمي القيم من بحوث وآراء في مجلته « حضارة الاسلام » .

ثم اذكروا — ايها السيدات والسادة — فوق كل هذا ، وبعد كل هذا .. اذكروا رجلا سار في مقدمة الرعيل الاول من فرسان اليقظة الحديثة

(١) المرجع السابق ص ٢٢٦ البند ٩٠٥ .

في دنيا العرب ، حيث المسالك وعرة ، والعقبات في وجه المصلحين أكثر من ان تحصى ، فما لوى عنان جواده يمنة ولا يسرة ، ولا ارتد منهوكا من المقدمة الى المؤخرة . بل ظل فضيلة الاستاذ الدكتور مصطفى السباعي طيلة حياته ضميرا حرا لا يُسَخَّر وجبينا عاليا لا يُعَفَّر .

ولقد شوهد السباعي ، واخوان السباعي في حومة فلسطين ـ رعى الله فلسطين ـ يتسعرون بالاقدام ، ويتفجرون بالحمية الوطنية ، ويهتفون بالتضحية ، ويجدعون بالايمان أنف النكبة ... بينما كان الغواة المضللون يلتهمون زاد الامة العربية مع الوحش ، وينضجون شواءهم في حريقها .

فيا أخي ، وزميلي ، ابا حسان :

لطالما طارحتني الحديث ، ولشد ما اختلفنا حينا ، واتفقنا حينا ... فلله انت اليوم ما أفصحك ساكتا ، وما أعياني متكلما ، ما أحراك بالكلام واحراني بالصمت والاصغاء . لست ابكيك لانك حيث انت في غنى عن دموعي ، ولانك حي في ضمائر اخوانك الجامعيين منهم وغير الجامعيين ، حي في وجدان البقاء .

ولست ارثيك ، يا زميلي ، فنحن الاحياء اجدر بالرثاء وأحق بالدموع منك ، لانك نزعت عنك خوف الموت ، أما نحن فما برحنا كالقصبة المرتجفة على سبيل الموت والحياة .

انا واثق يا صديقي انه لن يرضيك ولن يرضينا ان يكون كل وفائنا لك حفلة تأبينية وبضع كلمات في رثائك .. ولكن الوفاء ، حق الوفاء ، ان يعمل المسؤولون في جامعة دمشق على تخليد ذكراك بتخليد دعوتك ، ونشر رسائلك ، والابقاء على مؤلفاتك ، والسهر على تحقيق مشروعك العظيم في موسوعة الفقه الاسلامي ... فهذا الذي يجدى ... وهذا الذي يرضي ...

رحمك الله يا أبا حسان رحمة واسعة ، ورضي عنك ، وغفر لك ما تقدم من ذنبك وجزاك خيرا عن جهادك « يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم » .

صدق الله العظيم

عقل السباعي يمثل الثقافة الاسلامية

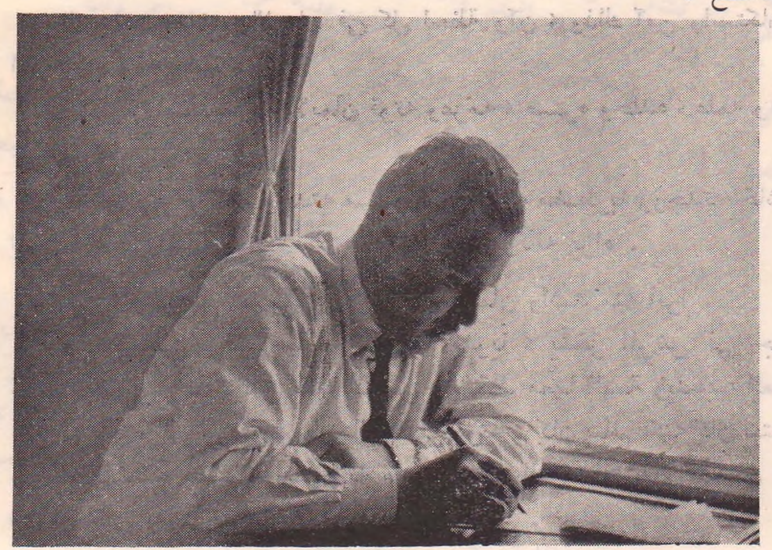
التي جابهت المعارف كلها دون خشية منها

للدكتور يوسف العش

عميد كلية الشريعة في جامعة دمشق

كان رجلا . الرجل قوي العزم يجابه الصعاب ولا يأبه للشدائد .

وكان انسانا رحيما . والانسان الرحيم رقيق القلب لا يصمد امام الدمـع .



وكان خلوقا . والخلوق يعاف الشر ويكره الفساد ويتجنب السوء .

وكان فكها يحب الدعابة ويضحك من المزاح ويكثر من قصص النوادر .

وكان حاضر البديهة فلا يغلبه التخلص من مفاجئات القول ، والحديث ذو شجون .

وكان ذا صوت محبب للنفوس ، والصوت المثير للعواطف اذا تكلم صاحبه تمنى السامع الا يسكت .

وكان ذا وجه مشرق منير تعلوه الابتسامة ولا يغادره البشر الا انفة أو غضبا .

وكان دؤوبا على العمل حتى لكأنه خلق للعمل وحده .

كان انسانا في عقله وروحه وخلقه وعمله .

كل اولئك كان مصطفى السباعي ، لكنه كان أكثر من ذلك بكثير :

كان مع الانسان الايمان ، بل كان الايمان هو الاصل الاصيل عنده .

يقول أكثر المرجئة ان الايمان لا يزيد ولا ينقص ، يعنون بذلك انه ليس انسان أكثر ايمانا من انسان ، فليروا السباعي وليتأملوا وضعه . بلغ الايمان عنده حدا كبيرا يدهش المتأمل : انه ايمان يصعد من الاعماق ويحتل كل جارحة في الجسم ، وينتهي الى العقل فيتخلل كل خلية منه . وأين ايمانه من ذلك الذي يؤمن فقط ، ثم يقول للناس اني من المؤمنين .

السباعي يعيش بالايمان في كل لحظة وآن ، وذاك آمن واستكان الى ايمانه ثم لعله نسيه .

السباعي يستمد من الايمان قوته وعزمه ، صبره وجلده ، علمه وفهمه، حياته ومعيشته .

اذا حدثته عن الله وجدته مسرورا ووجدته مضطربا ووجدته خاشعا ، ثم ألفيته يتدفق في الكلام عن خالق الكون وكأنه يراه .

ليس في نفس السباعي اقوى من الايمان وأشد منه أثرا .

ولقد عاش مريضا سبع سنوات سويا ، ينخز المرض في جسمه نخزا : آلام مبرحة تزهق منها النفس وتسقط معها الهمة ويذهب العزم . لكنه لم يخنع للمرض ، ولم يأت الالم على قوته . كان يتألم لكنه كان يبتسم . وكانت تتشنج اعصابه وعضلاته من النوبات التي تصيبه ، فما ان تزول النوبة حتى يعود ضاحكا لا يشكو ولا يتحسر .

ولقد زرته مرة في مستشفى المواساة فأردت أن أواسيه ، فالتفت الي بوجه مصفر من ليلة قضاها في الآلام المضنية وقال :

« اشكرك على حسن مواساتك ، لكنك لو كنت تعلم كم انا راض بحالي لما اشفقت علي شفقتك التي تبدو عليك . اني بخير نعمة من الله » . قال ذلك وهو يبتسم ابتسامة هادئة سكينة ، فبدت الدهشة على وجهي فقال:

« قد تجد قولي غريبا لكني اقول الحق وسأفسر ذلك ، اني مريض اتألم ليس في ذلك ريب ، وانك لتشاهد الالم على وجهي وعلى يدي وفي حركتي ، لكن انظر الى حكمة الله في . ان الله قدير على ان يشل حركتي ، وقد شل بعض حركتي فانظر ماذا شل . لقد شل طرفي الايسر وأبقى لي

الطرف الايمن ، فما أعظم النعمة التي ابقاها لي ! أكنت استطيع ان اخط بالقلم لو شل اليمين مني ؟ ان الله قدير على ان يأخذ بصري وانا محتاج الى بصري أكثر من أي شيء آخر ، لكنه ابقاه لي فهل أكثر من هذا لطفا . ان الله قدير على ان يخمد قريحتي ، لكنه أبقى لي قدرة الفكر والعقل فما ألطفه بي . ان الله قدير على ان يشل لساني فيمنعني عن الكلام . لكنه أكرمني ببقاء قدرتي على الكلام ، أفليس ذلك منّة منه وعفوا . لقد قضى الله علي بأن تشل حركتي في السياسة ، فشلها لكنه أبدلها بنعمة خير منها : انه فتح لي سبيل العلم والعمل للعلم . أكنت تراني كتبت وألفت ما كتبت لو ان صحتي بقيت على ما كانت عليه قوية شديدة . فما أكثر لطف الله وكرمه ومنته ونعمته . أفيحق لي بعد ذلك ان أشكو وان أتذمر ؟ أو لا يجب علي ان اشكر الله على نعمائه ؟

بهذا الايمان كان يعيش في ساعات غبطته ، وبه كان يعيش في ساعات مرضه . فهل يصدق بعض المرجئة حين يقولون : الايمان لا يزيد ولاينقص.

الايمان بلغ ذروته عند السباعي ، وبه نستطيع ان نفسر حياته وعلمه وعمله .

كان قبل مرضه كثير الحركة واضطر بعد مرضه ان يكون قليل الحركة لكنه بقي جم النشاط . كان كثير التنقل قبل مرضه ومنع عن التنقل بعده ، لكنه لم يمتنع عن بذل نفسه للناس في أي ساعة وفي أي زمان . كان كثير العمل قبل مرضه لا يكل ولا يمل ، وبقي كذلك بعد مرضه فكأنه لم يصب بما يقعد الانسان وبما يشل عمله .

كانت في نفس السباعي جذوة متقدة ولدت معه يوم ولد وذهبت معه يوم ذهب ، جذوة عجيبة كانت تحت أمرته كل حين . كان يبدو رجلا عاديا في الساعات التي كانت فيها الجذوة راكنة هادئة تشع على نفسه كالمصباح الذي هدأت شعلته . فما ان يشعر السباعي انه بحاجة الى ايقاد تلك الجذوة حتى يفتح مفتاحها ، واذا هي تعلو ويسري لهبها في كل جارحة من جوارحه ، فيتغير الرجل ويبدو على غير ما تعرفه ، فاذا هو لهب مشتعل مضطرم . وبهذه الشعلة المضطرمة يقف أمام الخصم ويقارع الزمان ويصبر على الشدائد .

انها جذوة الايمان استمد منها في كل ساعة قوته وعزيمته ولا أظنها خيبته في لحظة من لحظات حياته .

ويأتي بعد الايمان عنده العقل ، وعقله يستمد قوته من الايمان أيضا ، وهو عقل مفتوح جوال طلعة يحب المعرفة ويسعى اليها .

ان عقله يمثل في نظري عقل الثقافة الاسلامية الذي جابه المعارف كلها دون خشية منها ، أفليست حكمة الله تتجلى في كونه وتكمن في سننه وتتمثل في كل خلقه ؟ فلا خوف عند السباعي اذن من الاطلاع على كتب العرب وعلمه وثقافته ، وان كان قد شرع من الكتب الصفراء وأغرق فيها . ولا ضير عنده من أن يذهب الى الغرب وان يطلع على ما يتسم به من علم وجهل ، من فضيلة ورذيلة ، من عمل متتابع ولهو شديد ، لم يخف من ذلك ولم يرهبه ، وان كان أزهريا أصيلا في ازهريته . كان عقله جوالا وخير ما ينضج العقل التجول والتنقل . كان عقله نهما وخير ما يدفع العقل الى الغذاء النهم .

لكنه عقل بقي عقلا مسلما بالرغم من تجوله وتنقله ونهمه وغذائه . لم يرد ذلك العقل ان يستسلم للغرب مع اقراره بفضل الغرب ومكانته في العلم والحضارة .

ذلك ان هذا العقل كان مؤمنا قبل ان يكون فكرا أو فهما أو ادراكا .

ويأتي لديه مع العقل العلم وقد يكون علمه أكبر من عقله وقد يكون عقله اكبر من علمه . والاحرى القول ان العقل والعلم عنده صنوان .

وعلمه علم كثير الالوان ناصع البيان غزير الابواب يستقي من كل نبع ويتفتح لكل مصدر لكنه علم الاسلام وأدب العرب : علم قوي موجز غزير . ولئن كان للثقافة الحديثة فيه أثر فهو أثر المجاراة والاستفادة لا أثر التشرب والتمثل . وبحسبه ان يكون قد بلغ نبعها وانتهل من غيثها .

والعقل والعلم يأتيان عنده بعد الفيض ، فهو يفيض بما عنده بكــرم عجيب . فالقلم فياض واللسان أكثر فيضا . انه الاستاذ حقا استاذ يعطي أكثر ما عنده ولا يبخل بما لديه . بل يبلغ به الفيض حدا يتجاوز فيه ما عنده من عقل وعلم ، واذا هو يعطي من نفسه وروحه . والفيض انما هو فيض الروح اكثر منه فيض العقل والعلم . فاذا اجتمعت الروح مع العقل والعلم كان فيضا يهدر كرما وغزارة .

هذا الفيض لم ينقطع عند السباعي يوما ، بل استمر يغدق ويهدر حتى آخر ساعة من يوم دعاه الداعي الى لقاء ربه .

فاضت روحه في منتصف النهار تلبي دعوة بارئها ، لكنها كانت قبل ذلك بساعة أو ساعتين تلبي رغبة الطلاب . كان جالسا آنذاك مع زميل له يكتبان فصولا اخيرة من كتاب يجب ان يظهر بعد ذلك بقليل . كان الفيض آنذاك تأليفا وعلما ، فلم تسكن تلك النفس عن فيضها حتى أتتها الدعوة الى العالم الآخر فانقطعت : لا عن عجز وتقصير في الفيض بل عن رضاء وتسليم للدعوة .

هذا هو الرجل الذي فقدته كلية الشريعة :انه عزيز اقام فيها منذ نشأت ، فرعاها أول نشأتها : ارتضته عميدا لها ، وارتضاها عملا له وبذلا واخلاصا . ولما أصيب بمرضه أسلم قيادها لخلفه ، لكنه لم يسلم نفسه لغيرها ، بل لم يرض ان يقبع على سرير مرضه دونها ، فكان يدع هـذا السرير أنى قدر ويؤمها رافعا قيسارة علمه ، متحدثا محاضرا مشوقا للعلم، دافعا الى البحث ، فياضا بما عنده ، مشرقا مبتسما ، ظانا انه ودع آلامه وهو قد ودعها الى حين ، حتى اذا عاد الى بيته استلقى على سريره متعبا منهكا تبرح به الآلام ويأخذ منه المرض .

كان السباعي استاذا اكثر ما يكون العالم استاذا . كان استاذا علما وعقلا وروحا . وظل استاذا حتى الساعة التي دعاه الداعي فيها . وسيظل استاذا بكتبه ومحاضراته وأقواله .

اني باسم كلية الشريعة اسجل من على هذا المنبر للاستاذ السباعي في أزهى سجل وأبهر صفحة اخلاصه للعلم وانكبابه عليه وسعيه فيـه ونشره له وتحمسه وتضحيته من أجله .

وانكم لتكبرون معي رجلا ملئت نفسه ايمانا وعقله علما وروحه فيضا وجرى في الحياة جادا لا هازلا وعاملا لا متراخيا وكريما لا بخيلا وقويا لا ضعيفا وانسانا لا جلفا ، على أحسن ما يكون الجد وخير ما يكون العمل وأجود ما يكون الكرم وأشد ما تكون القوة ، وأرفق ما تكون الانسانية .

انا نؤبن اليوم رجلا من خير حصيلة الرجال ، انا نؤبن جذوة من العلم والعقل والروح والايمان جذوة لا تخمد الا حين يتوفى الله النفس قائلا : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » .

الدكتور مصطفى السباعي

فقيد العالم الإسلامي

لسماحة السيد أمين الحسيني
مفتي فلسطين الأكبر ورئيس الهيئة العربية العليا

فقدت سورية في السابع والعشرين من شهر جمادى الاولى سنة ١٣٨٤ علما من أعلامها ومجاهدا من كبار مجاهديها ، وفقد العالم الاسلامي عالما من علمائه الاجلاء واستاذا من اساتذته الفضلاء ، وداعية من دعاته البلغاء هو الاستاذ الدكتور مصطفى السباعي صاحب مجلة «حضارة الاسلام» واحد كبار المجاهدين والمدافعين عن القضايا العربية والاسلامية



لقد كان الفقيد الدكتور مصطفى السباعي علما من أعلام الفكر الاسلامي في عصرنا الحاضر ، وتثقف ثقافة اسلامية صحيحة ونهل من منهلها العذب حتى ارتوى ، ثم افاض على ألوف من تلامذته وقراء مجلته « حضارة الاسلام » ومؤلفاته الاخرى ، من ذلك المنهل العذب ما دل على غزارة علمه وسعة اطلاعه ، وجدارته لما اضطلع به من عبء الدعوة الاسلامية وما اهله لتسنم منصب عميد كلية الشريعة في جامعة دمشق •

لقد عرفت الفقيد الكريم طيب الله ثراه معرفة صحيحة ، فعرفت فيه

الصدق والاخلاص والصراحة ومضاء العزيمة والاندفاع في سبيل العقيدة والمبدأ . وكانت له قدم صدق ويد بيضاء في خدمة القضايا الاسلامية والعربية وفي طليعتها قضيتا سورية وفلسطين . وهذه الاخيرة جاهد فيها بقلمه ولسانه كما جاهد بنفسه على رأس كتيبة من مجاهدي « الاخوان المسلمين » دفاعا عن بيت المقدس عندما كان عرضة لاشد الهجمات اليهودية المسلحة عام ١٩٤٨ .

وبرغم قوة بنية الفقيد الكريم فقد ناء بها توقد ذهنه ومضاء عزيمته، واندفاعه في مقارعة المستعمرين والصهيونيين ، ونشر الدعوة الاسلامية، وتثقيف الناشئة الاسلامية ثقافة صحيحة تعود على المسلمين بالخير والفلاح ، فغلبه المرض وأقعده الداء العياء في الفراش منذ عام ١٩٥٧ الا انه لم يقعده عن العمل والانتاج الفكري ، ومن ذلك مجلة « حضارة الاسلام » التي اشتملت على جليل البحوث وطرائف الموضوعات ، في الفقه الاسلامي ومعالجة الشؤون الاسلامية من دينية واجتماعية وسياسية.

وقضى الفقيد نحبه وقد قارب الخمسين من سنيه التي قضاها عاملا مجدا مجاهدا في سبيل الله وسبيل امته ووطنه فكان المصاب فيه كبيرا والخسارة فادحة ، وانا لنسأل الله ان يتغمد الفقيد الكريم بواسع رحمته ويسكنه فسيح جنته ويعوض الامة خيرا عن فقده ، وانا لله وانا اليه راجعون .

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) صدق الله العظيم .

طريقا الآخرة ...

للوصول الى الدار الآخرة طريقان : أحدهما : مستقيم آمن . فيه قليل من الشجر والماء ، والثاني : متعرج خطر ، فيه كثير من المستنقعات والمؤذيات ، وأكثر الناس يفضلون الثاني على الاول ، رغبة في الظل والماء ، واستخفافا بالهلاك والشقاء .

مصطفى السباعي

جهود السباعي لتطوير مناهج الفقه الاسلامي

للدكتور محمد فوزي فيض الله
وكيل كلية الشريعة من جامعة دمشق

استأثرت رحمة الله تعالى ــ هذا العام ــ بشخصيات فذة نادرة من العالم العربي الاسلامي منها الاستاذ الفيلسوف الاجتماعي الكبير عباس محمود العقاد ، وأستاذنا الامام محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر ، واستاذنا الجليل العلامة اللغوي الدكتور عبد الحليم النجار ، واستاذنا الفقيه الاديب العلامة الدكتور مصطفى السباعي ، رئيس قسم الفقه الاسلامي ومذاهبه في كلية الشريعة من جامعة دمشق ، الذي نعمل فيه رحمهم الله جميعا ، وأجزل لهم الجزاء في دار كرامته .

لقد كان استاذنا الدكتور السباعي رحمه الله يوجهنا ويحثنا في سبيل التعاون للنهوض بالفقه الاسلامي ، والسير به قدما في تجلية مزاياه ، وتبيين موافقته لروح العصر ، وسده حاجة الزمن . وكنا من أجل ذلك نعقد جلسات القسم في دورات اسبوعية أو نصف شهرية ، في تخطيط مناهج الدراسة ، وتوزيع المقررات الفقهية على سنوات الكلية ، وفي اضافة بحوث ، والاستغناء عن أخرى ، والتوسع في ثالثة . وما الى ذلك .

وكان ــ رحمه الله ــ يبدو بوضوح في كل جلسة مبلغ اهتمامه بمستقبل الفقه ، ومواءمته واقع الحياة ، وكان يبدي أسفه الشديد في كل مناسبة لضياع امكانيات كثير من قانونيينا وقرائح أفكارهم . وثمار جهودهم

المشكورة ، في خدمة القانون الاجنبي الدخيل . دون الاستفادة منهم في تكميل فقهنا الاسلامي العظيم الاصيل .

لقد اتجهت سياسته في تخطيط مناهج القسم اتجاها جديدا هـذا العام ، فبينما اتجه في العام السابق الى ان يكتب الاساتذة المدرسون في الفقه الاسلامي كتابة فقهية محررة ، تستوعب المذهبين الحنفي والشافعي ، وما تمس الحاجة اليه من المذاهب الاخرى في المواضيع الفقهية المطروقة ، اتجهت سياسته في هذا العام الى الاشارة الى موقف التقنينات الاجنبية من تلك المسائل والمواضيع ، والى ذكر وجهة نظرها ، ومناقشتها ، كلما أمكن ، وتثبيت الراجح من الآراء للعمل والتطبيق .

ولا شك أن هذه خطوة جديدة في سبيل خدمة الفقه الاسلامي ، وتنوير اذهان المشتغلين بالدراسات الفقهية ، والقانونية على السواء ، وهذا ما ينبغي أن تكون عليه الدراسة الجامعية ، التي تتكفل تخريج دارسين ، قادرين على التشريع والتقنين ، كلما اقتضتهما الاحوال والظروف .

تجلت سياسته الجديدة هذه بوجه خاص في توصيته بالتوسع في دراسة مادة الاحوال الشخصية المقررة على طلاب كلية الشريعة ، فقـد أوصى بان تعرض دراسة هذه المادة بحيث تستوعب جميـع المـذاهب الاسلامية والقوانين العربية والغربية ، وكذلك الديانات ، كلما أمكن ، وقرر في جلسة ١٩٦٤/٩/١٥ أن يكلف استاذ المادة بتنفيذ هذا المنهاج اعتبارا من هذا العـام .

ولما أشار بعض اعضاء القسم الى أن هذا المنهاج سيتسع ، وبخاصة اذا نحي فيه منحى فقهي صحيح بذكر المذاهب والادلة ، لتحقق في هذه الدراسة مدلول الفقه ، قرر أن يكتفى بأدلة المذاهب الرئيسية ، وأن هذا ينبغي أن يكون سبيل الفقه في هذا العصر ، ليطلع الناس على أكبر قـدر ممكن من ثروتنا الفقهية .

ومن أجل تحقيق هذه الغاية أقترح ان تضاف ساعة أسبوعية من مادة الاحوال الشخصية للسنة الثانية والثالثة من الكلية . وأن تتخذ الخطوات اللازمة لتقديم هذا الاقتراح الى مجلس الكلية .

كان الاستاذ الفقيد ــ رحمه الله ــ يفيض حيوية في أيامه الاخيرة ، وكان يبدو ملحوظ النشاط . فقد طلب اجتماع القسم مرة ثانية بعد خمسة أيام فقط . وفي هذا الاجتماع قرر أن كلية الشريعة انما قامت بناء على نص المادة السادسة من الدستور . وبناء على ذلك ، فما ينبغي ان تقتصر مهمتها على تخريج أفواج من حملة شهادتها للتدريس والتعليم فحسب ، وانما مهمتها الاولى أن تخرج للامة فقهاء علماء يستطيعون أن يؤدوا حق الله في جلاء ثروتنا الفقهية الغنية ، القادرة على ايجاد الحلول لمشاكل أمتنا ومجتمعنا .

ومن اجل هذه الغاية أوصى بأن يتعرض المدرسون في قسم الفقــه ــ بتفصيل كان ــ الى المشكلات الاجتماعية المعاصرة ، والتماس حلولها في الفقه الاسلامي ، كتحديد الملكية ، وتعدد الزوجات ، والطلاق وما الى ذلك . كما أوصى الاقتراح على مجلس الكلية بلفت أنظارالاساتذة والمحاضرين في غير المواد الشرعية ، أن تكون دراستهم مقارنة بالفقه الاسلامي بقدر الامكان ، وبأن يقوموا بتأليف كتب خاصة في المواد التي يقومون بتدريسها .

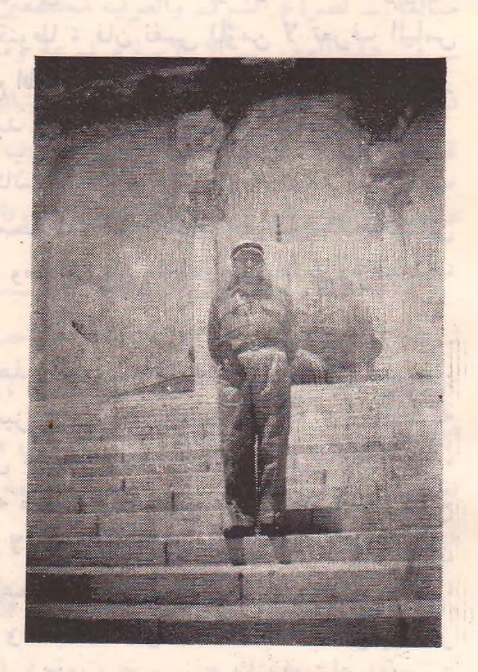
وبعد أيام قلائل جمع القسم أيضا ووافق على مقرراته الدرسية . وأوصى باهتمام مدرس الفقه بالملكية وتبيين أنها في الفقه الاسلامي مقيدة وليست مطلقة ، ورغب اليهم بأن يستعينوا بالتفصيل التام بالنصوص الفقهية ، في كافة المذاهب الاسلامية ، لتقرير هذه الحقيقة في أذهان الطالبين .

هذا أهم ما ورد في جلسات ثلاث ، لقسم الفقه الاسلامي في اثني‌عشر يوما بين ١٩٦٤/٩/١٥ و ١٩٦٤/٩/٢٦ ، كان آخر اجتماع القسم ، يوم السبت المتمم العشرين من جمادى الاولى عام ١٣٨٤ هـ والموافق٩٦٤/٩/٢٦ وفي يوم السبت السابع والعشرين من جمادى الاولى ، أي بعد آخر اجتماع للقسم به ، باسبوع واحد فقط ، أسلم روحه الحفية الى مولاه الحفي .

رحم الله ابا حسان ، لقد كان متفانيا في الدعوة . وكان متفانيا في الفقه الاسلامي . وكان من أشد العاملين في حقله . حرصا على حسن عرضه ، وتبيينه للناس والتمكين له في الارض .

..وأفل النجم الحبيب!

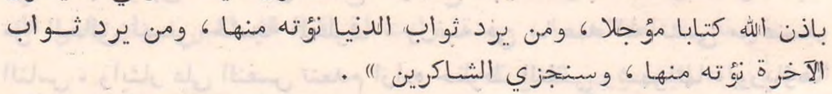
للدكتور حسن هويدي



لقد غاب الكوكب الساطع وأفل النجم الحبيب ، وخفت الزئير الذي رددت صداه رحاب الشام وروابي فلسطين ، لقد مات مصطفى السباعي ، فانا لله وانا اليه راجعون .

لقد مات مصطفى السباعي، وان في الديار حنينا ، وفي الصدور أنينا ، وفي العيون عبرات ، وفي النفوس زفرات وفي القلوب حسرات ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

لقد مات مصطفى السباعي ، « وما كان لنفس أن تموت الا



باذن الله كتابا مؤجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزي الشاكرين » .

لقد كان وقع النبأ على الجميع فاجعا وأليما : أما من عرف الاستاذ فقد أخذ منه الحزن كل مأخذ ، وأما من سمع بفضائله ومآثره فقد هاله الامر وأدرك أن فقده خسارة للبلاد ، وأما من كان خصما له ــ ولا يسلم انسان من خصومة ــ فقد صرح ان البلاد فقدت رجلا من رجالها له مكانه الذي لا ينكر ، والفضل ما شهدت به الاعداء .

ان خسارة البلاد بفقدان الرجال خسارة لا تعوض ــ ما لم يكن لها من الخلف من يقوم مقام السلف ــ فان رجلا بأمة وان أمة برجل !

واذا لاحظنا أن أمتنا قل ما تنجب ، في القرون الاخيرة ، من الافذاذ

والفحول ، كما كانت تنجب في القرون الاولى ، أدركنا فداحة الخسارة ، وعظم المصاب .

ان القائد يبكى ان فقد بين القادة ، فكيف لا يبكى وقد ندر القادة ، والقائد يبكى اذا خلا مكانه ، فكيف لا يبكى اذا كان فريــدا بين أقرانه ، فالحزن عليك يا أبا حسان ، حزن على فقد القائد ، وندرة القائد ، ونوعية القائد ! ولا يعني ذلك يأسا ولا قنوطا ، فان نفس المؤمن لا تعرف اليأس ولا القنوط « انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » وانما هي الامور تقدر بقدرها ، فلا ينكر حق الفقيد الغالي ، ولا ييأس من فضل الله .

يعرف الرجل في الامة أنه كاتب أديب ، أو شاعر أريب ، أو خطيب مصقع ، أو فقيه محقق ، أو قائد مجاهد ، فما بالك برجل كان هذه الفضائل مجتمعة ، وقل أن تجتمع لرجل ، وما كان في واحدة منها الا ذروة السنام، وقبلة النظر .

سوف يتحدث الكثيرون عن هذه الجوانب المتعددة، والفضائل المتنوعة، ولكن لا بد لكل عبقري من لون يتميز به ، وخط واضح يعرف به ، والخليقة الاولى التي كانت أساس الفضائل عند الاستاذ رحمه الله هي الاخلاص ، ذلك الاساس الذي لا يقبل بدونه عمل ، ولا يصلح بغيره عامل . صحيح أن الاخلاص من أعمال القلب التي لا يطلع على حقيقتها الا الله تعالى ، ولكن لتلك الاسرار علائم ، تظهر على الاعمال ، وأمارات تترجم عنها التصرفات ، فكما أن الايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل ، فكذلك الاخلاص يستقر في القلب وينبيء عنه عمل صالح ، وكفاح مجيد ، وثبات خارق ، وخشية من الخالق تنسي خشية المخلوق ، ورغبة في ما عند الله تنسى ما عنــد الناس ، وايثار على النفس تنعدم ازاءه حظوظ النفس وشهواتها ، ورياؤها ونفاقها ، فلا ترغب ولا ترهب ، ولا تصل ولا تقطع الا لله .

واذا كان الاستاذ رحمه الله قد تجلت في أعماله هذه الدلائل ، وظهرت على تصرفاته هذه الامارات ، حتى كان فيها مضرب المثل . فلقد ولدت له هذه الخليقة العظيمة ، خصلتين جليلتين كانتا بارزتين في حياته ، واضحتين في سيرته هما الثبات وعلو الهمة . أما الاصرار والثبات . فما رأيناه رحمه الله ، يجول في ميدان ، أو يصول في معركة ، الا ويتجلى في جولاته الثبات الخارق ، والعزم النادر . فكأنما يريد أن يزيح بصدره الجبال . أو يذيب بصبره الحديد . ولقد جاوز في ثباته وصبره حدود ما كلف الله به عباده

من صبر وثبات ، وتعرض للاخطار ، فرحمه الله واكرمه وأجزل مثوبته واذا كان علو الهمة يقاس لدى الرجال بما يلاقونه من أهوال وما يتصدون لـه من مخاطر ، فاحسب أن رجلا في هذا العصر لا يحلق الى ذلك المستوى الرفيع ، ما لم يجر على منوال الاستاذ رحمه الله حينما تصدى ــ دون مبالغة ــ لصراع الشرق والغرب مجتمعين . ان المجاهد المسلم الذي يأبى ــ في هذا العصر ــ الا الاسلام شرعة ومنهاجا لا بد أن تقف في وجهـه دول الارض مجتمعة ، وهكذا كان الاستاذ رحمه الله مثلا للشباب في همة قعساء تصدت للاهوال العظام ، والخطوب الجسام وما أجدره بقول المتنبي:

على قدر أهل العزم تأتى العزائم   وتأتى عـلى قدر الكرام المكـارم

لقد أخلصت يا أبا حسان حتى نسيت نفسك ومالك وولدك ، ولقـد ثبت وصبرت حتى هددت كيانك وطرحت بصحتك وعافيتك ، وأنت في كل ذلك مما أصابك لا تشعر أنه أصابك ، وانت تقترب من الموت ولا تشعر أنك قريب من الموت ، ولقد وافاك الاجل وأنت بمنأى عن التفكير في الاجل تغمرك نشوة الاخلاص ، وتسحرك نفحة الجهاد حتى قضيت وأنت على قدم الثبات . فما أحراك بقول أبي تمام :

واثبت في مستنقع الموت رجـله   وقال لهـا من تحت اخمصك الحشر

ولقد علت همتك حتى سخرت بقوى الشرق والغرب ومن يدين بدينهما ويسخر نفسه لمصالحهما ، حينما رأيت أن قوة الله أكبر ، وأن بأس الله أشد ، وانه اليه يرجع الامر كله .

فاين أين مثل اخلاصك يا أبا حسان ؟ !

وأين أين مثل ثباتك الخارق أيها المجاهد الصادق ؟ !

وأين أين علو همتك أيها القائد الصابر !

فمثلك تكون الرجال اخلاصا وغيرة ، وثباتا وتضحية ، وسموا وعلو همة ، وعلى مثلك تحزن القلوب ، وتفيض العيون بالعبرات ، لقد كنت لنا يا أبا حسان ، عبرة ناطقة مجسمة في حياتك ، وأنت لنا اليوم ذكرى عظيمة بعد مماتك ، وانه وان كانت ذكرى الموت مؤلمة ، لكنك لنا اليوم روضة من

المفاخر العطرة ، وجنة من الفضائل النضرة ، غراسها الاعمال الصالحة ، والاخلاق العظيمة ، والتضحيات النادرة ، سقيتها بماء الايمان ، وآزرتها بروح اليقين ، فأتت أكلها كل حين باذن ربها : « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء . تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون » .

رحمك الله في المجاهدين الصادقين ، وحشرك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، والسلام عليك حيا وميتا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

اذا فوجئت

اذا فوجئت بنزول المصائب فلا تيأس من زوالها ، واذافوجئت بتغير الزمان فلا تلجأ الى الشكوى منه واذا فوجئت بتغير الاخوان فلا تكثر من انتقاصهم ، واذا فوجئت بالمرض المؤلم فلا ترفع صوتك بالانين منه ، واذا فوجئت بارتفاع الاغمار فلا تستمر في استصغار شأنهم ، واذا فوجئت بتحكم الاشرار فلا تقنط من زوال حكمهم واذا امتدت بك العلة ، فلا تيأس من رحمة الله ، واذا رأيت في دنياك مالا يعجبك ، فاعلم أن هذه هي سنة الحياة ، واذا راعـك انتشار الشر ، فاعمل على مكافحته ان استطعت ، والا فتربص به حتى تواتيك منه الفرصة ، واياك أن تيأس من انكماشه ، ولو غمر المجتمع الذي تعيش فيه واذا راعك رواج الكذب والباطل ، فلا تشك في أن الله سيفضحه ولو بعد حين .

مصطفى السباعي

مُصطفى السِّباعي

قائد ترك مكانه شاغراً يندبه

للأستاذ محمد خير الجلاد

ان القلب ليقطر حزنا وحسرة ولوعة على فقيد الاسلام الراحل الدكتور مصطفى السباعي الذي ترك مكانه شاغرا مقفرا يندبه ويبكيه ، والذي ترك من ورائه المحافل والمنابر يعتليها ، ويخطب جماهيرها ، يقودها نحو الحق والخير والنور تحت راية الاسلام .



لقد كان الفقيد الراحل من الافذاذ النادرين في تاريخ القرون والاجيال في مجال الدعوة الى الاسلام ، قل أن يجود الزمان بمثله ، وقد لا يجود ، فقد آتاه الله المزيد من فضله والسابغ من نعمه ، ووهبه الكثير من الصفات العالية المجتمعة فيه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ويختص به من يريد .

لقد كانت الصدمة بوفاة الفقيد عنيفة مذهلةومؤلمة قاسيةلان الخسارة بفقده لم تقتصر على الذين يعرفونه ويحبونه من آله وذويه وأصدقائه بل تجاوزت حدود الاسرة الصغيرة في داره وتخطت حدود الاسرة الكبيرة من اخوانه واصدقائه الى حدود المجتمع الاسلامي الكبير الذي خسر بفقده الرجل المدافع عن الاسلام بقلبه وقلمه ولسانه بقوة واندفاع وايمان .

فقد كان ــ رحمه الله ــ في طليعة الدعاة الى الاسلام على هــدى وبصيرة وقد أوتي القدرة العجيبة في عرض هذا الاسلام عرضا علميــا أدبيا منطقيا مدعما بالادلة والبراهين مؤيدا بالشواهد والامثلة التي تلجىء الى الاقتناع العقلي والاطمئنان الوجداني بصحة الاسلام وصلاحيته للحياة في كل زمان ومكان وتثبت ان الاسلام وحْده أفضل ما تتمسك به الكتلة البشرية من عقائد ومبادىء وان العلم والتاريخ والواقع يؤيد صلاح الاسلام للحياة وقدرته على الانقاذ والاسعاد .

وأن المسلمين اليوم يحتاجون أشد الاحتياج الى ذلك الايمان القوي والى تلك الثقافة الاسلامية الصافية والى التطبيق العملي للاسلام حتى يستطيعوا أن يثبتوا وجودهم ويوحدوا صفوفهم تجاه الهجمات المختلفة وحتى يحافظوا على هذا الاسلام العظيم الذي يؤمنون به ويدعون اليــه ويدافعون عنه ليكونوا بعد ذلك خير أمة أخرجت للناس . وهذه المطالب كلها تحتاج الى تعبئة طاقات اسلامية قوية وحارة تحقق الامل وتبــدأ العمل وتحمل الدعاة الى الاسلام ــ كموجهين ودعاة ــ أن يكونوا صفــا متراصا يشد بعضه أزر بعض وان يندفعوا نحو العمل الاسلامي المنتج اندفاع السهم الهادف بعزم وتصميم .

وقد كان الفقيد الراحل مثالا حيا للمؤمن الصادق فقد عمل للاسلام طوال حياته من غير كلل أو ملل كان يعمل ليل نهار من أجل العمل للاسلام وطالما تسنم المنابر التي لا تكاد تعرف سواه ولا تخضع الا له وطالما خطب الجماهير التي كانت تشرأب بأعناقها اليه وتترنح بجوارها بين يديه كان يملك ناصية الكلام الهادر والبيان الساحر دون توقف أو ابطاء كأنما أعده

في نميقة أو حفظه من صحيفة وكان يمتلك القلوب يديرها كيف يشاء ويتصرف بها كيف يريد يرسم الطريق ويحدد الهدف ويصل بالمستمعين الى حيث يريد :

كل ذلك كان من وحي ايمانه وحرارة وجدانه واندفاع طاقته المؤمنة نحو تحقيق المثل الاسلامي الاعلى في الحياة واظهار شعائر الله فوق هذه الارض والسير بالناس نحو الطريق المستقيم .

وقد كان الفقيد الراحل يجود — في سبيل هذا الاسلام — بكل شيء ويندفع لاداء واجبه بكل قواه بل كان يريد التهام الواجبات يقضيها في ليال ويؤدي رسالته في أيام فينطلق لا يلوي على شيء وينهب الطريق الذي يريد لا يعبأ براحة حتى أقعده المرض وأمضه الالم ولازمته العلة فاذهلته الصدمة التي نزلت به وأحنت عليه فسكن لها وأطمأن لقضاء الله حتى اذا أفاق من ذهوله وثاب الى نفسه عاد مرة أخرى الى العمل الدائب يسهر فيه الليالي الطوال فعكف على الكتابة في مجلة الحضارة وغيرها . واعتزل يؤلف كتبه في العلم والتشريع والادب وأخرج منها طائفة ممتعة أضيفت الى المكتبة الاسلامية الى ان توفاه الله منكبا على انجاز مؤلفه الجديد في السيرة بعد أن أعد العدة للسفر الى مكة .

وهكذا نجد في حياة الفقيد أروع الامثلة وأبلغ العبرة في جهاده المتواصل في صحته ومرضه وحضره وسفره مما يدعونا ان نمعن كثيرا ونتأمل طويلا أعمال هذا الرجل العظيم ولنتعرف آثار الايمان في الرجل المؤمن وندرك ان هذا الايمان يفعل ما يشبه المعجزات عندما يستمد المؤمن طاقاته الموهوبة من الله وينطلق بها في كل مجال من مجالات العمل الاسلامي

ومهما يكن من شيء فان شخصية الفقيد الراحل تحتاج الى مؤلف خاص تبرز فيه مزاياه وصفاته التي أهلته ليكون مرشدا وموجها وقائدا شريطة أن يكون الاسلوب الذي يكتب فيه المؤلف مقصودا به توجيه الاجيال الاسلامية الصاعدة لتكون حياته قدوة وأسوة في مجال السلوك الاسلامي لعلهم ينتهجون سبيله ويستارون سيرته فتكون الجهود المبذولة لاخراج هذا المؤلف مباركة طيبة وقبسا للاجيال المؤمنة في طريقها المحفوف بالحواجز والاشواك .

رحم الله الفقيد رحمة واسعة وجعله في الفردوس الاعلى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا .

٢٨

من كلماته الخالدة

جيل من المفاخر

يحملونه في نعش ويغيبونه في رمس

نص الكلمة الرائعة التي كان قد ارتجلها فقيد الاسلام الدكتور السباعي على قبر الامير شكيب أرسلان ساعة دفنه عليهما رحمة الله بتاريخ العاشر من كانون الاول سنة ١٩٤٦ م ، وهذه الكلمة جديرة بأن تقال اليوم في صاحبها ، كما أنها تعرض جانبا من أدبه الرفيع ، وبلاغته حين الارتجال ، مما لا يتأتى للادباء الكبار الا بعد طول تدبر وعناء ..

سلام عليك أبا غالب ... أمير الجهاد أمير القلم
هتكت برأيك حجب الظلا ... م وثرت اباء اذا الخطب عم
وطوفت في الارض تبغي السلا ... م لقومك والحق ممن ظلم
فخضت الغمار وصنت الذمار ... وكنت الامام وكنت العلم
وما زلت تفضح كيد الالى ... بغوا في البلاد وخانوا الذمم
وترشد قومك للواضحات ... تنير العقول وتذكي الهمم
الى أن أصاخ لك المسلمو ... ن ولبى نداك أسود الاجم
فآن لجسمك أن يستريح ... وتهجر روحك دنيا الألم
أصبت بدنياك مجد الخلود ... وعند الاله الثواب العمم

ايه أبا غالب ! يا مالىء الدنيا وشاغل الناس ! يا من كنت الى آخر أيامك في الحياة تنصح وترشد وتعلم وتوقظ ، فما عرف فكرك الجمود . ولا جسمك الراحة ولا قلمك الركود ، وانما كنت ثورة جامحة ، تزلزل أركان الاستعمار بما تنفخه في العرب والمسلمين من آيات هي النار والنور ، وهي القوة والحياة ، فكافأك العرب والمسلمون بالحب والاعجاب ، وعاقبك المستعمرون بالتشريد والاغتراب ، أما هؤلاء فقد رأو بأعينهم أن ما بيتوه لهذه الامة من كيد أفسدته عليهم الاقدار ، وأما أنت فلقد رأيت في حياتك ثمرة جهادك ! لقد رأيت أوطان العروبة تحطم القيود وتسير نحو المجد ، وبلاد الاسلام تسري فيها هزة عنيفة من اليقظة والوعي والنهوض ، وها

أنت يا أبا غالب تدفن في أرض تحررت من الاجنبي فلم يبق له فيها جيش ولا مستشارون ، ولا سلطة ولا أمر ولطالما أعلنت على جيش الاستعمار وسلطانه حربا عوانا وكنت لآمال قومك في الجلاء حجة وتبيانا . ولو قدر لك أن تعود الينا لحظات لرأيت هذه الجموع تبكيك بكاء الثكلى ولرأيت في بلاد العروبة والاسلام مناحات ومآتم ، وقد خلف نعيك في كل عين دمعة ، وفي كل قلب حسرة ، وفي كل نفس زفرة ، فسلام عليك في الاولين ، وسلام عليك في الآخرين وسلام عليك الى يوم الدين .

يا أيها المسرعون بفقيد العروبة والاسلام ! تمهلوا قليلا ! رويدكم لا تعجلوا ! انكم لا تحملون على أعناقكم رجلا وانما تحملون جيلا من المفاخر اعيا التاريخ احصاؤها وتسجيلها . وانكم لا تدفنون انسانا كسائر الناس ، انما تدفنون أمة ، وتغيبون في أطباق الثرى آمال شعوب ، ورجاء أجيال كانت كلها ترى في الامير امامها وعلمها وباعث نهضتها ، ومبدد ظلمات حياتها .

قفوا يا حملة النعش ! فما ينبغي للاب الروحي للجيل المؤمن ، والقائد الامين للركب المسرع ، والمعلم الثبت للامة المتعطشة للحقيقة ، والخصم اللدود للقوى الباغية المستعمرة ما ينبغي له أن يدفن هنا في مكان ناء وفي أرض جرداء ، ان مكانه مع أبطالنا الخالدين ان مكانه في دمشق مع صلاح الدين ! لن يدفن امام العروبة والاسلام الا في عاصمتها ، ولا يستقر زعيم أبطالنا في تاريخنا الحديث الا مع زعيم أبطالنا في تاريخنا القديم ، ليس مكان الامير المجاهد الا بجانب السلطان المجاهد ، هناك يجب أن يرقد جسمه الرقدة الاخيرة أما حقيقته ، أما تعاليمه ، أما صرخاته ونداءاته ، أما شكيب أرسلان فانه لن يموت ولن تنطفىء شعلته ، ان محله في القلوب وان مثواه في النفوس التي انطوت على حبه وستورث هذا الحب للاجيال المقبلة جيلا بعد جيل ، ما دام في الدنيا عرب ، وفي الدنيا مسلمون . . .

يا آل الفقيد وقرابته وبني عشيرته ! لستم أنتم الذين فقدتموه فحسب ، ولستم في المصيبة به وحدكم تبكون وتألمون ، وليس ابنه وحده هو الذي أصيب باليتم من بعده انما فقدته الرجولة والبطولة والحقيقة ، وانما أصيب به اليعربيون والمسلمون وأبناء الشرق قاطبة ، وانما أصيب باليتم أبناؤه الذين أفاقوا في الحياة على عذب ألحانه ، وسحر بيانه ، وآيات جهاده في قلمه وتبيانه . نحن الشباب المؤمن في دنيا العروبة والاسلام !

نحن الذي فقدناه فالينا قدموا العزاء ، ومنا انتظروا البكاء ، وفي قلوبنا فتشوا عن اللوعة والالم . ولنا فاسألوا الصبر والسلوان . وانا لله وانا اليه راجعون .

يا روح الفقيد العظيم ! انطلقي اليوم في دنيا الخلود . فلطالما كنت في هذه الدنيا حبيسة سجينة ، وغردي ما شئت أن تغردي ! فلطالما كان تغريدك في دنيانا ألما وبعثا وايقاظا ، وانطلقي يا روح الفقيد في دنيا لا تعرف الظلم ولا البغي ولا المكر ولا العدوان وابحثي عن أرواح أبطالنا الخالدين فبلغيهم الشكوى ، وبثي اليهم الاحزان وانقلي اليهم من دنيانا ما يكون أعجوبة الاعاجيب في دنياهم ! غردي يا روح الامير وانطلقي وارتعي ثم رفرفي علينا دائما وأبدا ، وذكرينا الدين في أسمى معانيه ، والوطنية في أقوى مظاهرها والعلم في أوسع آفاقه ، والوفاء في أروع آياته ، سلام عليك يا روح الأمير ورحمة الله ورضوانه وبركاته .

مصطفى السباعي

الى أمي . . .

من كلماته التي لم تنشر

رأيتها تذرف على ولدها المريض دمعتين وهي جالسة الى جانب سريره تحاول أن لا يراها ولدها وهي تبكي رحمة به من أن يتألم لالمها . .

يا رحمتاه للام تألم على ولدها وتحاول أن لا يألم لالمها فبماذا يستطيع الولد أن يكافىء أمه ؟

اللهم انا قد وهبنا لامهاتنا ثواب أعمالنا التي رضيتها . ولهن فيه قسط كبير . فتقبل ذلك منا رحمة بنا وبأمهاتنا انك أنت الكريم الرحيم .

مصطفى السباعي

السباعي قائد بطل

افتقدناه على مدرجة الحق والخير والجمال

للأستاذ الشيخ فهيم أبو عبية
رئيس البعثة الأزهرية في لبنان

أبكيه لو نقع الغليل بكائي — وأقول لو ذهب المقال بدائي
وأعوذ بالصبر الجميل تعزيا — ان كان في الصبر الجميل عزائي

وهل يجدي في فقد السباعي بكاء ؟ ولو أسال العيون عبرات ؟ وهل



يغني رثاء ، ولو حول القلوب زفرات ؟ ما أظن .. ما أظن البكاء المفجع يخفف عن القلب أساه ، وما اخال الرثاء المروع يهدء من لهيب أساه ، وما أظن أننا نستطيع بعبرة تراق ، أو كلمة تقال نعتصم بعيدا عن لوعة دامية ، وفجيعة قاسية زارت أرواحنا ، وخيمت على وجودنا حين رحل السباعي عن دنيا الناس .

ان الالم حين يتصل بالعاطفة يخف بمرور الزمن ، ولكنه حين ينبع من ادراك العقل ، وحاجة الحياة فان مرور الزمان لا يزيده الا ضخامة وجسامة وقسوة . وحزننا على الفقيدالراحل حزنالجماهير المتطلعة الى الحق المؤمنة به ، فقدت على مدرجة الطريق ، قائدا بطلا ، وهاديا بصيرا ، ومؤمنا حرا ، وموجها الى الخير والى الحق والى الجمال ، في أروع مظاهر الخير والحق والجمال .

فنحن حين نبكيه ، نبكي نفوسنا لما فقدت ، وحين نرثيه نرثي حظنا لما اصيب ، فان مصطفى السباعي لم يكن في دنيا الناس فردا من الافراد ، ولكنه في حقيقته كان طودا من الاطواد ، رجل فهم الاسلام عقيدة وشريعة وسراجا ومنهاجا وانبثقت انوار فهمه الى اغوار قلبه ، فاتصل عقلهبوجدانه فاذا هو لسان ناطق بمحاسن الاسلام ، وقلب خافق بمحبته ، وداعية موفق للناس يدلهم على الطريق الذي ارتضاه الله لعباده ليسعدوا ويمجدوا ويعيشوا كراما وسيظلون يبحثون عن حقيقة السعادة ، وحقيقة المجادة وحقيقة الكرامة حتى يسيروا في نفس الطريق ، الطريق الذي دعا اليه السباعي ، ومن قبله دعا الابرار الاخيار بزعامة خاتم رسل الله محمد بن عبد الله استجابة لامر الله ((**وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه**)) .

يوما سئل النبي محمد صلى الله عليه وسلم . ((أي جلسائنا خير يا رسول الله فقال من ذكرتكم بالله رؤينه ، وزاد في علمكم منطقه ، وذكركم بالآخرة عمله)) ومصطفى السباعي كان هذا الجليس الخير الذي أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون نعم الجليس لمن يريد أن يقيس الحق ويأخذ الخير ويستقيم على الدرب ويوما قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم ((**لفقيه واحد أشد على الشيطان من الف عابد**)) وكأنه يعني فيما يعني فقيدنا الجليل الكبير الذي فهم الاسلام رسالة حياة . وتعمق فقهه بفكر عميق لا تتكاءده عقبة ، ولا تقف امامه مشكلة . ويقوم بينه وبين الحياة انفصال شبكي بحيث لا يمدها بعلاجاتها ولا يقدم لها ما تحتاج اليه من

أغذية حين تحتاج الى الغذاء ، ومن دواء حين تهفو الى الشفاء ، لان الفقه الاسلامي مدد لا ينفد لكل ما يعالج امراض الحياة ويحل مشكلاتها .

ان العيب ليس في الاسلام وليس في الفقه الاسلامي وليس في تشريعات الاسلام ، انما العيب في عقول تريد أن تقف متحجرة جامدة بحجة الغيرة على الدين فتغلق عليه الابواب ، وتضيق من حوله الرحاب ، وتثير في وجه الباحثين التراب ، حتى يقف الفقه لا يتحرك مع ان الاسلام دين الحياة منذ كان وسيظل دينها في كل زمان ومكان الى ان يطوي الله الارض ومن عليها ، وليس يستطيع الاسلام ان يواجه الحياة الا اذا كان متجددا بحيويته وقوته وسره وسحره وصلاحيته ، والا اذا تصدت له عقول راجحة فاهمة وازنة مستوعبة أخلصت لله واخلصت للحق وجاهدت من أجل ان تجعل هذا الدين مددا للانسان في كل مشاكله ومن هذه العقول الراجحة الوازنة المتفتحة كان عقل فقيدنا الكبير مصطفى السباعي .

لم يكن الرجل جامدا ، ولم يكن متهورا ، فالتهور منقود ، والجمود منقود وخير الامور أوساطها ، ولم يكن الرجل مقلدا ولا متبعا الا الحق ، وانما كان يؤمن بأن من حق العقل ان يبحث وان يدرس ، ومن حق المجتمع على العقل ان يبحث وان يدرس ، ومن حق الانسانية على عقل العالم المسلم ان يبحث وان يدرس ، وان يمتص ذلك الرضاب الكريم في تشريعات رب العالمين ثم يقدمها جنىً شهيا فيه شفاء للقلوب والعقول ومن هؤلاء كان فقيدنا الكبير مصطفى السباعي .

ولم يكن مصطفى السباعي جبانا ولا خائفا ولا رعديدا . وانما واجه الناس بما يؤمن أنه الحق وأنه الخير وهو يقدر أن الجماهير ربما تثور ، وان من وراء تلك الجماهير السنة كثيرا ما تلغو بالباطل وتتكلم بغير النافع وتستمد ألفاظها من حقد دفين مبعثه العجز والقصور والتخلف والرغبة في الاستعلاء الباطل الذليل ، ولكن المؤمنين بكرامة الكلمة ، وكرامة الحق وحق الانسان في ان يتعرف على الجمال صافيا ، اولئك لا يهمهم أن يغضب الناس أو يرضون انما هدفهم ان يرضى الحق :

فليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب
اذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

ومن هؤلاء كان فقيدنا الكبير مصطفى السباعي رحمة الله عليه .

أيها الاخوة ان مصطفى السباعي لم يترك الراية الا ليد الموت الذي لا يقهر . كان يحمل راية الاسلام ، والوطنية ، والكرامة بقلبه لا بيده وبروحه لا بأنامله ، كان له لسان يسيل بالحق أدبا وكان له قلم يسطر في دنيـا المعارف ذهبا ، ولم يستعمل لسانه لفتنة ولم يحركه لضر ، ولم يحرك قلمه تملقا ، وانما خدمة لفكرته ، الفكرة الكبرى التي ارتضاها الله لعباده دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا ، واذا كان مصطفى السباعي قد رحل فانما نشعر أن دينا من المعرفة والعقل والفضل والخلق والصبر الجميل عـلى المكاره ذهبت كلها ، وليس قليلا ان يذهب من مجتمعنا انسان كبير مناضل مجاهد ولكن الذي يرضي مصطفى السباعي في جنة الرضوان ان نسـير على الخطوة التي خطاها وان نواصل السير على الدرب الذي مشى فيه وأن نؤمن بحقيقة ديننا وحقيقة كرامتنا ، وحقيقة حريتنا ، وحقيقة حقنا في حياة لا تقل عن حيواة الناس ، فان لنا تاريخا يفضل كل تاريخ وان لنا مفاخر لا تقل عن أي مفاخر ، وان لنا تراثا تضؤل أمامه تراثات الدنيا واننا والحمد لله كثار وعار أن يغلبنا الاغيار .

ان مصطفى السباعي كان من الهداة الموجهين وخير ما يوجه من تحية اليه أن نتوجه بما دعا اليه من ايمان بالحق وبالخير وبالكرامة وبالحرية ، وبالصلاحية التامة للاسلام وبأن فيه علاج كل الامراض لكل الناس في كل زمان وفي كل مكان ، رحمة الله على السباعي وتحية له من قلوب مفجوعة لذهابه ومسح الله على قلوبنا المتألمة بالصبر الجميل . وانا لله وانا اليـه راجعون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

يا ولدي الصغير

يا ولدي الصغير ! ترى حين تصبح رجلا مثلنا يتطلبك الواجب أن تحمل المسؤولية ، أتكون في صف العاملين؟ أم تكون في جماهير الغافلين ؟ أيكون زمانك خيرا من زماننا ؟ أم أسوأ ؟ أيكون جيلك أفضل من جيلنا ؟ أم نكون نحن خيرا منكم ؟ لست أدري يا ولدي الصغير . ولكنني أدري أن من واجبي نحوك كأب أن أعدك لحمل المسؤولية وتجشم الصعاب . ورفع اللواء . وانارة الطريق لركب السائر . فان بلغت منك في ذلك ما أريد . فذلك خير وفق الله اليه ، والا فحسبي أن أؤدي الامانة . وأبلغ الرسالة . وألا تدعك تحاجني بين يدي الله . .

مصطفى السباعي

جولات السباعي

في ميادين الفقه .. ومآثره في خدمة العلم

للدكتور وهبي الزحيلي

مدرس في كليـة الشريعة

الدكتور مصطفى السباعي طيب الله ثراه كان من نوادر العلماء في زمانه ، وآية من آيات الله في عصره ، وشخصية فذة ذات جوانب متعددة، فهو في خاصية نفسه مثال الرجل المسلم من الطراز الاول ، وفي مجتمعه عنوان الاسلام في اخلاصه ودعوته ، وجهاده وثورته ، وفضله وأثره الخالد.

ولقد ترجم عن نفسه الكبيرة في مجالات مختلفة أبرزها ناحية الدعوة الخالصة لله والرسول ، ثم ناحية التأليف ، وقد تعددت تآليفه حتى أربت على خمسة وعشرين مؤلفـا تنـاول فيها موضوعات شتى في ميدان الفكر وأهمها : الفقه والسياسة والاقتصاد والاخلاق والاجتماع ، وفي أغلبهـا عناية خاصة بالرد على الشكوك والتهم التي يثيرها المستشرقون والمستغربون والحاقدون على الاسلام ، وأبرز مثال على ذلك دفاعه بالذات عن سنـة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفنيده لاباطيل المغرضين الذين تناولوا بعض الصحابة كأبي هريرة بالنقد والغمز والتجريح . ثم انه استطاع بفقهه وعلمه وذكائه النادر أن ينقل الفقه الاسلامي الى واقع الحياة وفي مجال التشريع والدستور السوري عام ١٩٥٠ م ، وبذلك تهيأ له أن يثبت صلاحية الشرع الاسلامي لكل شاردة وواردة وأنه عصب الحياة في كل ميدان .

ومن مآثره أنه استطاع أن يقنع الجيل المعاصر — في وسط موجة الحضارة الغربية — بقداسة الاسلام ومثاليته الرائعة وكفاءته وتميزه بنظام فريد ، ولا غرو في ذلك كله فقد أوتي لسانا قويا وحجة دامغة سرعان ما يتصاغر أمامها كل معارض ، وكأنه في خطبه الحماسية الشهاب المنقض الذي ينجلي به طريق الحق ويحترق به الباطل ، ومواقفه الخطابية المشهودة في مصر وسورية ولبنان أقضت مضاجع المستعمرين الذين اضطروا الى اعتقاله مرات ونفيه من القاهرة ، فكان لا يزداد الا تفانيا في جهاره بدعوته واقداما وجرأة في عراكه وصراعه مع المبطلين والافاكين .

ومن خصائصه أنه كلما لقيه انسان يكبره ويحبه ويجد بين جنبيه نفسا طافحة بالآمال متفائلة مستبشرة بمستقبل الاسلام السعيد .

وكتاباته لا تختلف عن حديثه ، فقلمه ولسانه صنوان ، وكلاهما في سياج من صدق العاطفة وتأجج الشعور ودقة الفهم واصابة الفكر وعمق الاخلاص ، حتى لكأن كل سطر قدّ من فلذات كبده واقتطع من أجزاء قلبه، فكانت مؤلفاته صورة حية عن نفسه العظيمة ، ونفسه مرآة صادقة عن كتبه ، مما يجعل القارىء فيها يشعر بأنه يعيش في جو الكاتب وتعتلج أفكاره ومحاكماته في ذهنه .

ومن مميزاته في كتبه أسلوبه الرائع في البيان ، فعباراته سهلة واضحة ، وديباجته مشرقة أنيقة ، وألفاظه كأنها السلسبيل العذب الرقراق الذي يتدفق بالحيوية والبهجة والحياة .

وبعد أن ألمحت لهذه الانطباعات العامة عن معرفتي الحديثة العهد به أود أن أخص كلامي عن السباعي رحمه الله في فقهه باعتباره رئيسا لنا في قسم الفقه الاسلامي ومذاهبه في جامعة دمشق ، اذ أنه رحمه الله رغم ما كان يعاني من آلام المرض يبعث الينا بتوجيهاته القيمة ويسدي الينا نصحه في التدريس ، ويخطط لنا معالم الطريق نحو انعاش الفقه الاسلامي وكتابته كتابة حديثة في رحاب « موسوعة الفقه أودائرة المعارف الاسلامية » حتى يستفاد من هذه الثروة الرائعة في الاوساط القانونية وميادين الفقه العالمية .

والحديث عن فقه السباعي يمكن استمداده من ثلاثة مؤلفات له ، أولها ــ « السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي » ، ثانيها ــ « اشتراكية الاسلام » ، ثالثها ــ « شرح قانون الاحوال الشخصية » . ونظرا لان الحديث يطول فيما لو اعتمدت على هذه الكتب الثلاثة ، فاني ساقصر كلامي على الكتاب الثالث في الاحوال الشخصية ، من غير تعرض للكتابين الاولين اللذين يتحدث عنهما غيري . وكل ما في الامر أننا نريد معرفة نموذج من فقه السباعي الذي يعطينا صورة ناطقة عن آثار سلفنا الصالح .

أما هذا الكتاب من الناحية الشكلية فيتكون من ثلاثة أجزاء بحسب الطبعة السادسة الاخيرة ، الجزء الاول ــ في الزواج وانحلاله ، والجزء الثاني ــ في أحكام الاهلية والوصية ، والجزء الثالث في أحكام المواريث .

وقد قسم الجزء الاول الى ثلاثة أقسام ـ الكتاب الاول ـ في الزواج وآثاره ويضم أربعة أبواب ، والكتاب الثاني ـ في انحلال الزواج ويشمل أربعة أبواب أيضا ، والكتاب الثالث في الولادة ونتائجها من كل ما يتصل بالنسب والحضانة والرضاع والنفقة .

واما من الناحية الموضوعية ، فقد شرح السباعي في الجزء الاول قانون الزواج في استعراض يتميز بالجدة والطرافة ، وفي أسلوب عصري جذاب ، وروح موضوعية متجردة نزيهة ، وكان يهتم على الاخص ببسط مقاصد التشريع الاسلامي في آفاقه البعيدة المدى ، ويسلط الاضواء على كل ما من شأنه الحفاظ على كيان الاسرة ، ومصلحة الاولاد ، واستئصال جذور المشاكل التي قد تؤدي الى هدم هذا الرباط المقدس ، وهذا واضح في الصفحات الاولى من الكتاب حيث أجمل ذكر المبادىء التي يقوم عليها نظام الاسرة في الاسلام فقال مثلا في ص (٢٠) محددا المعايير التي ينبغي للخاطب أن يختار بها مخطوبته وشريكة حياته : « ان سعادة الاسرة ، ونجابة الاولاد ، وحسن السيرة في المجتمع ، يتوقف على حسن اختيار كل من الزوجين للآخر ، اختيارا غير متأثر بعاطفة هوجاء ، أو مصلحة مؤقتة ، أو منفعة زائلة ، أو لذة عاجلة ، فان ذلك كله لا بد أن يؤدي بعد حين من الزواج الى انطفاء جذوة الحب ، وبرودة العاطفة بين الزوجين .. وانما ينبغي أن يكون الاختيار قائما على أساس يبقى ولا يزول ، ويقوى مع مرور الزمن ولا يضعف ، ذلك هو : **الدين والخلق** . والدين يقوى في الكهولة من حيث يضعف في الشباب ، والخلق يستقيم بمرور الزمن وتجارب الحياة ، فاذا اختار أحدهما الآخر لما يقوى مع الزمن وينمو مع العمر كان ذلك أضمن لاستمرار الحب ودوام المودة ، ألا ترى الزوجين في البيئة المسلمة المستمسكة بخلق الاسلام وتعاليمه ، لا يفكر أحدهما بخيانة الآخر ولا باستبداله ولا بكرهه ؟ ان الزوج ليدخل في سن الثمانين ، من حيث تدخل الزوجة في سن الستين أو السبعين ، ولايزال أحدهما يحن الى الآخر ويأوي اليه ، كما كان في عهد الصبا والشباب . انا نشاهد ذلك في **آبائنا وأمهاتنا ، ولا نعرف في البيئات المتدينة كثرة الخيانة الزوجية ، أو الشقاق العائلي أو النفرة التي تؤدي الى افتراق الاجسام واتخاذ الخلان .**

هذا هو الاساس الذي يختار عليه كل من الزوجين صاحبه وشريكه في الحياة .. وهو أساس وضعه الرسول الكريم بقوله : **تنكح المرأة لاربع : لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها ، فاظفر بذات الدين »** .

ثم في ص ٢٢ بين أساس حقوق وواجبات الزوجين ، وهو التكافؤ الا في رئاسة الاسرة . وقال في تبرير انقاص بعض حقوق المرأة ص ٢٣ : « كل ما منع الاسلام منه المرأة دون الرجل ، أو نقص نصيبها عن نصيبه . . فذلك لاعتبارات اجتماعية وحقوقية واقعة ، لا تتنافى أصلا مع كمال أهلية المرأة وكرامتها في حياتها الزوجية ، كما لا يتنافى منع الموظف من التجارة ، والجندي من الانتماء الى الاحزاب السياسية ، مع كرامتهما وحقوقهما المتساوية مع بقية المواطنين » .

وبالمناسبة يجدر أن نذكر قوله في الحكمة من تعدد الزوجات قال في ص ٢٤ : « وكما كان الاسلام واقعيا في نظام الطلاق واباحته للحاجة كعلاج لشقاء الزوجين وتعاستهما ، كذلك كان واقعيا حين أباح تعدد الزوجات ، ومهما قيل في أضرار التعدد ، فان واقع الحياة يجعل هذا التعدد في ظل الشرائع التي لا تبيحه أمرا محتما ، كما يقع في ظل الاسلام الذي يبيحه ، غير أن الاسلام يجعل للتعدد حدودا وشروطا ، وللنساء اللاتي يتصل بهن الرجل عن طريق التعدد المشروع حقوقا وكرامة وواجبات يلتزم الرجل القيام بها نحوهن ونحو أولادهن » .

وقد حدد في ص ١٨٦ الحالات الشخصية التي تبيح التعدد سواء أكانت فردية كالعقم والمرض المزمن أو المعدي أو الكره بين الزوجين ، أو اجتماعية كقلة الرجال وكثرة النساء في حالات الحروب والاوبئة بسبب كثرة الايامى .

ولحرص الاسلام في البقاء على الحياة الزوجية اعتبر الطلاق أبغض الحلال الى الله ، لهذا يجب أن يعتمد في موضوع الطلاق الخطير على التوجيه والتهذيب وتجنيد كل الامكانيات ووسائل الاعلام كالجرائدوالاذاعة لتنفير الناس من الاقدام على أفتك سلاح يقوض دعائم الاسرة . وقد أشار السباعي رحمه الله الى الحكمة من الطلاق فقال في ص ٢٣٣ : « الاسلام دين واقعي مثالي ، فهو لا يجعل الواقع أساس تشريعه . ولا يهمل المثل العليا مع معالجة الواقع بروح تتسم باليسر وتحقيق المصالح . والاسلام يحتم في عقد الزواج أن يكون للتأبيد ولا يجيز تحديده بمدة معينة ، ولكن الواقع الانساني عبر التاريخ القديم والحديث يثبت أن الحياة الزوجية المؤبدة تصبح في كثير من الاحيان مستحيلة التحقق . بسبب ما ينشأ بين الزوجين من خلافات وخصومات وتباين في وجهات النظر »

وأردف قائلا في ص ٢٣٦ : « ونعتقد أن هذا الاسلوب الذي سلكه الاسلام ـ وهو مطالبته بحل النزاع الزوجي بالمعروف والتحكيم ـ هو الاسلوب العملي المتفق مع المبادىء الاخلاقية ، وقد وجدت الشعوب المسيحية نفسها مضطرة آخر الامر الى اباحة الطلاق ، ولكنها لم تقيد اجراءاتهبالقيود التي جاء بها الاسلام ، فساءت الحياة الاخلاقية في الغرب . وفككت روابط الاسرة ، وفقد الزواج قدسيته وهيبته ، وفي الاحصاءات التي تنشر عن الطلاق والزواج في الغرب ما يؤكد ما نقول » .

ومن الموضوعات الهامة في الاحوال الشخصية قضية تحليل المرأة لزوجها الاول بعد البينونة الكبرى ، وقد أحسن السباعي في كتابه في تصوير الحكمة في عدم حل المطلقة ثلاثا لمن طلقها الا بعد الزواج من آخر، فقال في ص ٢٤٤ : ان الحكمة في ذلك هو ان ايقاع الطلقة الثالثة لا يكون الا بعد استفحال الخصومة بين الزوجين بحيث يكون استمرار الحياة الزوجية مع ذلك شقاء ليس بعده شقاء ، ولو أبحنا له أن يعود الى الزواج منها بعد طلاقها للمرة الثالثة ، ثم يعود فيطلقها ، ثم يعود فيراجعها ، لكان ذلك عبثا في الحياة الزوجية ، وفسح المجال لاستمرار تعاسة الاسرة الى ما لا نهاية له . فلا بد من جعل حد يقف عنده هذا الخلاف . وذلك بأن لا نسمح للزوجين بالعودة الى الحياة الزوجية بعد الطلقة الثالثة الا بعد أن تكون قد تزوجت آخر ، وجربت الحياة الزوجية بعيدا عن زوجها الاول ، فاذا عادت اليه بعد ذلك عادت بروح جديدة وخلق جديد » .

وقد انفرد السباعي رحمه الله تعالى بين مؤلفي الاحوال الشخصية بالتعرض لبعض الموضوعات الهامة في تأصيل الزواج مثل : هل الزواج عقد مدني أم ديني ؟ وقد انتهى في ص ٣٣ الى انه عقد مدني محاط باطار ديني . ومثل خطبة المرأة على المرأة لرجل ما في ص ٥٥ ومثل فقدان الاهلية الاعتبارية لعدم قدرة الزوج على الانفاق على زوجة ثانية . أو لعدم التناسب بين الخاطبين سنا في ص ١٥٠ ومثل : حكمة منع زواج المسلمة بغير المسلم ص ١٩٣ فقال في ص ١٩٨ : وقصارى القول : ان زواج المسلمة بغير المسلم ليست مشكلة اجتماعية تضطرنا الى تغيير النظام العام للجماعة، بل مشكلة أفراد معدودين متأثرين بانفعالات عاطفية شديدة مؤقتة ، ليس لها صفة الدوم ، ومثل هؤلاء لا يغير من أجلهم مبادىء الدين ، ولا النظام

العام في المجتمع ، وهم أشبه ما يكونون بمرضى في عواطفهم واتجاهاتهم، فهم في حاجة الى ما يشفيهم من مرضهم ، لا الى ما يضفي الصفة الشرعية على ذلك المرض » .

كما انه انفرد في آخر الجزء الاول بذكر نفقة الارقاء والحيوان والنبات والجماد ونفقات أخرى كسد رمق المضطر ونحو ذلك .

ومما يدل على سعة أفق السباعي أنه لم يقتصر على شرح قانوننا السوري وانما كان يقارن الاحكام بين الشرائع السماوية وقوانين البلاد العربية ومذاهب أهل السنة والشيعة ، ولا يدع فرصة تفوته استطراداً للرد على أنصار التقاليد الغربية مثل اختلاط الخاطبين قبل الزواج ، فقال في ص ٥١ : « ان ما جرت عليه عادة الناس أخيرا في المدن الكبرى من اختلاط الخاطب بمخطوبته ، وزيارته لها في بيتها وحدها ، واصطحابها معه في رحلاته ونزهاته أمر لا يقره الشرع ، وقد أثبتت التجربة مفاسده الاجتماعية الكبيرة ، وأضراره بالنسبة للمخطوبة ، فكثيرا ما أدى الاختلاط المنفرد الى الوقوع في الحرام ، وكثيرا ما يترك الخاطب خطيبته بعد أن يخالطها مدة طويلة من الزمن ، فتعرض سمعتها للاشاعات ، كما تحرم كثيرا من الخاطبين . أما الاحتجاج بأن هذه المخالطة ضرورية لمعرفة أخلاق الخاطب والمخطوبة ، فقد ثبت عدم الفائدة من ذلك ، اذ أن كلا منهما في هذه الحالة — يتظاهر بما ليس فيه ، ويتصنع الرفق واللين وحسن الخلق . حتى اذا تم الزواج رجع كل منهما الى طبيعته » .

وللسباعي رحمه الله بعض الاجتهادات مثل تفضيله في حكم المهر وتوابعه عند العدول عن الخطبة فقال في ص ٥٨ : والنظر ومبادىء العدالة وتغير الاوضاع الاجتماعية ، يقتضي التفريق بين عدول الخاطب وبين عدول المخطوبة ، فان العدول ان كان من جهة الخاطب كان من الظلم أن تلزم المرأة برد مثل النقد أو قيمته ، وهي في الغالب تتصرف في المهر بعد الخطبة ، فتشتري به جهازها من ثياب وأثاث وغير ذلك . فاذا ألزمناها عند عدول الخاطب بأن ترد اليه مثل النقد أو قيمته ، فقد ألزمناها بأن تتحمل الاضرار التي لحقتها من شراء الجهاز أو الاثاث . وان كان العدول من جهتها فمن العدل أن تتحمل هذه الخسائر . لانها هي التي كانت سبباً ، فتكون راضية بالخسارة .

وهكذا [illegible] مجرد ناقل له أو مقلد لكل ما فيه وانما [illegible] . [illegible] بمواطن استمــداده وأماكن [illegible] . [illegible] ملاحظات على القانون في نواح شتى، كما [illegible] التعويض المالي للمخطوبة بسبب الضررالذي لحق [illegible] عن الخطبة . فانــه يرى تقييد الحكــم القانوني [illegible] العدول بسبب منــه لا منها ، وأن يضر بها العدول [illegible] . وأن الخاطب أكد رغبته في الزواج من المخطوبة . وكذلك في ص ٢٥٧ فانه انتقد القانون في تحديده حق الفسخ للمــرأة بالعلل الجنسية دون غير الجنسية حتى ولو كانت منفرة أو ضارة ، وكذا في ص ٢٩٩ في ملاحظاته على أحكام الحضانة في القانون . ونحو ذلك كثير سواء في هذا الجزء أم في الجزءين الباقيين .

وملحظ السباعي في اجتهاده راجع اما الى مراعاة مبدأ المصالــح المرســلة ، أو العرف ، أو حق الحاكم في تقييد المباح اذا كانت تترتب عليه أضرار ، ونحو ذلك . وفي هذه السبيل لم يمنعه تمذهبه بالمذهب الحنفي وإيثاره له غالبا أن يفضل حكماً فقهياً في مذهب آخر اذا كانت أدلته أقوى وسنده أرجح ، وذلك مثل ما ورد في ص ١١٠ حيث اعتبر الحق مع مذهب الامام أحمد الذي يقبل شهادة العبد في النكاح اذا كــان ثقــة مأموناً ، لان المدار في قبول الشهادة ورفضها على الثقــة بخبر الشــاهد .

ولم يقتصر على هذا بل انه قد لا يتقيد بمذهب ما كمــا فعل في تحديد عناصر الكفاءة في الزواج ، حيث انه ترك أمر ذلك الى العرف ؛ ممــا ينتج عنه أنه قــد يوافق بعض الفقهاء وقد يخالفهم فقــال في ص ١٧٤ : « ينبغي أن يرجع في تقدير الكفاءة الى عرف البلد الذي تم فيه عقد الزواج ، ومهما قيل في أن الاعراف اليوم لا تزال بعيدة عــن المثل العليا في الشريعة ، فاننا لا نستطيع تجاهلها في مثل هذا الموضوع، فالزواج عمل اجتماعي يتم في بيئة لها أعرافها ومفاهيمها ؛ فاذا تم في جو تنكره البيئة وتتحدث عنه باستهجان ، كــان ذلك مؤذيا لسمعــة الزوجة وأوليائها ولمستقبل أبنائها من غير شك ؛ كما أن من المؤكــد أن مثل هذا الزواج لا يتم في جو عقلي هادىء ، وانما يتم في جو عاطفي غير مستقر ولا دائم ، وقل أن تتحقق السعادة الزوجية في مثل هذه

الحالات . وقد نص قانوننا في المادة ٢٨ على أنالعبرة في الكفاءة لعرف البلد » .

هذا ما يتعلق بالجزء الاول ، **أما الجزء الثاني** فينقسم الى قسمين — القسم الاول في الاهلية والحجر والولاية والاوصياء ، ويشتمل على أربعة فصول . والقسم الثاني — في الوصية وأحكامها ، ويشتمل على تسعة فصول .

وهذا الجزء وان كان في أكثره تقليدا للفقهاء القدامى ، الا انه يمتاز بجودة العرض واحكام البناء ودقة البيان وشموله رغم الايجاز وهو على غرار الجزء الاول يتلمس فيه السباعي رحمه الله الحكم التشريعية وينوه الى المصالح التي قام عليها الحكم القانوني . من ذلك ما بينه في جعل سن الرشد ١٨ سنة (وليس البلوغ الطبيعي أو السن كما قال الفقهاء) لانتهاء الولاية على البالغ ، فقال ص ٣٤ : يستدل من قوله تعالى : « حتى اذا بلغوا النكاح ، فان آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم » أن الصغير لا يسلم اليه ماله الا بالبلوغ مع ايناس الرشد ، ولما كانت الحياة الاجتماعية في العصور الماضية غير معقدة الى حد كبير . وكانت وجوه المعاملات قليلة واضحة ، وكان في أخلاق الناس بقية من الامانة ومراقبة الله . لم ير الفقهاء حاجة لتحديد سن الرشد بعد البلوغ ، الا اذا كان البالغ يستطيع عادة أن يهتدي الى الوجوه النافعة في المعاملات ، فاكتفوا باعتبار البلوغ علامة على حصول الرشد — الا اذا ثبت خلاف ذلك — للمعنى الذي ذكرناه وقياسا على العبادات ، فانها تجب بمجرد البلوغ قولا واحدا » .

وفي هذا الجزء نجد أيضا أمثلة من الاجتهاد الحديث . كما في تحديده ضوابط العدالة في الشهادة . فقال في ص ٤٧ : وبين العلماء خلاف كبير في تعريف العدالة ، فقال بعضهم : هي البعد عن المحرمات الظاهرة التي أوجب الشارع فيها عقوبات معينة . كالزنا والسرقة وشرب الخمر والقذف . وقال آخرون : هي البعد عن كل ذنب توعدت الشريعة على فعله بالعقاب والاثم كالكذب والغيبة وغير ذلك .

واشتراط العدالة انما هو لايجاد الثقة في تصرفات من تشترط فيه ، كالشاهد والوصي ، وهي تؤدي الى تحديد صفتين لا بد منهما الامانة وحسن السمعة ... الخ ... » .

واجتهادات السباعي لم تكن بالمعنى الذي يقصده بعض المتهوسين وذوو الاهواء ، وانما هي مقيدة في نطاق النصوص العامة القطعية ، لهذا رفض القول بصحة الوصية للوارث الذي أخذ به القانون المصري . وذلك لمخالفته للحديث الصحيح المتواتر « لاوصية لوارث » وقال في ص ٩٣ : ان هذا **الاتجاه مخالف لروح نظام الارث في الاسلام ، ومخالف لروح الاسلام الاشتراكية** ، وهو اتجاه **مع الانظمة الرأسمالية** ، وان الذين يؤيدونه ويحتجون له بأن الاسلام اذا أباح الوصية للاجنبي فأولى أن يبيحها للوارث وهو أولى من الاجنبي في حيازة مال المورث . ان هؤلاء يغفلون النظر الى روح الاسلام في نظام الارث ونظام الوصية وفي مجمل مبادىء التملك التي وضعها ، فالاسلام حدد لكل وارث نصيبه بحيث تتوزع الثروة بين أكثر عدد ممن هم أمس صلة بالميت من ذوي قرابته ، ولا **يريد الاسلام حصر الثروة في وارث معين** ولو كان أبنا ، الا اذا كان لا يوجد غيره — وهذا نادر — وفي اباحة الوصية للوارث اخلال بهذا المبدأ اذ قد يؤدي الى حصر الثروة كلها تقريبا في وارث واحد ، وأيضا **فالوصية انما شرعت لتحقيق مصلحة من مصالح الخير تعود على المجتمع أو على بعض أبنائه المحتاجين** ، وهي في الاعم الاغلب الواقع في حياة المسلمين انما تكون للاقرباء الفقراء الذين لا يرثون أو لمؤسسات خيرية أو اجتماعية ، فاذا فتح باب الوصية للوارث أدى **ذلك الى حرمان هؤلاء الفقراء وتلك المؤسسات التي تقوم بالخدمات الاجتماعية وتحقيق التكافل الاجتماعي بين الناس** » .

واذا كان السباعي قد التزم النص في الوصية لوارث فانه ساير القانونيين الذين قرروا الوصية الواجبة للاحفاد (أولاد الابن) والاسباط (أولاد البنت) بمقدار حصتهم مما يرثه أبوهم عن أصلهم المتوفى في حياة الجد . وقد أخذ بهذا الرأي القانون المصري وزاد عليه السباعي أنه ينبغي شمول الوصية الواجبة أيضا للاقرباء والوالدين الذين لايرثون لسبب من الاسباب ، بغية تطبيق العدالة والنظر الى مصلحة هؤلاء الذين لا ذنب لهم الا أن والدهم توفي في حياة أبيه ، فقال في ص ١٢٣ : « اننا نعتقد أن النصوص التي وردت في هذا الشأن ، وروح الاسلام الاشتراكية تحتم اشراك هؤلاء جميعا بشيء من مال الميت مع الورثة ، وسيظل الاصلاح الذي توخاه القانون قاصراً حتى يعطي كل قريب غير وارث شيئا من مال الميت » .

وأما الجزء الثالث فيتضمن ثمانية أبواب تناول فيها جميع أبحاث الميراث تقريبا الا انه كعادته رحمه الله تعالى في كل كتاباته يواجه الواقع بصدر رحب وينقل الى الافق العلمي كل ما يثار في مجتمعه من انتقادات ، فيرد عليها ، أو ملاحظات تتراءى له فيهتم ببيانها ، وكأنه المرصد الذري « الرادار » الذي يسجل على شاشته مختلف أصداء الانعكاسات الآلية ، وأدق الاشياء الغريبة المعادية ، فتجد في رحابه كل حل لاية مشكلة ، وأقنع جواب لكل سائل .

في هذا الجزء تحدث عن مشروعية الارث وضمنها بفكرة عامة عن نظام الاسلام المالي وأن حق التملك في الاسلام ليس على اطلاقه ، وانما هو حق مقيد بمصالح المجتمع ، فللمال وظيفة اجتماعية ، وللدولة الحق في التدخل لمنع تكديس الاموال وتفتيت الثروات الضخمة وتوزيعها على الفقراء والمساكين أو لانفاقها في سبيل المصالح العامة ، والدفاع عن البلاد ، وقد ناقش المعترضين على نظام الارث القائلين : ما ذنب الولد الفقير الذي لم يكن لابيه مال يورثه له ؟ فرد عليهم **بأن الحياة لم تسو بين الناس في مواهبهم وألوانهم وعقولهم ، فكذلك لا مساواة في ثمرة هذه الخصائص ، وهي المال** . ويؤكد هذا أن المجتمعات الاشتراكية تفاوت بين الطبقات ، فتمنح المفكرين امتيازات لا تمنحها لغيرهم من ذوي المواهب المحدودة من العمال والفلاحين وهذا يدل على أن التفاوت في المال تابع للتفاوت في المواهب .

ثم أعقب الكلام عن مشروعية الارث بابداء ملاحظات عامة حول نظامه العام ، من هذه الملاحظات ما قال في ص ٢٤ : « ان الاسلام وقف موقفا وسطا بين الاشتراكية الشيوعية ، وبين الرأسمالية والمذاهب التي تقول بالحرية الشخصية في التملك ،**فالاشتراكية الشيوعية** في أصولها الاولى – من عهد كارل ماركس – تنكر مبدأ الارث وتعتبره ظلما يتنافى مع مبادىء العدالة ، فلا تعطي أبناء الميت وأقرباءه شيئا مطلقا ، **والرأسمالية** وما يشابهها من المذاهب الاقتصادية ، تترك الحرية للرجل يتصرف بماله كيف شاء ، فله أن يحرم أقرباءه كلهم من ميراثه ، ويوصي به الى غريب من صديق أو خادم ، وكثيرا ما رأيناهم في أمريكا يوصون بثرواتهم الى كلب أو قطة أو ما أشبه هذه الوصايا الغريبة . **أما الاسلام** فقد أعطى للرجل الحرية في أن يتصرف في ثلث ماله فقط ،

يوصي به الى من يشاء على أن يكون لجهة خير أو لمن ينتفعون بالوصية ، ولا تجوز الوصية الى جهة محرمة ؛ ولا الى مثل الكلب والقط والفرس وغيرها ، أما الثلثان الآخران فهما لاقربائه أو من تصلهم به صلة قوية كالزوجية والاعتاق . وهو حق طبيعي لهم لا يملك المورث التصرف فيه ولا منعهم منه .

وأردف قائلا في ص ٢٥ : **ان توزيع الارث بالسهام المقدرة يؤدي الى تفتيت الثروة وتوزيعها ، وفي ذلك تقليص لظل الرأسمالية في المجتمع،** مهما كانت كبيرة واسعة ، واذا أضفت الى ذلك ما قدمناه لك من نظام المال في الاسلام ، أيقنت أن الاسلام وضع الاسس الصحيحة للقضاء على الرأسمالية الكبيرة القائمة على الاثرة والاستبداد .

وما أدق ما لاحظه في ص ٢٦ فقال : انه **جعل الحاجة أساس التفاضل في الميراث** ، فالابناء أحوج الى مال الميت من أبيه ، لان جدهم في نهاية عمره لا ترهقه مطالب الحياة كما ترهق الشباب في مستقبل أعمارهم . ومن ذلك جعل نصيب البنت نصف نصيب الولد الذكر . . . الخ

وأما موضوعات الميراث فانه رحمه الله رغم صعوباتها قد ألبسها ثوبا قشيبا من بيانه الساحر وأسلوبه الهادىء ووضوحه لكل قارىء ، وقد زادها تثبيتا في ذهن القارىء دعمها بالادلة المفصلة وكشف الستار عن حكمة التشريع فيها ، ثم توضيحها بالامثلة الجلية المتكاثرة .

وقصارى القول أن فقيدنا السباعي عليه رحمات الله ورضوانه فقيه ذو ملكة فقهية كبيرة ، توافرت لديه من سعة اطلاعه ، وحدة ذكائه ، وأصالة تفكيره وصفاء قريحته ونفسه ، وسعة أفقه وتجاربه في الحياة . وكتابه ــ بالرغم من ايجازه بسبب مرضه ــ موضح لكثير من دقائق الفقه ، وحافل بجليل الفوائد ، مما يجعله مرجعاً هاماً لبحوث الاحوال الشخصية ، بحيث لا يستغني عنه شخص سواء أكان قاضيا أو محاميا أو فقيها أو متفقهاً . وتزداد أهميته لصلته الوثيقة بالحياة العملية ، والحاجة اليه في مجال التشريع والقضاء ، واعتماده ــ كشأنه في كل ما كتب وحدث ــ على أسلوب علمي رصين ، وأفكار نيِّرة واضحة ، وتتبع واستقصاء لآراء الفقهاء .

وقد آثرت ــ فيما استشهدت من أقواله السابقة ــ عدم التعليق عليها حتى أترك الفرصة سانحة أمام القارىء لاصدار الحكم عليها بناء عن اقتناع حر ومنطق متجرد .

ولا يسعني في ختام كلمتي هذه الا أن أضرع الى الله سبحانه في أن يتغمد فقيدنا السباعي بالمغفرة والرضوان ، وأن ينزل عليه شآبيب الرحمة وواسع الفيض والاحسان ، وأن يجزيه عما بذل في سبيل الله ونعم خير الجزاء .

ذكريات من جهاد السباعي
في حرب فلسطين

للأستاذ أميل الغوري
عضو الهيئة العربية العليا



جمعتني بفقيدنا الغالي ، الشيخ مصطفى السباعي ، رحمه الله ، صداقة ، وزمالة وأخوة ، فعرفت فيه النضال والوفاء ، والدفاع والاباء ، والاخلاق والفداء . عرفته في مختلف المجالات التي عمل فيها مجليا مقداما ، في حلبة الاخوان المسلمين ، ومضمار الجامعة السورية بدمشق ، وميدان الادب والصحافة ، وفي المحافل والندوات والاجتماعات والمؤتمرات . ولكن على الرغم من معرفتي هذه الوثيقة بمصطفى السباعي ، فاني اشعر بعجز عن ايفاء هذا الصديق الراحل في تاريخنا الحديث ، وعن اعطاء صورة حقيقية واضحة لجهوده الكثيرة الرائعة وخدماته العديدة الباهرة ، للفرد وللشعب ، وللوطن ، وللاخلاق العليا .

على ان واجبي نحو ذكرى هذا الرجل الراحل ، دفعني لان اسجل هذه الكلمة القصيرة عن بعض دوره العظيم في نصرة فلسطين ، والدفاع عن قضيتها ، والكفاح في سبيلها . وليس احلى على القلب من التحدث عن فلسطين ، الا الحديث عن الجهاد والمجاهدين ، لانقاذ فلسطين والذود عن عروبتها ، ودفع البغي والعدوان عن مقدساتها ، ودرء أخطار

الصهيونية والاستعمار عن شعبها . وكان الشيخ مصطفى السباعي في طليعة هؤلاء المناضلين الصيد .

صمد الفلسطينيون في وجه الاستعمار والصهيونية صمودا عجيبا ، وقاموا بسلسلة ملتحمة الحلقات من الثورات على الظلم والطغيان ، ولما استصدر الاعداء تنفيذا لمؤامرة حيكت خيوطها بليل ، قرارات تقسيم فلسطين من الامم المتحدة ، في ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٤٧ ، هب الفلسطينيون على بكرة ابيهم يقاومون هذه القرارات الظالمة المجحفة ، ولما انسوا تصميما من جانب الانكليز وانصار الصهيونية على تبنيها وتنفيذها ، اعلنوا ثورتهم الخالدة على الاستعمار البريطاني والغزاة الدخلاء ، تحميهم حرابه ، وخاض جيش « الجهاد المقدس » الفلسطيني، بقيادة البطل الفحل الشهيد عبد القادر الحسيني ، غمار معارك عنيفة ضد الاعداء ، كان النصر في كل منها حليف المجاهدين .

وخشي الانكليز والامريكيون ، وسائر أنصار الغزوة الصهيونية ، مغبة ثورة الفلسطينيين ، وتغلب المجاهدين على الصهيونيين والقوات البريطانية التي كانت تساندهم وتحميهم ، وايقنوا ان الكيان الصهيوني في فلسطين غدا مهددا بالتقويض من أساسه ، فهبوا ينصرون الصهيونية، ويمدون عصاباتها ومنظماتها العسكرية بالمعدات والمال ، والسلاح والرجال ، ويوفدون الخبراء لاعادة تنظيم القوات الصهيونية ، لتستطيع مواجهة جيش « الجهاد المقدس » .

وأدرك عبد القادر الحسيني أن ما أقدم عليه الاعداء من أعمال ، ومن تزويد الصهيونيين بالاسلحة والاموال والرجال ، ينطوي على خطر عظيم يهدد فلسطين والمجاهدين الذين كانوا يفتقرون الى مثل السلاح والعتاد الذي كان سيله ينهمر على الصهيونيين ، من الغرب ومن الشرق على السواء . فحضر الى دمشق ، وعرض الامر على اللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية ، وطالبها ببعض العتاد والسلاح ، وكان مكدسا تكديسا في عنابرها ، ليستطيع المجاهدون الصمود في وجه الصهيونيين . ولكن رجال اللجنة العسكرية ، غفر الله لهم ، ابوا الاعتراف بخطورة الاوضاع في فلسطين ، لانهم لم يكونوا يعرفون شيئا عن واجباتهم والمهام الموكولة اليهم . فردوا عبد القادر خائبا ، حيث رفضوا تزويده بما طلبه من السلاح والعتاد ... مؤثرين ضياع فلسطين ، وفناء المجاهدين ، على التنازل

عن السلاح الذي كاد يأكله الصدا ويصيبه العطب ... في حين ان هذا السلاح انما كان يرسل الى اللجنة العسكرية برسم المجاهدين الفلسطينيين .

وعاد عبد القادر الحسيني الى فلسطين بخفي حنين . ولكنه لم ييأس ولم يقنط ، فقاد اخوانه المجاهدين في أعنف معركة عرفها تاريخ الجهاد في فلسطين ، هي معركة « القسطل » الخالدة ، ضد الصهيونيين، فأخرجهم منها وحرر معاقلها ودفع خطرهم عن بيت المقدس ودفع عبد القادر ثمن هذا النصر غاليا ، وكان الثمن عبد القادر نفسه . فلما استشهد هذا البطل الحلاحل ، دب شيء من الفزع والذعر في نفوس المجاهدين ، وتضعضعت صفوفهم ، ثم اجتاحتهم موجة عارمة من القلق والتطير على اثر ما علموه من المواقف الشاذة البشعة التي وقفتها اللجنة العسكرية من قائدهم الشديد ومطالبهم ، واستولى على الفلسطينيين عامة شعور عميق بان هنالك مؤامرة وتواطؤا لتقويض المقاومة الفلسطينية للصهيونية والاستعمار ، واخراج الفلسطينيين من معركة وطنهم ، وميدان قضيتهم ، تمهيدا لتحقيق خطة مرسومة ، دبرها الاستعمار وبعض أقطاب العرب المسؤولين ، للاطاحة بفلسطين وتهديم كيانها .

فوقع على الوطنيين الصابرين ، والمجاهدين الصادقين ، من أبناء فلسطين ، واجب عظيم لانتشال الشعب من وهدة اليأس ، ولاعادة تنظيم صفوف المجاهدين لمكافحة الاستعمار والصهيونيين . وما هي غير أيام معدودات حتى عاد المجاهدون الى حلبة الكفاح ، بعزم وتصميم ، معتمدين على نفوسهم ومصادرهم الخاصة ، وعون زعيمهم الاكبر السيد أمين الحسيني . ولكن المجاهدين شعروا بحاجتهم الى عون المؤمنين المخلصين من أشقائهم العرب ، فاستنجدت قيادة (الجهاد المقدس) ببعض المؤسسات والمنظمات والجمعيات الشعبية في البلاد العربية ، وكان الشيخ مصطفى السباعي أحد الذين استنجدنا بهم .

وفي أواخر شهر نيسان ١٩٤٨ ، وضعت قيادة (الجهاد المقدس) في لواء القدس خطةعسكريةلتطهيرمنطقةالقدس من المستعمرات الصهيونية القائمة فيها ، واعادة فرض الحصار على الاحياء اليهودية في مدينة القدس نفسها . واتخذ المجاهدون من قرية « كفر عقب » القريبة من رام الله ، قاعدة للهجوم على مستعمرتي « عطاروت » و « نفي يعقوب » وتدميرها

ليصبح طريق القدس – رام الله مأمونا للمجاهدين . وعلى الرغم من صعوبة هذه المغامرة فان المجاهدين كانوا مصممين على القيام بها .

وفي ليلة ٢ أيار ١٩٤٨ ، وفيما كانت طلائع المجاهدين تتقدم نحو المستعمرتين الآنفتي الذكر ، فوجئنا بقدوم عدد من الرجال المسلحين ، اكد لنا الحرس انهم من العرب ، وانهم يريدون المساهمة في الجهاد والانقضاض على المستعمرين . فلما ذهبنا للاتصال بهم ، وجدنا انهم « قوة سورية » مؤلفة من نحو ١٥٠ رجلا ، جلهم من الشبان ، يتحرقون شوقا لخوض غمار القتال . وكان على رأس هذه القوة المرحوم الشيخ مصطفى السباعي ، في لباس الميدان متمنطقا سلاحه للجهاد في سبيل الله . فهلل المجاهدون وكبروا ، ورحبوا باخوان الجهاد اجمل ترحيب .

وقبيل خوض المعركة الخطيرة ، حاولنا ابقاء الشيخ مصطفى السباعي في مقر القيادة ،وهو بعيد نسبيا عن أرض المعركة ، كما سعيت شخصيا « للاحتيال » على الشيخ مصطفى واقناعه بالبقاء في القيادة للقيام بأعمال خطيرة مهمة ... ولكنه ابى ورفض واصر على خوض غمار المعركة ،مهما كلفه الامر ، وقال انه لم يحضر من دمشق الا بغية الاستشهاد في سبيل الله والوطن .

ولما لم نستطع ثني الشيخ مصطفى عن عزمه ، وافقناه على ما يريد ، واخترنا مركزا يشغله واترابه ، ولكنه لم يقبل ذلك ، وصمم أن يشترك بنفسه في الطليعة . فكان له ما اراد ، فخاض الشيخ مصطفى ورفاقه المعركة ببطولة عظيمة ، الى جانب اخوانهم الفلسطينيين ، وانتهت المعركة بنصر مؤزر للعرب .

وبعد انتهاء المعركة ، رجونا الشيخ مصطفى أن يستريح قليلا فرفض ، فعرضت عليه الانتقال الى القدس للمساهمة في الدفاع عنها ، فقال لي اني لا اقاتل من خلف اسوار .

وانتقل الشيخ مصطفى ورفاقه ، بعد معركة المستعمرات في لواء القدس ، وانضم الى قوات (الجهاد المقدس) في المنطقة الوسطى ، متعاونا فيها مع القائد المرحوم الشيخ حسن سلامة . وظل السباعي يجاهد في فلسطين حتى وقعت كارثة ١٥ ايار ١٩٤٨ ، فاضطر ورفاقه الى الانسحاب من فلسطين تنفيذا لاوامر « القيادات » العسكرية العربية النظامية وتعليماتها .

وبعد فهذا هو الشيخ مصطفى السباعي ، رحمه الله ، وجعل سيرته العاطرة نبراسا يحتذيه شبان العرب ورجالهم .

المرحوم مصطفى السباعي

نجم ساطع هوى في سماء الاسلام إشراقه

للدكتور شوكت الشطي

أستاذ في كلية الطب بجامعة دمشق



لقد استمتعت باحدى خطب الاستاذ العلامة المغفور له مصطفى السباعي ، في بيت من بيوت الله ، في احدى كنائس دمشق ، ولم أكن اعرفه من قبل وكان حديثه وطنيا منصرفا على ما اذكر الى توحيد الصف الوطني في وجه الاستعمار الفرنسي الدخيل .

ولقد سمعت من حسن بيانه وقوة برهانه ما جعلني أردد (ان من البيان لسحرا) واني أذكر التفاتي حينها الى من حولي في الساحة الرحبة المكتظة بالناس فاذا بهم الى كلام الخطيب السباعي منصتون وبحديثه مأخوذون فكان كالبلبل الصداح يضع لسانه حيث شاء وحيث يجب أن يكون ، يواتيه الكلام فيحدثك بما في نفسك ويسبغ على مفهومك بلاغة تعبر عما يدور في خلدك فيستميل بهذا وذاك القلوب النافرة ويرد الاهواء الشاردة ويسهل العسير ، ويقرب البعيد ، ويدرك

المنيع ، ويصيب المتنع ، ثم جاء انتسابه الى الجامعة فكان بيننا على الرغم من ندرة اجتماع احدنا بأخيه لبعد اختصاص كل منا عن الآخر ، تبادل ود واخاء وأمل ورجاء ، حبب الينا الرجوع اليه في قضايا عويصة نقض فيها علمنا الحاضر ، رأي عدد من الفقهاء قالوا به في عصر غابر ، أو مشاكل عالمية حديثة لا بد من الابتكار فيها اذ ليس في ماضي فقهنا ما يجوز ان يقاس عليه ، منها اننا كنا نبحث عن الوقاية من الامراض الوراثية وغيرها في كتابنا عن الطب والاسلام ونقول بأن تشريعه كان سباقا في تقرير ما يؤول الى سلامة النسل ووقايته من الامراض الوراثية الى ما يمكن ان يقره علماء اصلاح النسل من تشريعات . فعرضنا في هذا الموضوع أحدث ما أقره علماء الاجتماع والحياة في موضوع الوقاية من الامراض الوراثية وهو الحيلولة دون اخلاف المصابين بتعقيم اصيلهم وذلك بعمل بسيط أقره تشريع أكثر الامم واعتبره عملا انسانيا ذا فائدة كبيرة للمصاب بالمرض الوراثي نفسه وللمجتمع الذي يعيش فيه اذ يؤدي الى نقص في عدد مشوهيه ويقلل من عدد مجاذيبه ومجرميه ، فاحببنا ان نستنير برأي الفقهاء في هذا الصدد مع علمنا بأنه ليس في هذا العمل مالا يقره التشريع الاسلامي فجاءتنا أجوبة تترى يشعر قارئها ان المسؤول حاول ان يتخلص من السؤال بأن لف حوله ودار وكان سعيه الى التعرف على ما تثير الفتيا في هذا الصدد من قيل وقال اوسع من بحثه عما يمكن استنباطه من الشريعة السمحاء في هذا المنوال ، وقد حصر المسؤول نفسه في قوقعة من سبقوه فخرج بذلك من اصالة الكتاب الاسلامي الواضحة في فهم تعاليم الاسلام الصريحة الى التبعية الجارفة وعدم الثقة بالنفس في مباشرة فهم تلك التعاليم من القرآن الكريم والحديث الشريف دون حاجة الى وسيط أو وسيط الوسيط أو عدد كبير من الوسطاء ، وكان لا يمكن ان يجمد الاسلام على أيدي عدد من فقهائه فتضعف روح الاصالة في الكتاب الاسلامي من جهة ، وتقوى فيه روح التبعية من جهة اخرى كما تشتد أزمة عدم الثقة بالنفس من العلماء والمسلمين لو كان عندهم من الجرأة والثقة بالنفس والعلم والفهم ما يجب ان يكون وما كان متحليا به فقيدنا المرحوم ولكن بعضهم سلب جموده دعامة الاسلام الاولى المبنية على الملاءمة بين الحياة والانسانية في جريانها وتوارد احداثها وتتابع ادوار تغيرها وبين مبادىء الاسلام التي نزل بها الوحي الآلهي لهداية الانسان في جميع ظروف حياته ككائن يتغير ويتطور على هذه الارض وتتبدل مفاهيمه فيها .

لقد كان الاستاذ السباعي واحدا من ثلاثة اعلام اعطوا هذا البحث حقه بصراحة لا لبس فيه ولا غموض فأجازوا التعقيم ودللوا على جوازه بأدلة صريحة وكان أحدهم المغفور له مفتي الازهر الشريف الشيخ محمود شلتوت وثانيهم علامتنا الذي نرثيه وثالثهم الاستاذ معروف الدواليبي فك الله غربته فقالوا في هذا الباب ما يجب ان يقال وبينوا من الادلة ما يبطل أي شك ويبعد أي احتمال .

لقد وهب الله فقيدنا ذاكرة قوية استطاع معها ان يحفظ القرآنالكريم وان يلم الماما واسعا بالحديث الشريف وان يحفظ الكثير من أدب العرب المنظوم والمنثور ووهبه بداهة ادراك تنطقه بالقول الحق عن فهم وعمق وحلاه بايمان خالط الدم والجنان فعبر عنها اللسان بأفصح بيان ، وكان له دأب على الدرس والمطالعة والتمحيص والتحقيق اتسعت بها آفاق علمه وتعددت نواحيه ، وقد حج في سبيل العلم الى غيره كما حج غيره في سبيله اليه ، زار في سفراته عددا من المستشرقين فاعجبوا به وقدروا صفاته ، سطا عليه المرض فصارعه صراع من يحب الحياة لا للحياة نفسها بل استبقاء للجسم ليكمل رسالته في التبشير بالمبادىء التي اشربتها روحه بتأثير الاسلام فيها .

فيا لأفول نجمه من مصيبة ، ولخبو نوره من رزيئة ، تجعل النفس ولهى ، والكبد حرى . لقد كان رجاء أقطع ، وأملا انتزع ، ومسلكا للابرار ومنهلا للاحرار ، فانا لله وانا اليه راجعوْن تسليما لنازل قضائه ورضى بما قدر وحكم ، فسبحان من عرج بروحه الى الرفيق الاعلى ، والله يتوفى الانفس ويتلقى الارواح ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

مَن . . .

من أنست نفسه بالله ، لم يجد لذة في الانس بغيره ، ومن أشرق قلبه بالنور ، لم يعد فيه متسع للظلام ، ومن سمت روحه بالتقوى لم يرض الا سكنى السماء ، ومن أحب معالم الامور ، لم يجد مستقرا الا في الجنة ، ومن أحب العظماء ، لم يقنعه الا أن يكون مع محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن أدرك أسرار الحياة ، لم ير جديرا بالحب حق الحب الا الله تبارك وتعالى .

مصطفى السباعي

السباعي
على طريق المعرفة والحق

للدكتور محمد أديب صالح
المدرس في كليتي الشريعة والحقوق

ما كنت أحسب أن صوت النعي يقرع سمعي وقلبي فأجلس جلستي هذه لاتناول القلم واكتب عن الرجل العظيم مصطفى السباعي .

أجل ولم يكن يدور بخلدي أن يد المنون ستمتد اليه بهذه اللمحة الخاطفة فينطفىء نور الحياة وتذبل الزهرة ويصوح النبت الجميل .



صحيح أن أبا حسان كان يعاني من مرضه العضال خلال سبع سنين أو تزيد ولكن ايمانه المتوقد واملـه العريض بفضل الله عز وجل كان يشعرانك أن الرجل على طريق الاصحاء وفي خط متميز من صفوف الهانئين .

وما كان لي أن ازعم لنفسي أن حق ابي حسان يقضي بكلمات أو سطور فكفاء حقه كثير وكثير ولقد اصبح هذا الامر ملك الامة ، الامة التي

لا تجد كل يوم ابناءها ، وليس في مقدورها وقد ضربت عليهـا الايام بالاسداد أن تأتي بالمثيل لمن تفقد من رجالها وعلمائها .

واذا كان وفاء حق ابي حسان ملك الامة فان كلمة نقولها اليوم لن تكون الا رمزا لحرصنا الصادق أن تسلك مشاعرنا طريق الوفاء .

والحديث عن ابي حسان ذو شجون ولقد يكون من الخير أن أمسَّ ولو مساً رفيقا الجانب العلمي من شخصيته العظيمة التي تعددت ملاحمها وتنوعت ميادين جهادها .

واذا كنت اسمح لنفسي أن ادير الكلام على هذا اللون من الحديث فلأني اعتقد ان في ذلك مرضاة له وهو في مثواه الاخير رحمه الله فلكم كـان حريصا على ان تنشر على الناس سير اولئك الاعلام من سلفنا الصالح (١).

ولقد كان رحمه الله القائد العالم والداعية المجاهد . وان الحـديث عن الجانب العلمي في شخص هذا الرجل الفذ لا يعني استيفاء ما يمكن ان يقال ، ولكن يعني الاشارة العابرة والدلالة على الطريق .

فلقد كانت ملامح العبقرية تلتمع على محياه منذ حداثة سنه ونعومة أظفاره يشهد بذلك الاحياء من الاساتذة في حمص حيث أتم دراستـه الابتدائية والثانوية وحظي بحلقات الكثيرين من العلماء .

وفي مصر كانت دراسته العالية فقد انتسب الى كلية الشريعة وأشهد أن اساتذته كانوا يرون فيه أمانة العالم ، واخلاص المجاهد ، وملامح البطل ، ولقد سمعت من العلامة المرحوم شيخه الشيخ عيسى منون عميد كليـة الشريعة في الازهر وشيخ رواق الشوام آنذاك خير ما يقال عن شاب تتوفر له كل مواهب المجاهدين من العلماء الذين يقوون على حمل الامانة ويتقدمون الركب غير عابئين ولا هايبين ويشهد الكثيرون أن هذا الانسان الكبير كان يتحدث عن السباعي حديث الواثق المطمئن فولده مصطفى جدير ان تفخر به ميادين العلم والمعرفة وان تعتزبمواهبه واخلاصهساحات العمل والجهاد .

أما زملاؤه فسلوا عن شهادتهم به وحسن ظنهم فيه أخاه فضيلة الاستاذ الكبير الشيخ محمد الحامد الذي لا يفتأ يتحدث حديث القلب

---

(١) كان رحمه الله حريصا كما علمت منه قبل وفاته بيوم واحد على كتابة مؤلفات ثلاث هي ، العلماء الاولياء ، العلماء المجاهدون ، العلماء الشهداء .

والعاطفة والمشاعر عن أيامه مع الشيخ مصطفى في الازهر حيث العلم والمعرفة والتفتح المبكر والاخلاص لله عز وجل . واذكر اني التقيت باحد اولئك الزملاء في القاهرة وهو اليوم استاذ في احدى جامعاتها فسألني بلهفة وحسرة وشوق : أصحيح أن مصطفى مريض ؟ ! . لقد كانت صيغة السؤال ، ونبرات السؤال ، وكل حرف من هذه الكلمات توحي بما وراءها من حب صادق واعجاب كبير بالمسؤول عنه الذي أقعده المرض فكان الاسد الجريح . . .

وحاولت ان اتلطف بالجواب ولكن الرجل الذي كان يستمع الى احساسه بالنكبة قبل ان يستمع الي بدأ يردد على مسامعي : « وأخيرا وقع مصطفى . . » وانطلق داعيا له بالعافية والشفاء ذاكرا أيامه معه وما كان يرجوه به من تلطف في الحماس وتأن في مراحل الكفاح . . . وبصوت متهدج خافت اختتم كلامه بقوله كان الشباب يلهون ويلعبون ومصطفى يسابق الزمن في علمه ومعرفته ويحمل هموم العالم الاسلامي والمسلمين على كتفيه .

أما عن الآثار العلمية التي خلفها الاستاذ السباعي وأكثرها كتب ايام مرضه فهي جديرة أن تتحدث عن نفسها وتعطي الصورة الصادقة عن العالم مصطفى السباعي .

واذا كان رحمه الله قد ضرب وهو الاستاذ في الجامعة بسهم وافر في أكثر الميادين فألف في الفقه والقانون وكتب عن حضارة الاسلام وتقدم الباحثين في العدالة الاجتماعية بطريقة علمية ، لقد كان في مقدمة تصانيفه كتابه « السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي » ولقد ولد هذا الكتاب رسالة لنيل شهادة تخصص المادة من جامعة الازهر (الدكتوراه) ثم شغلته رحمه الله ميادين الجهاد والتوجيه عن طبع الكتاب وتقديمه للقراء حتى طبع الطبعة الاولى في القاهرة بعد تنقيح يسير في اوقات اختلسها من فترات الراحة وهو في ذروة الالم والعناء .

والحقيقة التي لا مرية فيها أن هذا الموضوع لم يكن عملا عاديا بالنسبة لابي حسان بل كان صورة تعبر عما وراءها من رغبة صادقة مبكرة في الدفاع عن السنة المطهرة ورد عاديات المعتدين عليها واسكات الالسنة الغافلة أو المأجورة التي تتناول رواتها من أصحاب رسول الله رضوان الله عليهم وتعدو على الحقيقة في حكمها على سلف هذه الامة وعلماء الحديث الاولين .

فالى جانب البحوث المستفيضة الواعية التي لا غنى عنها لباحث يدرس السنة باعتبارها مصدرا من مصادر التشريع ، نرى ان ابرز ما في الكتاب هذه الحرارة المتوقدة المنبعثة من لهيب المعركة ، معركة الذود عن حياض هذا الاصل من اصول الشريعة فلقد عرض رحمه الله بامانة علمية متأهبة لمواقف الاقدمين من السنة ثم جاء على ذكر المستشرقين ومن يدور في فلكهم ويصلي في محرابهم . واذا كان قد رسم الخطوط العريضة والملامح العامة عند تأليف الكتاب فلقد استطاع بعد بحث دائب وطول تجربةواتصال شخصي بالكثير من المستشرقين أن يفصل القول في هذا الامر الخطير ويوضح جوانب المعركة التي تخوضها هذه الفئـة ضد الفكر الاسلامي والاسس التي تقوم عليها مناهجهم الرهيبة ومخططاتهم الآثمة وقدم العلاج الناجع الذي به يمكن ان تعود الامة الى قيادة الركب من جديدوخصوصا فيميادين الثقافة والفكر .

ولم يقتصر الامر على ذلك فقد تناول بالبحث الواضح والرد العلمي الدقيق كتابا حديثا لبعض المؤلفين قوامه التشكيك بالسنة والطعن بمنهج علمائها في النقد وتجريح صحابي جليل من كبار محدثي الصحابة وهـو ابو هريرة رضوان الله عليه تجريحـا تقصر دونه سموم جولـد تسيهر المستشرق اليهودي .

ولقد كان مصطفى السباعي في ذلك كله مثال العالم المخلص الامـين الذي ايقظ قلبه صوت النذير وحرك كوامنه احساس عميق بالنكبة فانطلق يكافح هنا وهناك .

رحمك الله يا أبا حسان لقد كانت رحلة طويلة وشاقة تلك الرحلة التي سلكت سبيلها الى الله . كانت اياما صعبة تلك الايام التي صبرت لهـا وصابرت . وكانت ليالي سودا تلك الليالي التي قارعت فيها اعداء الحق والاسلام ، فلا والله ما القيت السيف حتى استله منك المرض ولا خلعتدرع النضال حتى مزقه جفاف الشرايين ولكنك ــ والله يشهد ــ لم تتخذ عن الجهاد بديلا ففي القلب المؤمن العامر بالامل والايمان متسع لالقاء بذور الجهاد في كل ارض طيبة ، وفي القلم الحر الكريم الذي يرسم مداده الاسود خطوط النور ومعالم الطريق سلاح وأي سلاح . ولقد كان ذلك وكان أكثر منه واوفر حتى وافتك المنية صابرا محتسبا مجاهدا وانت تحرر كتاب السنة لتقدمه للطبع من جديد . واخيرا اذا كان العلماء المجاهدون معـالم في طريق هذه الامة تهتدي بهم في ظلمات الحياة وتستنير بارشادهم في متاهات الزمن فان فقيدنا العظيم يعتبر بحق واحدا من اولئك الذين أدوا حق الله في علمهم وقدموا لامتهم أثمن ما يمكن أن يقـدم فنعم التقـديم واعطوها على دروب المعرفة والكفاح أعز ما يعطى فنعم العطاء .

١٢١

السباعي ومعركة الدستور

ما أقل الدعاة الى الاسلام في هذا الزمن ..

وان وجدوا فقليل هم الثابتون الذين لا ينحرفون .. المخلصون الذين لا يراءون ولا يخادعون .. الصادقون الذين لا يساومون ولا ينافقون .. الصابرون الذين لا يكلون ولا يملون .. الجريئون الذين يصدعون للحق ولا يخشون في الله لومة لائم .

وما أعز هؤلاء في زمن فقد الرجولة ونعي الرجال ..

وحياة السباعي سفر كبير تمتلىء صفحاته بالجهاد والجرأة والبذل



الفقيد العظيم يؤدي القسم الدستوري في مجلس النواب ١٩٥٠ م

والصبر .. فبمثله يحق للدعوة ان تفتخر .. وعلى منواله ينبغي للدعاة ان ينسجوا ..

هكذا كانت حياة السباعي ، حافلة بالمآثر الجليلة والاعمال الكبيرة ..

ولقد أأحببنا أن نتناول هنـا مأثرة من المآثر الجليلـة التي تحفـل بهـا حياة الفقيد الغالي .. ونخص بالذكر تلكم المواقف الخالـدة التي شهدتها له سورية في معركة الدستور عام ١٩٥٠ .

كان خصوم الاسلام يصرون على فصل الدين عن الدولة وعلى علمانية الدستور .. وكان لمواقف المرحوم السباعي واخوانه البررة آنذاك الفضل الاوفى في تكريس اسلامية الدستور السوري .

ولقد كان للبيان الذي اذاعه الفقيد العزيز في ذلك الحين أكبر الاثر في استقطاب التأييد الشعبي لموقفه العتيد ... وحرصا على الفائدة ، وحفظا للتاريخ نثبت هنا النص الكامل لهذا البيان التاريخي الحاسم ..

الدين والدولة في نص البيان التاريخي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسله وعلى دعاة الحق والخير الى يوم الدين لقد كنت اوثر بناء على رغبة لجنة الدستور ورغبة المخلصين جميعا ، ان يظل النقاش حول دين الدولة محصورا بين اعضاء لجنة الدستور ، والمجلس التأسيسي ، ومن أجل هذا اوقفت كل نشاط في الدعاية لهذه الفكرة ، سواء في أوساط الجمهور او الاندية العامة ، أو على صفحات الصحف ، ولم أبد رأيي من قبل الا حين طلبت مني « المنار » الاجابة على اسئلة تتعلق بهذه الفكرة ، فاجبت بما اعتقد ان فيه غاية الصراحة واللياقة ومراعاة شعور المعارضين لنا ، وخاصة ابناء الطوائف الاخرى .

ولكني قرأت اول الامس بيانا نشرته بعض الصحف لمن اسموا انفسهم خريجي الجامعات العليا وزعموا انهم كلهم مسلمون ، وقد خانتهم الجرأة والشجاعة فلم يذكروا لنا اسما من اسمائهم لنعرف مبلغ الصدق فيمـا ادعوه من تخرجهم في الجامعات العليا ومن انتسابهم الى دين الاسلام .

وقرأت امس بيانا من بطريركية الروم الكاثوليك بدمشق ، كما قرأت مثله في معناه لبعض احبار النصرانية في المدن السورية .

وحيث نزل اصحاب الرأي الثاني الى الميدان الصحفي الشعبي يدلون بآرائهم وحججهم ، اصبح من واجبنا ان ندلي بحججنا وآرائنا ، وان نطلع الرأي العـــام على حقيقة فكرتنا ، وان نناقش ادلة المخالفين ونفندهـــا والامر بعد ذلك كله للشعب ، اذ هو مصدر كل سلطة وسيادته هي السيادة الحاكمة التي تتمثل في مجلسه التأسيسي وحكومته الدستورية :

لماذا نطالب بالنص على دين الدولة ؟

الدساتير تعبر عن رغائب الشعوب ، واتجاه قادتها وممثليهـــا في الاصلاح الذي يلزمها ، ولا شك اننا نحن السوريين جزء من الامة العربية، وارادة الامة العربية واضحة جلية في انها تريد ان تشق طريقها الى المجد في ظلال العقيدة والاخلاق ، تلك هي طبيعة الامة العربية في جاهليتها وفي اسلامها وفي حاضرها ، وكل ادعاء بغير هذه الحقيقة يكذبه الواقع ، وكل محاولة للانحراف بالامة العربية عن هذا السبيل ستصده ارادة الامـــة الحازمة ، وكل دعوة الى اتجاه نحو العلمانية والالحاد تنذر بخطر جسيم على حاضر العرب ومستقبلهم ، فالانسانية اليوم تتجه نحو الروح والايمان بعد ان حطمت المادية اعصابها وجرتها الى الشقاء ولسنا نحاول التدليل على ميل الامم الحديثة نحو هذا الاتجاه بعد ان أقرت هيئة الامم افتتاح حفلاتها بصلاتها لله لانها في حاجة الى حمايته .

وسنذكر فيما بعد ان احدث الدساتير الراقية من شرقية وغربية قد نصت على الدين في دستورها ، واذا كانت الانسانية في حاجة الى الاديان ترد اليها الثقة والطمأنينة فنحن احوج ما نكون الى هذه الثقة والطمأنينة خصوصا بعد ان قامت بجوارنا دولة اسرائيل وهي دولة تجند الدين لتجمع شمل اليهود في العالم ، وتستثير حماستهم ، وتستدر اموالهم وقد نصت في اول دستورها على انها قائمة على المبادىء التي جاء بها انبياء اسرائيل، كما نصت في آخر مادة من دستورها على ان القضاء رقيب على القوانين الحالية بحيث يجب ان يردها الى التشريع اليهودي وان كل تشريع سينشأ في المستقبل يجب ان يقوم على اساس التشريع اليهودي ... فاذا كانت

هذه تجند الدين لتوطيد اقدامها في فلسطين ثم لتمــديد عدوانها الى ما يجاورها ، ونحن اول من يتعرض لعدوانها ، أفلسنا ملزمين بأن نجند الدين لالهاب الشعور العام واستثارة حماسة الشعب وبذل ما له في التسلح وتقوية الجيش وبذل الجهد والطاعة والتنفيذ لكل نظام في الدولة يؤدي الى قوتها وصيانتها ؟! أفلسنا نحتاج الى الدين بعد ان رأينا في معركة فلسطين ان الذين حاولوا ان يستثيروا العرب عن غير طريقه فشلوا، وان الذين جاهدوا واستبسلوا واستشهدوا لم يدفعهم الى ذلك الا الدين الذي يعدهم بالخلود في الجنة ، اذا وهبوا ارواحهم الله ؟ . اننا نحاول ان نبني دولة ، فلتكن على اسس قوية ، ونحاول ان نعالج مشاكل ، فلنعالجها بروح واقعية ، ونحاول ان نحل ازمة مستعصية ، فلنعرف أقرب الطرق الى حلها ، ولست ارى اصدق من تصوير واقعنا ووقائع الانسانية اليوم من كلمة للورد صموئيل زعيم حزب الاحرار البريطاني اذ قال في خطاب له بتاريخ ٢٥ شباط ١٩٤٧ : « ان الازمة الحالية التي تعانيها الانسانية هي ازمة اخلاقية ، ويجب انعاش الروح الدينية اذا اردنا التغلب عليها » .

وما دمنا في حاجة الى الايمان لنتغلب به على الصعاب ونحل بــه ازمتنا النفسية والاخلاقية ، فلنجعل هذه الرغبة في دستورنا واضحة جلية ، حتى تكون الخطة واضحة لكل حكومة وكل مجلس وكل متزعم لهذا الشعب في المستقبل ، ومن ثم فالنص على ان للدولة دينا أمر ضروري تحتمه مصلحتنا الاستقلالية والوطنية والاخلاقية ، ولا يعارض في هــذا الامر الا من يريد ان نسبح في بحر العلمانية الملحدة لنتردى في الشقاء أكثر مما نحن فيه ، ونفقد البقية الباقية من الامل بالمستقبــل والثقــة بالنفس ، والقوة المعنوية ، التي تحيل هزائم الشعوب الى انتصارات خالدة.

ولماذا يجب ان يكون دين الدولة الاسلام ؟

اذا كان النص على ان للدولة دينا امرا تحتمه المصلحة العامة ، فأي دين ينبغي ان يكون دين الدولة ؟

١ ــ القواعد الديمقراطية

ان القواعد المتبعة في دساتير العالم وانظمة الاحزاب ومداولات المجالس

النيابية ، بل في عرف الدنيا جميعاً ان رأي الاكثرية هو المتبع والمعمول به، فاذا قلنا ان دين الدولة الاسلام وهو دين تسعة اعشار السوريين ودين ٩٨٪ من العرب أنكون في هذا قد تجاوزنا الحق ؟ وأهدرنا المنطق ؟ وخالفنا الديمقراطية ؟ وهذه هي الدول التي نصت دساتيرها على دين معين انما اتخذت دين الاكثرية دينها الرسمي في كثير من الاحيان .

فجمهورية الارجنتين نصت في المادة الثانية من دستورها الصادر في ٢١ آذار ١٩٤٩ انها تدعم او تؤيد او تساند المذهب الكاثوليكي الرسولي الروماني . وهذه جمهورية ايرلندا تنص في دستورها الصادر في عام ١٩٣٧ ان الكنيسة الكاثوليكية هي الكنيسة المفضلة ذات الامتياز في الجمهورية .

هذا عدا عن دساتير الدول العربية والاسلامية ، وليس في الدنيا دولة لا يدين شعبها الا بدين واحد : بل في كل دولة أكثرية في الدين واقلية ، فهل نكون قد أتينا ببدع من الامر اذا مشينا على القاعدة التي تمشي عليها دول العالم ؟

٢ ــ المصلحة الداخلية

والدولة السورية اليوم في وضع داخلي مؤلم لا ينكره أحد ، وعبثاً تحاول النظم والقوانين ان تصلح روح امة مالم يكن معها وازع نفسي من دين وخلق ، فاذا أردنا لهذا الشعب حياة كريمة ، وتعلقاً بالدولة ودفاعاً عن الوطن كان النص على دين الدولة الاسلام حافزاً للشعب ــ وهو في أكثريته الساحقة مسلم ــ ان ينفذ النظم التي تسن له ، والاوامر التي تصدر في مصلحته من حكوماته ، اذ يرى في ذلك أمراً دينياً محتماً لايجوز التخلي عنه ، ولعمري ان اية حكومة في الدنيا مهما كانت قوية راقية تحتاج الى هذا الوازع الديني النفسي فكيف تستغني عنه جمهوريتنا الناشئة المحاطة بالصعاب ! ؟

٣ ــ المصلحة القومية

ونحن السوريين دعاة وحدة عربية ، نعتبر انفسنا جزءاً من الامة العربية ، ووطننا السوري جزءاً من الوطن العربي الاكبر ، وجمهوريتنا هي

اليوم عضو في الجامعة العربية ، وستكون غدا بفضل الله جزءا من الدولة العربية الواحدة ، والعرب سبعون مليونا على أقل تقدير ، ثمانية وستون مليونا منهم مسلمون واثنان مسيحيون ، ودول الجامعة « ما عدا لبنان لوضعه الخاص به » تنص في دساتيرها على ان دين الدولة الاسلام كما في مصر والعراق والاردن ، او يقوم واقعها على ذلك كالمملكة العربية السعودية واليمن فالنص على ان دين الدولة الاسلام عامل قوي من عوامل الوحدة الشعبية بيننا وبين اخواننا العرب ، ومظهر رسمي من مظاهر التقارب بين دول الجامعة العربية ، فلماذا نهمل أقوى عامل من عوامل الوحدة العربية شعبية ورسمية ، ولماذا نتجاهل الواقع الملموس ؟ . .

٤ ــ المصلحة السياسية

والعالم اليوم ينقسم الى كتل سياسية كبرى وكل معسكر يسعى الى توسيع نفوذه الثقافي والاقتصادي والفكري والاستعماري .. ويبذل في سبيل ذلك الاموال الطائلة والجهود الجبارة .

ونحن العرب في واقعنا المؤلم وفي حياتنا المقبلة لا بد لنا من ميدان نفوذ يساعدنا في الميادين الدولية ، ويتصل بنا بعاطفة الحب أو الصداقة أو التعاون ، وقد جعل الاسلام لنا في العالم الشرقي ميدان نفوذ يضم اربعمئة مليون مسلم كلهم يحبون لغتنا وتراثنا وكتابنا وثقافتنا ، حتى ان الباكستان قد قررت اعتبار اللغة العربية لغة رسمية لها ، وقد رأيناها في هيئة الامم تدافع عن حقنا في فلسطين دفاعا حارا قويا استحق شكر الدول العربية وشعوبها ، من حيث كانت الدول الغربية المسيحية تتآمر على مهد السيد المسيح ومبعث رسالته ، فهل وقفت الباكستان هذا الموقف ، وهل اتخذت لغتنا لغة رسمية الا من أجل الاسلام الذي آمنت به وبنت دولتها وحياتها على اسسه ؟ وقل مثل ذلك في اندونيسيا المجاهدة ، وقد نصت هاتان الدولتان الكبيرتان اللتان يبلغ عدد سكانهما مائة وخمسين مليونا في مشروع دستوريهما على ان دينهما الاسلام ، أفليس مما يقوي الرابطة بيننا وبين هذه الدول والشعوب ان نعترف بالاسلام ديناً وهو ديننا الذي صدرناه اليهم ونشرناه في ربوعهم ؟ السنا في حاجة الى أسواق تجارية لمنتوجاتنا ؟ السنا في حاجة الى معونات اقتصادية ؟ ألسنا نجد في هذه الشعوب ميدان نفوذ طبيعي بريء للغتنا وثقافتنا وتراثنا وحضارتنا ؟ فلمن نترك ذلك كله ؟ لمن نتخلى عن مصلحتنا السياسية

والاقتصادية والثقافية ؟ هل يستطيع احد ان يقول لنا ذلك بصراحة وجرأة ؟ !

وبعد ، فهذه هي بعض الفوائد التي نجنيها من النص على هذه المادة في الدستور وهي كما يرى القارىء فوائد محققة لا نستغني عن واحدة منها في حياتنا المليئة بالمتاعب والمشاكل .. فما هي المساوىء التي تنشأ عن هذه المادة ؟ سنحاول تلخيصها والاجابة عنها بايجاز على ان نعود الى هذا الموضوع بالبسط والتوضيح .

اعتراض الطوائف المسيحية

يتضح مما قرأناه لرؤساء الطوائف المسيحية ، ومما سمعناه منهم ان اعتراضهم ينصب على ناحيتين اثنتين :

١ ــ ان معنى دين الدولة الاسلام ، ان أحكام الاسلام ستطبق على المسلمين والمسيحيين . ولما كانت للمسيحيين عقائدواحكام واحوالشخصية تختلف عن الاسلام فكيف يجبرون على احكام الاسلام ؟

وهذا الفهم خاطيء من نواح عدة ، أهمها : ان الاسلام يحترم المسيحية كدين سماوي ويترك لاهلها حرية العقيدة والعبادة دون ان يتدخل في شؤونهم ، اما احوالهم الشخصية فلا يتعرض لها بحال ، ولا يمكن ان يطبق عليهم أي حكم من الاحكام التي تخالف شريعتهم أو تقاليدهم ، واحكام الاسلام في ذلك واضحة ، وكتب التشريع الاسلامي بين أيدينا ، ووقائع التاريخ لا ينكرها الا مكابر ، وقد ظل المسيحيون العرب منذ عصر الاسلام حتى الآن يتمتعون بعقيدتهم وعبادتهم ، واحوالهم الشخصية لم تتعرض لها دولة ولا حكومة ، في الوقت الذي كان الحكم فيه للاسلام خالصا ، فكيف يتوهم الآن ان يطبق عليهم أحكام تخالف دينهم ونحن في دولة برلمانية شعبية الحكم فيها للشعب ممثلا في نوابه المسلمين والمسيحيين ؟ .. ونزيد على ذلك انه مع احترام الاسلام لكل ما ذكرناه فنحن لم نكتف بذكر هذه في الدستور بل اقترحنا ان تنص على احترام الاديان السماوية وقدسيتها واحترام الاحوال الشخصية للطوائف الدينية ، فكيف يخطر في البال بعد هذا ان هنالك خطرا على عقيدة المسيحيين واحوالهم الشخصية ؟ ! .

٢ ــ ان معنى دين الدولة الاسلام العداء للاديان الاخرى ، وانتقاص

غير المسلمين في حقوقهم والنظر اليهم نظرا لا يختلف عن اتباع الدين الرسمي .

وهذا خطأ بالغ أيضا ، فليس الاسلام دينا معاديا للنصرانية حتى يكون النصر عليه عداء لها ، بل هو معترف بها ومقدس لسيدنا المسيح عليه السلام ، بل هو الدين الوحيد من اديان العالم الذي يعترف بالمسيحية وينزه رسولها الكريم وامه البتول ، وقد أمر القرآن الكريم اتباعه ان يؤمنوا بالانبياء جميعا ومنهم عيسى عليه السلام فأين العداء وأين الخصام بين الاسلام والمسيحية ؟ ! أو ليس النص على ان الاسلام دين الدولة الرسمي يتضمن ان المسيحية دين رسمي للدولة باعتبار الاسلام معترفا بها ومحترما لها ؟

واما توهم الانتقاص من المسيحيين ، وامتياز المسلمين ، فأين الامتياز؟ أفي حرية العقيدة ، والاسلام يحترم العقائد جميعا ، والدستور سيكفل حرية العقائد للمواطنين جميعا ؟ أم في الاحوال الشخصية والاسلام يحترمها والدستور يضمنها ؟ أم في الحقوق المدنية والتساوي في الواجبات ، والاسلام لا يفرق بين مسلم ومسيحي فيها ، ولا يعطي للمسلم في الدولة حقا أكثر من المسيحي ، والدستور سينص على تساوي المواطنين جميعا في الحقوق والواجبات ؟

اني سأضع امام القراء وامام ابناء الشعب جميعا نص المادة المقترحة في هذا الشأن ليروا بعد ذلك أي خوف منها وأي غبن يلحق المسيحية فيها:

١ ـ الاسلام دين الدولة .

٢ ـ الاديان السماوية محترمة ومقدسة .

٣ ـ الاحوال الشخصية للطوائف الدينية مصونة ومرعية .

٤ ـ المواطنون متساوون في الحقوق لا يحال بين مواطن وبين الوصول الى أعلى مناصب الدولة بسبب الدين او الجنس او اللغة .

اني اسأل المنصفين جميعا وخاصة ابناء الطوائف الشقيقة : اذا كانت المادة التي تنص ان دين الدولة الاسلام هي التي تتضمن هذه الضمانات كلها ، فأين الخوف ، وأين الغبن ، وأين الامتياز للمسلمين وأين الانتقاص لغيرهم ؟

اعتراض القوميين

ويعترض بعض القوميين بأن النص على دين معين للدولة ينفي الوحدة بين أبنائها ، وان سورية ذات أديان مختلفة فلايصح ان ينص على دين معين .

والواقع انه ليس في سورية الا مسلمون ومسيحيون ، وقليل جدا من اليهود . اما الطوائف فهي كلها ترجع الى هذين الدينين ، وفي النص الذي ذكرناه سابقا ضمان لحقوق المواطنين جميعا وتساويهم وضمان لعقائدهم واحوالهم الشخصية ، فأي تفرقة في هذا النص ؟

وهل في الدنيا دولة ليس فيها الا دين واحد او مذهب واحد ؟ فهل منع تعدد الاديان أو المذاهب كثيرا من الدول على ان تنص على دين معين أو مذهب معين ؟

ان الوحدة القومية بين العرب ليست باطراح عواطف ثمانية وستين مليونا واهمال هذا الرابط الديني القوي بينهم ، واذا كان مفهوم القوميات في اوربا يحتم اخراج الدين من عناصرها الاساسية ، فذلك لا ينطبق علينا نحن العرب . ان المانيا النازية قد تجد في المسيحية دينا غريبا عنها ، وان تركيا الطورانية قد تجد في الاسلام دينا غريبا عنها ، ولكن العرب لن يجدوا في الاسلام دينا غريبا عنهم ، بل هم يؤمنون بأن قوميتهم العربية لم تولد الا في احضان الاسلام ولولاه لما كانت ذات وجود حي قائم .. فليفرق دعاة القومية بين أوربا والشرق ، وبين نصرانية الغرب واسلام العرب .

واذا أضفنا الى ذلك ان الاسلام يحترم المسيحية ويؤمن بها دينا سماويا لم يبق عندنا في القومية العربية دينان يصطرعان حتى نطرحهما لتسلم لنا قوميتنا ، وانما هناك دينان يتعاونان على بناء القومية العربية بناء سليما عالميا خالدا .

اعتراض العلمانيين

ويعترض دعاة العلمانية في بلادنا كما جاء في البيان المنسوب الى خريجي الجامعات العالية بأن (الشعوب التي سبقتنا في ميدان الحضارة مرت من مرحلة الدين في التنظيم والحكم حيث كان رجال الدين يسيرون امور الدولة الى مرحلة القومية ، ثم هي تنتقل اليوم الى مرحلة التنظيم

على اساس التكتل السياسي والاقتصادي ذي الصبغة العالمية) .

ونحن نجيبهم بان النص على دين الدولة ليس معناه ان يسير رجال الدين امور الدولة ، ولو كان كذلك لما وضعت هذه الامم التي سبقتنا في ميدان الحضارة في دساتيرها النص على دين الدولة .

وفيما يلي بيان لبعض الدول الحديثة التي تنص في دساتيرها على دين معين .

اسوج ، نروج ، دانيمرك ، انكلترا ، بلغاريا ، بيرو ، كوستاريكا ، باناما، اسبانيا ، بوليفيا ، الارجنتين ، ايرلندا ، ايتاليا ، اليونان (قبل الحرب الاخيرة) بولونيا (قبل النفوذ الشيوعي) جميع دول شرق اوربا (قبل النفوذ الشيوعي) مصر ، العراق ، الاردن ، ليبيا، ايران ، الافغان ، باكستان، اندونيسيا ، اسرائيل المزعومة (! . .)

فما قول العلمانيين في صنع هذه الدول الحديثة ؟ الا يدل على ان النص على دين الدولة لا يتنافى مع تطور الحضارة وتقدم المدنية ؟ ام يعتبرونها دولا رجعية لا تزال متأخرة ؟ . وايضا فقد اعترف هؤلاء بان الامم انتهت من مرحلة القومية الى مرحلة التكتل السياسي الاقتصادي ، فلماذا يرون من الامور الطبيعية ان تتكتل بلغاريا وهنغاريا وتشكوسلوفاكيا والبانيا ورومانيا والمجر والصين وغيرها على أساس الشيوعية وهي عقيدة حديثة لديهم ولا يرون من الطبيعي ان تتكتل مصر وسورية والعراق واليمن والحجاز والاردن على اساس الاسلام وهو عقيدة هذه الاقطار ؟ اليس الاسلام نظاما اجتماعيا شاملا كالشيوعية ، ولكنه اسمى منها مبدأ وانبل غاية ؟ أم انتم لا ترونه كذلك أيها العلمانيون ؟ فلماذا لا تصارحون الشعب بسوء ظنكم بالاسلام وصلاحه للحياة ؟

ومن العجيب ان يحرص العلمانيون في بيانهم على الروابط التي تربط ما بين السوريين وبين المغتربين في الخارج وهي روابط نحرص عليها ، ثم لا يبالون بالروابط بين السوريين وبين سبعين مليونا من اخوانهم العرب ، ولا ندري متى كان النص على دين الدولة سيقطع ما بيننا وبين اخواننا المغتربين ؟ ، أليسوا يعيشون في دول قد نصت في دساتيرها على دين الدولة ؟ . . أليسوا حريصين على قوة هذه البلاد ومصلحتها ؟ ولو فرضنا ان النص سيجعل فتورا بيننا وبينهم (وهذا فرض مستحيل) ولكنه سيربط ما بيننا وبين العرب ، فهل تريدون منا ان نغضب سبعين مليونا

من العرب ؟ لئن اردتم ذلك كنتم قد كفرتم بالعروبة رابطة قومية ، بعد ان جحدتم الاسلام نظاما اجتماعيا صالحا .

واعود فأقول لهؤلاء ان « البعبع » الذي يخوفون به بعض المثقفين من ان النص على الاسلام دينا للدولة يجعل لرجال الدين الكلمة الاولى في البلاد ، هو بعبع لا يخيف الا من خيم الوهم والباطل على عقولهم ، فليس في الاسلام رجا لدين تكون لهم الكلمة العليا ونحن لا نريد بهذا النص ان نلغي البرلمان ونطرد ممثلي الامة ، ونمحو القوانين . كلا كونوا مطمئنين !! فسيظل كل شيء على حاله . سيبقى لنا مجلسنا ونوابنا وقوانينناوأنظمتنا ولكن . . مع سمو الروح ونظافة اليد ، واستقامة الاخلاق وعيش الانسان الكريم ! . .

اعتراض الحقوقيين

ويعترض بعض الحقوقيين بأن جعل دين الدولة الاسلام يلغي القوانين الحالية ويضطرنا الى تنفيذ الحُدود الاسلامية من قطع يد السارق وجلد الزاني ، وهذا قول خاطيء ، فنحن لا نفكر قطعا بالدعوة الى تنفيذ الحدود، لان الاسلام نظام كامل لا يظهر صلاحه الا في مجتمع كامل ، ومن كمال المجتمع ان يشبع كل بطن ، ويكتسي كل جسم ، ويتعلم كل انسان ، ويكتفي كل مواطن ، فاذا وقعت السرقة مثلا بعد ذلك وقعت شرا محضا لا يقدم عليه الا العريقون في الاجرام ، والاسلام يريد ان يرهب هؤلاء الذين لم يردعهم العلم ولا الشبع ولا العيش الكريم عن الوقوع في الجريمة .

على ان الاسلام قد حف تلك الحدود بشروط شديدة جدا يكاد يكون من المتعذر تنفيذ الحكم في حادثة واحدة من بين الف حادثة مما يدل على ان قصد الاسلام من ذلك الارهاب والتخويف ، وحسبكم القاعدة المشهورة « ادرأوا الحدود بالشبهات » .

وخلاصة القول اننا لا نريد انقلابا في قوانيننا الحالية ، وانما نريد التقريب بينها في التشريعات المدنية وبين نظريات الاسلام الموافقة لروح هذا العصر ولا صدق النظريات الحقوقية السائدة فيه فاذا اتفق التشريع الاسلامي مع النظريات الحديثة فهل تجدون حرجا في الاخذ به تراثا قوميا عربيا تعتزون به وتفاخرون ؟

هذا مع العلم بأن مسألة التشريع غير مسألة دين الدولة ، فليس لوضع دين الدولة من غرض الا صبغ الدولة بصبغة روحية خلقية تجعل النظم والقوانين منفذة من الشعب بوازع نفسي خلقي ، ومن أغراض هذه المادة تقوية الصلات بيننا وبين اخواننا العرب والتعاون بيننا وبين الشرق الاسلامي .

اما الحدود الاسلامية فلا تستلزمها هذه المادة بدليل ان مصر والعراق وضعتا هذه المادة في دستوريهما منذ ربع قرن ولم تفكرا باقامة الحدود الاسلامية .. هذا ما نصرح به علنا لا مجاملين ولا مواربين .

وبعد فهذه خلاصة الادلة التي تحتم علينا وضع هذه المادة في الدستور وخلاصة الاجوبة على ما يخاف منها ، ونحن نرجو ان يبحث هذا الامر بحثا واقعيا بعيدا عن العصبية الطائفية والاهواء المستحكمة ونعتقد ان الاحبار الاجلاء رؤساء الطوائف المسيحية يشعرون معنا بخطر الالحاد على الاديان جميعا ، ونحن نعلن اننا نفضل ان يكون دين الدولة المسيحية على دولة علمانية ملحدة ، فهل هم يفضلون الالحاد على الاسلام ؟ .. ونريد ان نذكرهم ان العلمانية لا تضمن حقوق الطوائف ولا تزيل التعصب الطائفي وانما الذي يضمن ذلك ، الدين الذي جعل من تعاليمه ان يترك الناس وما يعتقدون ، وان الناس جميعا عباد الله اكرمهم عنده أتقاهم وانفعهم .

اما اخواننا القوميون فنحب ان يكونوا قوميين عربا حين يبحثون هذه الناحية وان لا يفضلوا مراعاة شعور وهمي محصور في ناحية ضيقة على حقيقة ثابتة شائعة في دنيا العرب جميعا ، نحب ان لا يكونوا قوميين سوريين بل قوميين عربا ..

اما العلمانيون فلسنا نقول لهم بعد اكثر من ان نتوجه اليهم بالرجاء ان لا يحولوا بين هذه الامة ومصادر قوتها .. نحن شعب نريد ان نرجع الى الله فلا تحولوا بيننا وبينه . ونريد ان نمد أيدينا الى اخواننا العرب فلا تحولوا بيننا وبينهم ، ونريد ان نستند الى اصدقاء أقوياء فلا تحرمونا منهم . ونريد ان نتعاون مسلمين ومسيحيين ، مستمعين الى صوت السماء وتعاليم الانجيل والقرآن فلا تملأوا عقولنا بالباطل ، ولا تصكوا اسماعنا باغنية الشيطان ! .. « قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين » .

دمشق في ٢١ ربيع الثاني ١٣٦٩ و ٨ شباط ١٩٥٠

مصطفى السباعي

صفحات من جهاد متواصل

تاريخ دعوة في حياة رجل

١٣٣٤ - ١٣٨٤هـ = ١٩١٥ - ١٩٦٤م

للأستاذ محمد بسّام الإسطواني

ترددت كثيرا قبل ان أمسك القلم لاسجل هذه الصفحات من الجهاد المتواصل التي تمثل حياة فقيد الاسلام الكبير ، الداعية الموهوب ، والمرشد المربي ، والقـائد المجاهد والعالم الفقيه ، والاديب الشاعر ، والخطيب الثـائر ، والمفكـر الحكيم ، والسياسي الصادق ، والمؤمن الرباني ، استاذنا الحبيب الدكتور مصطفى السباعي



الصرخة الحرة التي طالما هابها الطغـاة والمستعمرون

عليه رحمة الله ورضوانه ... وكيف لا أتردد ، وكيف لا أتهيب من الاقدام على هذه المحاولة في تقديم هذه الصفحات التاريخية التي تشكل في مجموعها سفرا خالدا عظيما يزخر بالمفاخر والمآثر والبطولات والتضحيات وجلائل الاعمال ... ولكن ضرورة المناسبة دفعتني للاقدام عليها وهي الاولى من نوعها لتأريخ حياة هذا الرجل الامة ... ولا بد من الاعتراف انصافا للحقيقة والتاريخ أن هذه المحاولة ان هي الا محاولة قاصرة عن الاحاطة بجوانب هذا التاريخ العظيم ، فضلا عن قصورها عن اعطاء كل جانب منه حقه من الدراسة والتفصيل ...

والعذر في ذلك ضيق الوقت عن استيعاب الموضوع من كل جوانبه ، وحؤول بعض الظروف دون ذلك ... وحسبي في هذه العجالة أن أقدم عرضا تاريخيا موجزا وسريعا لحياة هذا الرجل العظيم ، ذاكرا الوقائع دون تحليلها لان محاولة تحليلها ودراسة آثارها الاجتماعية والفكرية والسياسية في العالمين العربي والاسلامي .. تتطلب وقتا طويلا ، وجهدا كبيرا ، لا نقدر عليه في الوقت الحاضر ، ونأمل ان شاءالله ان نستطيع ذلك في وقت قريب .. وفي مناسبة مقبلة نكون فيها أقدر على ايفاء الموضوع حقه من الدراسة والتفصيل ..

ونحن اذ نقدم هذه الصفحات المشرقة للاجيال الاسلامية الصاعدة التي رباها السباعي وفقدت بوفاته رائدها الامين ، وقائدها الحكيم ، واستاذها المربي في وقت هي أحوج ما تكون لمثل قيادته وحكمته وعبقريته وشجاعته وعلمه وفكره ومواهبه ... انما نقدمها لتكون لهم مثال احتذاء ومنار اقتداء .. فسجل حياته رضي الله عنه يشهد بأنه كان الداعية الفذ الذي وهب دعوته وفكرته كل ذرة من جهده وفكره وقلبه وروحه وأعصابه وحياته المعطاءة حتى آخر نفس فيها .. كما يشهد بأن انتاجه خلال عمره القصير الذي لم يتجاوز التاسعة والاربعين عاما كان عظيما مثمرا تعجز عصبة من العباقرة الموهوبين من اولي العزم والهمة عن انتاج مثله في روعته واثماره وتعدد جوانبه ...

ولئن آثره الله الى جواره بعد أن أدى الامانة وبلغ الرسالة ونصح الامة وجاهد في الله حق جهاده ... فانه سيبقى أبد الدهر ملء عقول الاجيال المسلمة وملء قلوبها تحفزها ذكراه للمضي في طريق الاسلام العظيم ... وان المشعل الذي أوقده السباعي رحمه الله من نور عقله وقلبه وروحه سيبقى منارا هاديا لها حتى تصل الى أهدافها المنشودة أو تستشهد دونها والله غالب على أمره ..

ونعرض فيما يلي الخطوط الكبرى لمراحل حياة فقيدنا العظيم رحمة الله على روحه :

ولادته ونشأته :

ولد الفقيد عام ١٩١٥ م في مدينة حمص من أسرة علمية عريقة هي من أكرم الاسر الحمصية وأغناها بالعلم والعلماء منذ مئات السنين ،وكان أبوه وأجداده يتولون الخطابه في الجامع الكبير بحمص جيلا بعد جيل ، وقد تأثر في أول نشأته بأبيه العالم الفاضل والمجاهد الثائر والخطيب البليغ **الشيخ حسني السباعي** عليهما رحمة الله ورضوانه ، فلقد كان لابيه مواقف مشرفة مع اعداء البلاد، فكان في طليعة العاملين والمؤيدين للحركات الوطنية ، وقد ساهم بقسط وافر في المقاومة



الفقيد في الثانية عشرة من عمره

المسلحة ضد الافرنسيين ، وقيادة المجاهدين الثائرين ضد الاستعمار والمستعمرين والطغاة والمستبدين .. كما كان رحمه الله من محبي الخير مساهما في تأسيس الجمعيات الخيرية والمشاريع الاجتماعية ، مغيثا للملهوفين ، مدافعا عن المظلومين والبائسين .. فكان لذلك أثر كبير في نشأة فقيدنا الراحل ، ولقد رافقت نشأته أيضا ظروف قاسية كانت تمر بالبلاد فكان لذلك كله أثره في دفعه منذ حداثته في طريق الكفاح الوطني ضد اعداء البلاد من المستعمرين وعملائهم .. وفي طريق الجهاد الديني لاعلاء كلمة الله وحرب اعدائه .. الا أن هذه الظروف لم تحل دون اقباله رحمه الله على العلم وحضور مجالسه ، ولقد كان يصحب أباه الى مجالس العلم التي كان يعقدها مع لفيف من فقهاء حمص وعلمائها الاخيار ،

نذكر منهم الشيوخ الاساتذة : طاهر الرئيس ، سعيد الملوحي ، فائق الاتاسي ، راغب الوفائي ، محمد البني ، ولم يبق منهم على قيد الحياة ـ يرحمهم الله ـ الا الشيخ طاهر الرئيس بارك الله في عمره . . . حيث كانوا يتدارسون الفقه ويتناقشون في أدلة مسائله وكان فيهم الحنفي وفيهم الشافعي ، وكان فقيدنا عليه رحمة الله على صغر سنه يحضر مع أبيه هذه المجالس مما حبب اليه أجواءها ، وكان لها أثرها في تكوينه العلمي ، وقد دفعه أبوه بعد ذلك وشجعه لدراسة علوم الشريعة وبخاصة دراسة الفقه المقارن ، ومسالك الائمة في اجتهاداتهم ، فصار رحمه الله كما أراد له أبوه عالما فقيها من نوادر العلماء الفقهاء . .

طلبه العلم :

بدأ يحفظ القرآن الكريم وتلقي مبادىء العلوم الشرعية على أبيه حتى بلغ السن التي تخوله دخول المدرسة الابتدائية حيث التحق بالمدرسة المسعودية الابتدائية ، وبعد أن أتم فيها دراسته الابتدائية بتفوق ظاهر ، التحق بالثانوية الشرعية حيث أتم فيها دراسته عام ١٩٣٠ م بنجاح باهر لفت أنظار كبار اساتذته الذين كانوا يتوقعون له مستقبلا علميا باهرا لما كان يتمتع به من الذكاء المبكر والنباهة المتوقدة والبديهة الحاضرة ، والنشاط المتوثب ، فقد كان رحمه الله منذ صغره حركة دائبة لا تعرف الكلل ولا الملل ولا الفتور . . فكان لذلك محط اعجاب اساتذته وأقرانه وجميع معارفه . . ولم يقتصر في دراسته الشرعية على المناهج المدرسية وانما كان الى جانب ذلك يحضر كما ذكرنا مجالس العلم التي كان يعقدها والده مع كبار فقهاء



الفقيد في السابعة عشرة من عمره

وعلماء حمص ، وبالاضافة الى ذلك كان يتردد على غيرهم من علماء حمص يتلقى عنهم العلوم الاسلامية المختلفة امثال العلماء السادة المشايخ طاهر الاتاسي مفتي حمص في ذلك الوقت وزاهد الاتاسي ومحمد الياسين عبد السلام وأنيس كلاليب وغيرهم . كما أنه كان مولعا بالمطالعة والبحث في كتب الادب والثقافة المختلفة ، واثناء ذلك كان يلقي خطبة الجمعة في كثير من الاحيان في الجامع الكبير نيابة عن ابيه وهو فتى لم يتجاوز الثامنة عشرة ، مما جعله يحتل مكانة مرموقة في بلده ، وحاز اعجاب الجماهير التي كانت تتوق لسماع خطبه القوية الحماسية التي طالما ألهب فيها المشاعر وأيقظ العقول والقلوب بجرأته النادرة وعرضه الجذاب واسلوبه المثير وفكرته الواضحة . . ورأى بعد ذلكأن يتابع دراسته الشرعية فسافر الى مصر والتحق بالجامعة الازهرية وانتسب الى قسم الفقه وذلك في عام **١٩٣٣ م** فأدهش اساتذته هناك لما أبداه من تفوق باهر جعل اسمه على كل لسان بين جميع اساتذته وزملائه ، ثم انتسب الى كلية اصول الدين ونال اجازتها بتفوق والتحق بعدها بقسم « الدكتوراه » لنيل شهادتها في التشريع الاسلامي وتاريخه وقد قدم أطروحته العلمية وموضوعها « السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي » التي نالت درجة الامتياز بعد أن ناقشتها لجنة من كبار علماء الازهر وكان ذلك عام ١٩٤٩ وقد أدهش اللجنة بدقته العلمية ، واستيعابه للموضوع من كل جوانبه ، وما أبداه من آراء ومناقشات ودفاع دحض به شبهات المستشرقين واعداء السنة النبوية بأدلة علمية دامغة ، ولقد أصبح هذا الكتاب القيم من أهم المراجع العلمية في موضوعه ومن أمضى الاسلحة في الدفاع عن السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي لكل باحث وعالم ، وطالب علم . . .

مباشرته التدريس والوظائف التي شغلها :

أحب رحمه الله مهنة التدريس رغبة منه في نشر العلم وتربية النشء على أخلاق الرجولة والفضيلة وأدرك أهمية التدريس في تكوين هذا النشء واعداد الاجيال اعدادا يناسب ما ينتظرها من مسؤوليات واعباء لتحرير البلاد من الاستعمار وآثاره ، واستعادة فلسطين التي كانت وكل قضية عربية واسلامية شغله الشاغل ، وليساهموا في بناء مجتمعهم على أسس

متينة من العلم والاخلاق والشعور بالمسؤولية لذلك انخرط في سلك التعليم فكان يدرس اللغة العربية والتربية الدينية في مدارس حمص الثانوية ، ثم عندما انتقل الى دمشق عمل مع فئة من اخوانه على انشاء مدرسة تحقق ما يصبو اليه من أهداف في التربية والتعليم ، لانه لم يكن يرى في مناهج المدارس الحكومية مايحقق الهدف المنشود ، فضلا عن فقدان عنصر التربية السليمة فيها فأسس المعهد العربي في دمشق



الفقيد في العشرين من عمره

الذي انضمت الى ادارته بعد ذلك جمعية التمدن الاسلامي رغبة في توسيع المشروع ودعمه فأصبح اسم المعهد (المعهد العربي الاسلامي) الذي ما زال قائما الى الآن رغم أنه لم يعد لمؤسسيه أية علاقة به لظروف شتى .. ولم يقتصروا على انشاء هذا المعهد في دمشق بل فتحوا له فروعا في معظم المحافظات ، وكان فقيدنا رحمه الله أول مدير لهذا المعهد الذي خرج في زمانه عددا كبيرا من الطلاب ممن شغلوا فيما بعد وظائف تدريسية وغيرها من مختلف الوظائف والاعمال وكانوا من خيرة ما أنتجته المدارس في بلدنا علما وخلقا وشعورا بالمسؤولية ..

ولكن مؤهلاته الفطرية وامكانياته العلمية ، وطاقاته المبدعة ، كانت تهيء له مهمة أكبر فوقع عليه الاختيار ليكون استاذا في كلية الحقوق بجامعة دمشق ، فعين فيها منذ عام **١٩٥٠ م** فكان من ألمع اساتذة الجامعة في فن التدريس وخصب الانتاج العلمي .. ولكن هذا المنصب الجديد لم يكن ليستوعب الا جزءا من نشاطه وطاقاته المتوثبة المتوقدة .. كما أن طموحه العلمي وشعوره بالمسؤولية نحو دعوته وفكرته وبلاده كان أكبر

من أن يقنعه بما وصل اليه ، ففكر في انشاء كلية خاصة مستقلة للشريعة الاسلامية تكون احدى كليات الجامعة وتعمل على تخريج علماء في الشريعة الاسلامية على أرفع المستويات العلمية والفكرية .. وأراد ان يثبت بذلك جدارة التشريع الاسلامي لتحقيق الخير والتقدم والازدهار لامتنا ولكل أمة ، في عصرنا وفي كل عصر .. ولقد نجحت مساعيه رغم العراقيل والصعوبات التي وضعت في طريقه لاخراج هذه الكلية الى عالم الوجود فكان أن تم تأسيسها عام ١٩٥٥ وكان أول عميد لها الى جانب قيامه بالتدريس في كلية الحقوق واضطلاعه بكافة المسؤوليات العامة الملقاة على عاتقه كداعية وصاحب فكرة .. ولقد عمل منذ تسلمه عمادة كلية الشريعة بالتعاون مع اخوانه من الاساتذة الجامعيين الذين يؤمنون بفكرته على ارساء دعائم هذه الكلية على أمتن الاسس العلمية والفكرية والاساليب الحديثة لتحقق الهدف المنشود في تخريج اجيال من العلماء الدعاة والفقهاء والمدرسين الجديرين بحمل لواء الفقه الاسلامي ونشره والتمكين له ..

والحق ان عملا مثل هذا العمل لو قامت به جماعة من أصحاب المواهب والامكانيات لكفاها فخرا ومأثرة ومجدا وخلودا .. ولكن السباعي رحمه الله كان طاقة جبارة لا تعرف الوقوف عند حد .. ولا تعرف القناعة والاكتفاء بالعمل في ميدان واحد .. والحق كذلك أن السباعي عليه رضوان الله كان أمة حية دائبة النشاط والحركة والتوثب والتطلع الى أكبر الاهداف وأسمى الغايات ... فلم يكتف بالسعي لتأسيس كلية الشريعة وانما كان يهدف لاحياء التراث الفقهي الاسلامي العظيم ، وبعثه بقالب جديد يلائم التطورات الاجتماعية والتشريعية الحديثة ، فعمل بالتعاون مع اخوانه الذين شاركوه تأسيس كلية الشريعة على انشاء موسوعة للفقه الاسلامي تهدف الى احيائه وصياغته صياغة جديدة وتبويبه وتصنيفه على احدث الاساليب المتبعة في أرقى الموسوعات العلمية والقانونية في العالم لتكون مرجعا لكل فقيه وعالم ولتلبي حاجة التشريع عندما تتهيأ الظروف لاقامة كافة تشريعات بلادنا على أساس الاسلام . وتحقيقا لذلك ركب كل صعب حتى اخرج المشروع الى حيز الوجود وكان اول رئيس لهذه الموسوعة التي جمعت خيرة العناصر العلمية والفقهية والقانونية في الجامعة وباشرت عملها الكبير الذي نرجو له الاستمرار والانتاج ليحقق الغاية التي انشئت الموسوعة من أجلها ... وكان رحمه الله بالاضافة الى ذلك رئيسا لقسم الفقه الاسلامي ومذاهبه في جامعة دمشق ... وكان يرى أن مناهج

كلية الشريعة لا يجوز أن تقتصر على تلقين العلوم الجافة وان غاية الكلية ليست تخريج العلماء والفقهاء فحسب وانماكان يريدأن يكون خريجوالشريعة علماء ودعاة ، وللدعوة فن وروح واذا كان العلم يصنع العلماء فان التربية والتوجيه يصنع الدعاة ، ولذلك عني رحمه الله بمناهج التربية والتوجيه في الكلية ، فبالاضافة الى الروح التوجيهية التي كان يحرص على بثها في كافة المناهج العلمية ، عمل على توجيه الطلاب توجيها مباشرا فأحدث درسا اسبوعيا سماه « قاعة البحث » وقد تولى بنفسه ادارة هذه القاعة والقاء محاضراتها التوجيهية ، وكان رحمه الله حريصا على عدم الانقطاع عن قاعة البحث لاي عذر أو سبب ولو كان المرض الشديد والآلام المبرحة . . . وكم كنت أعجب من همته وحيويته واخلاصه واندفاعه لاداء الواجب رغم ما يعانيه من الآلام التي تنوء بها الجبال الراسيات . . واني لاذكر عندما كنت أتوسل اليه وأرجوه بالحاح أن لا يحمل نفسه مالا تطيق ، وكنت أحاول أن أثنيه عن عزمه في كثير من الاحيان كي لا يذهب الى الجامعة لالقاء محاضرات قاعة البحث اشفاقا عليه لما أعلمه من شدة الآلام التي لم تكن تفارقه لحظة واحدة في مرضه الاخير ونظرا لما كانت هذه المحاضرات تكلفة من جهد وتعب وارهاق لا سيما في أيام الشتاء الباردة . . ولكنه رحمه الله لم يكن يصغي لذلك وكان يقول « خير لي أن أموت وأنا أقوم بواجبي نحو الله من أن اموت على فراشي فالآجال بيد الله ، وان ألمي من حرمان الطلاب من دروس التوجيه أشد وأقسى من آلامي الجسدية وحسبي الله وعليه الاتكال » وكنت حين اسمع منه هذا الكلام وأرى منه هذه العزيمة الماضية والهمة الخارقة وهو مريض يعاني الآلام لا أتمالك نفسي من البكاء والخشوع أمام هذا الدرس البليغ في التضحية والايثار **فرحمة الله عليك يا استاذنا الجليل لقد كنت قمة شامخة هيهات هيهات لغيرك أن يدانيها الا ان يكرم الله الامة الاسلامية برجل مثلك يحمل ما حملت وينتج ما انتجت . . .**

مناصب سياسية — ثقة وتكريم :

لم يكن السباعي رحمه الله ابن حمص وحدها ولا ابن مدينة غيرها ولكنه كان ابن العالم الاسلامي أو على الاصح ابن الاسلام اينما كان وفي كل مكان . فلذلك لم يكن كثيرا أن تمحضه دمشق ثقتها وكان لم يمض على اقامته

فيهـا سـوى بضـع سنـين فانتخب نائبا عنها بل نائبا عن الامـة بأسرهـا في الجمعيـة التأسيسية التي تحولت بعـد وضـع الدستـور الى برلمـان **١٩٤٩ - ١٩٥٤** م فكان أهـلا لهذه الثقة وسرعان ما لمع نجمه كبرلماني شعبي متفوق ، اذ كان الصدى الحقيقي المعبر لامـاني الشعب وآلامه، والصوت المدوي المجلجل لجماهيره يصدع بالحق ولا يداري ، ويقـارع الباطـل والفساد ولا يهادن ، ويترفـع عن المكاسب والمغانم ولا يساوم . . . فاتجهـت اليـه الانظـار والتفت حوله القلوب داخـل البرلمان وخارجـه . . فانتخب نائبا لرئيس المجلس ، وأصبـح عضوا بارزا في لجنة الدستور



الفقيـد يؤدي القسم الدستوري

العامة وأحد الاعضاء التسعة الذين وضعوا مسودة الدستور وقدموها الى اللجنة العامة لاقراره بعد أن ضمنه مواد اسلامية رائعة .

وقد بذلت له العروض بالحاح مغر للدخول في الوزارات المتعاقبة فتأبى مؤثرا العمل الشعبي والبقاء بين الجماهير يعيش مشكلاتها وقضاياها عن الانشغال عنها بالمناصب والمغانم . . ولو أردنا الحديث عن أعماله وجولاته داخل البرلمان لاحتجنا الى مجلد كبير يسع نشاطه البرلماني . . واذا أردنا أن نعرف كيف حصل فقيدنا الراحل عليه رضوان الله على هذه الثقـة وهذا الحب فلنرجع الى بداية كفاحه الوطني وجهاده في سبيل دعوته وبلاده وأمته يوم كان فتى صغيرا .

بداية الكفاح والانطلاق في العمل العام :

كنا ذكرنا أن ظروفا قاسية كانت تمر بالبلاد رافقت نشأة فقيدنا ، من استعمار وفساد وتخلف وجهل وبؤس ومظالم اجتماعية وسياسيـة ،

أرض العروبة والاسلام وانما كان يرى الوطن العربي وطنا واحدا والعالم الاسلامي أمة واحدة يتتبع مشكلاتها في كل مكان ولم يكن ليقبل ما فرضه الاستعمار على امتنا الاسلامية من حدود وانقسام .. وقد اضطر الافرنسيون للافراج عنه تخفيفا للهياج الشعبي الذي اعقب اعتقاله وهو ابن ستة عشر عاما ، ولكنه رحمه الله ما أن خرج من السجن حتى عاد أشد مما كان حربا على الاستعمار وبغيه وعدوانه فعاد لاعتلاء المنابر والقاء الخطب الحماسية المثيرة مما ألجأ السلطات الافرنسية لاعادة اعتقاله **عام ١٩٣٢** والقائه في السجن وذلك عقب خطاب مثير ألقاه في خطبة الجمعة بالجامع الكبير في حمص ألهب فيه الشعور وأسال العبرات وهيج الجماهير واستمر سجنه عدة شهور وعندما أفرج عنه رأى أن يتابع دراسته وتحصيله العالي فسافر الى مصر **عام ١٩٣٣** والتحق بالازهر .. ولم يكن السفر من بلده راحة له من اعباء الكفاح والعمل الوطني ولكنه انتقال من ميدان الى ميدان ولئن ترك في بلاده الاستعمار الفرنسي فقد وجد في مصر الاستعمار البريطاني الجاثم فوق صدر المصريين ولما كان الوطن العربي والعالم الاسلامي في عقيدته وحدة لا تتجزأ فقد تزعم طلاب الازهر الذين سرعان ما التفوا حوله مع اخوانهم من طلاب المعاهد الاخرى فقاد مظاهراتهم ضد الاحتلال البريطاني ومظالمه مما دعا السلطات الاستعمارية الانكليزية في مصر الى القاء القبض عليه وايداعه السجن وذلك **عام ١٩٣٤** وفي **عام ١٩٤٠** اتهمته القيادة البريطانية في مصر بتأليف جمعية سرية لتأييد ثورة رشيد عالي الكيلاني ودعوة الشعب المصري الى الثورة على الانكليز ، فأمرت بالقبض عليه ثانية ، وبعد ان سجن شهرين سلم الى السلطات الانكليزية بفلسطين ، ولم تفرج عنه الا بعد ان قضى أربعة أشهر في السجن . عاد بعدها الى وطنه سورية فما كاد يصل اليها في بداية عام **١٩٤١** حتى قبض عليه الفرنسيون خوفا من أن يثير عليهم الجماهير من جديد فزجوه في سجون حمص وبيروت ثم في معتقل



الفقيد من على أحد منابر القاهرة يدعو للجهاد

« الية ومية » وقلعة راشيا بلبنان مدة سنتين ونصف السنة ذاق خلالها ألوانا من العذاب الوحشي والتجويع والاشغال انتقاما لما أشعله في قلوب الجماهير من النقمة على الاستعمار وجرائمه في كل مكان ...

كفاحه للقضية الفلسطينية :

لم تكن قضية فلسطين ، قضية عادية عند السباعي ، ولا كانت على هامش اهتمامه ، أو ملهاة يتسلى بالحديث عنها في المناسبات تكسبا للعواطف وتملقا لاصحابها .. ومتاجرة باسمها .. وانما كانت حية في قلبه يخفق بها .. منسربة في عروقه ينفعل بحرارتها .. شاغلة لعقله يفكر فيها ، كانت عنده قضية العقيدة ومقدساتها المهددة .. فكيف تهدأنفسه ويطمئن باله ، وكانت قضية الحق المغصوب، فكيف يهون أمره أو يفرط به .. وقضية الوجود للامة العربية الاسلامية ، فكيف ينشغل عنها أو يسلوها .. بل كانت قضية الشرف والكرامة فكيف لا تفور الدماء في عروقه ويستطيب التضحية من أجلها .. ان قضية فلسطين كانت بالنسبة للسباعي قضية وجود وحياة أمة يشعر بالخطر محدقا بها وقادتها لاهون فتثور ثائرته . وينطلق يزأر في الآذان ليوقظها .. ويقذف بالنار واللهب كلمات على لسانه يحرق بها المتخاذلين والمتآمرين والعملاء المؤجورين .. ولم يكن ليكتفي بالقول دون العمل فلقد شهدنا وشهدت الدنيا مصداق تحرقه للقضية الفلسطينية وبذله من أجلها وتضحيته في سبيلها .. فهو الزعيم القائد الذي قرن القول بالعمل .. أما القول : فكان في الخطب الحماسية النارية المثيرة التي طاف أنحاء البلاد من أقصاها الى أقصاها يثير بها الجماهير المؤمنة في كل مكان .. ويفتح لها أبواب الجنة فيلهب حنينها للاستشهاد في سبيل الله .. ويأخذ عليها العهود والمواثيق بأن تبذل لفلسطين الاسلامية كل غال ورخيص ... وقد كان ذلك عقب الافراج عنه سنة **١٩٤٣ م** بعد اعتقال دام أكثر من سنتين ونصف السنة في سجون « الميه ومية » وقلعة راشيا في لبنان ولقد ضاعفت قسوة التنكيل الذي عاناه من اندفاعه وحماسته وعزمه وتصميمه لمتابعة الجهاد والكفاح من أجل الاسلام وقضايا الحرية والكرامة « قضايا الامة » التي رأت فيه زعيمها المخلص وقائدها الامين .. ولقد نشرت صحف دمشق وغيرها من الصحف العربية يومئذ أنباء هذه الجولات والمظاهرات التي كان يقودها عقب كل خطاب في كل مدينة وقرية

في انحاء البلاد السورية .. كما نشرت هذه الصحف محاضراته وخطبه واحاديثه .. ولم تستطع هذه الصحف اخفاء دهشتها واكبارها لهذه الخطب والمظاهرات بالنظر لان البلاد كانت يومذاك تعيش تحت نير الاحكام العرفية .. وكانت الاجتماعات والتجمعات ممنوعة محظورة تحت طائلة أشد العقوبات ولكن السباعي الذي كان يرى الواجب فوق كل شيء لم يعبأ لهذه الاحكام ولا للتهديد الذي كان يوجه اليه من السلطات الاستعمارية والمتعاونين معها .. ولم يكن يشغله عن قضية فلسطين أي شاغل . فكانت على لسانه في كل حديث وفي كل مكان وفي كل مناسبة وحتى بدون مناسبة وتشهد بذلك مساجد سورية وأنديتها وبرلمانها وصحفها وكل مدينة وكل قرية فيها .. وهذا هو القول .. أما العمل فسيأتي الحديث عنه في موضعه من مراحل العرض .

قيادته للمقاومة المسلحة ضد الفرنسيين :

في عام ١٩٤٥ وفي شهر أيار قامت القوات الاستعمارية الفرنسية بحملات العدوان والارهاب والتدمير والتنكيل بالمواطنين والثوار وخيم شبح الحرب على البلاد .. فهب السباعي يرحمه الله يقود المقاومة المسلحة ضد القوى الفرنسية في حمص ، وأطلق الرصاصة الاولى بادئا هذه المقاومة وأظهر هو ورجاله بسالة نادرة وشجاعة أذهلت الاعداء الفرنسيين وادخلت الهلع على قلوبهم وكبدتهم الخسائر الفادحة في الارواح والعتاد وردتهم خائبين ..

البدء بالدعوة وبعث الفكرة الاسلامية :

لم يكن في البلاد الشامية حتى مطلع القرن العشرين تيار اسلامي واضح المعالم ، كما انه لم يكن للاسلام دعاة وجنود من المثقفين الذين جمعوا الى جانب الثقافة العصرية الحديثة ، ثقافة اسلامية ناضجة ، وانما كانت هناك دعوات دينية وطرق صوفية وجمعيات تقتصر في دعوتها على بعض جوانب الاسلام ، مكتفية بالدعوة الى مكارم الاخلاق والتمسك بالعبادات دون اهتمام بالجوانب الاخرى مع الابتعاد عن معالجة مشكلات

الجماهير والتحسس بها .. ولم تكن تخلو بعض هذه الدعوات والطرق من بدع وخرافات وضلالات مدخولة ومدسوسة على الدين . وهذا ما جعل الاسلام ومن كان يحمل بعض رسالته ، في عزلة عن الفئات المثقفة وعن جماهير الشعب ومشكلاته .. واذا أضفنا الى ذلك جهود الاستعمار التي بذلها ــ وقد كان مهيمنا على مقدرات الامور في بلادنا في ذلك الحين ــ لاخماد الروح الاسلامية التي كانت تحرك القوى الشعبية ضده وتدفعها للثورة عليه .. وما بذله أيضا من جهود استخدم فيها سائر امكانياته مدفوعا بالحقد الصليبي الموروث لتشويه حقائق الاسلام بالدس والافتراء وتضليل الافهام والعقول عن طريق تهوين شأنه وتراثه وأمجاده في نظر الناشئة المثقفة وتزيين الثقافة الغربية والاخلاق والعادات الاوربية وايهامهم أن الدين جمود ورجعية وانه لا سبيل للنهوض والانطلاق الا بترك الدين واتباع الغرب وتقليده في مختلف شؤون الحياة ! ! ..

وقد فعلت هذه السياسة الصهيونية الاستعمارية الصليبية فعلها فزادت في ابعاد الشباب المثقف عن الاسلام وزادت من احكام الحصار حوله ليبقى في عزلة عن أبنائه ، ولكن هيهات هيهات أن يتم لاعداء الاسلام ما يريدون .. فقد كان الله جلت قدرته لمكائدهم بالمرصاد فهيء للشعب المؤمن من يجدد له دينه ، ويقود جماهيره نحو التحرر من سلطان الاستعمار وما خلفه من جهل وفقر وتخلف وانحلال وفرقة وانقسام .. ويعيد للاسلام مجده ويصل بينه وبين أبنائه من جديد ويرفع رايته ويعيد بناء ما قد هدمه الاستعمار والصهيونية والشيوعية .. ولا شك أن المهمة كبيرة والنهوض بها شاق عسير يتطلب نوعا خاصا فريدا من الرجال المؤمنين الذين يستلذون التضحية في سبيل الله مهما غلت ، ويستسهلون الصعاب وركوب المخاطر لاعلاءكلمته .. وينسون أنفسهم وحظوظهم ليذكروا دينه ويجاهدوا للدفاع عنه واعلاء رايته ..

ولم يكن ذلك المجدد الذي أعده الله لحمل هذه الاعباء والقيام بهذه المهمة غير مصطفى السباعي الذي نهض بالعبء الثقيل الكبير « وان العظائم كفؤها العظماء » .. وشعر السباعي رحمه الله بحاجة الاسلام الى جماعة تؤمن به ايمانا صادقا واعيا يدفعها للتضحية في سبيله وتحقيق اهدافه في اقامة ميزان الحق بدل ميزان القوة في الارض .. فبدأ يدعو الناس الى الاسلام ويبصرهم بحقائقه ويعرفهم بأهدافه وغاياته وسرعان ما

استجابت الجماهير لدعوته والتفت حوله ولكن ظروف البلاد في ذلك الوقت التي وضعته في خط الكفاح الاول ضدالاستعمار وعملائه وما لاقاه على أيديهم من اعتقال وسجن وملاحقة وايذاء لم تدع له الفرصة الكافية لبناء الجماعة التي يشعر بضرورة وجودها .. الجماعة القادرة على ايجاد التيار الاسلامي القوي الذي يشق طريقـه في زحمـة التيـارات الفكرية والاجتماعيـة المتصارعة وتحقيق السبق والتفوق عليها .. فساهم في بداية الامر في تأسيس وقيادة عدد من الجمعيات الاسلاميـة في حمص وفي غيرهـا ومنها « الرابطة الدينيةبحمص ، وشباب محمد صلى الله عليه وسلم ، والشبان المسلمين في دمشق » .. وظل يعمل للاسلام عن طريقها الى أن سافر الى مصر سنة **١٩٣٣** لمتابعة دراسته العليا هناك ، وما أن استقر به المقام في القاهرة حتى بادر للاتصال بداعية الاسلام العظيم حسن البنا ــ الامام الشهيد ــ وكان قد سمع به من قبل وعرف جهاده في سبيل الاسلام ،



الفقيـد العظيم مع الامـام الشهيد في مصر عند اللقاء الاول

وكان الامام البنا عليه رضوان الله قد فرغ من بناء جماعته التي استطاعت بقيادته الفذة أن توجد في مصر رغم كل العقبات التيار الاسلامي الذي أثبت وجوده وأعاد لها وجهها الحقيقي المشرق بعد أن مسح ما علق به من ضلالات وبدع الفرعونية والتغريب .

ولقد أفزع الامام الشهيد الاستعمار وعملاءه والطغيـان وأذنابه والانحراف واتباعـه ، فتـآمر الاستعمـــار مـع الطغيان والانحراف وأقدمـوا بخسـة ونذالة على اغتياله **عام ١٩٤٨ م** وذلك عقب عودته واخوانه من معارك فلسطين بعد أن أثبت أنـه وجماعته قوة ترهب المستعمرين والطغاة والمنحرفين ، وتهدد وجودهم ومصالحهم

ولم يقتصر التآمر على امام الجماعـة ومرشدهـا حسن البنـا ولكنه كـان يستهدف الحركة التي أسسها فقامت السلطـات بحملـة واسعة من الاعتقالات استهدفت معظم أعضاء الجماعة وخاصة الاستـاذ السباعي الذي لاحقته السلطات ملاحقة شديدة ولكنها لم تظفر به ..



الفقيد أثناء ملاحقته بعد اغتيال الامـام البنـا

ولقد أعجب فقيدنا السباعي بعمـل الامـام الشهيد حسن البنـا ورأى فيه بغيته وطريقته ، كما رأى أن ما كان ينشده ويفكر به من تنظيم جماعة تنهض بعبء رسالة الاسلام قد تحقق على يدي الامام البنا ، فساهم خـلال وجوده في مصر بدفـع هـذه الحركة وتوسيع نشاطهـا وتدعيم أسسها فاستفاد من تجربتها وأفادها من خبرته ونشاطه . وبلغ نشاطه حدا أفزع الاستعمار البريطاني واتباعه في مصر آنذاك فالقي عليه القبض من قبل القيادة البريطانية في مصر بتهمة تحريض الشعب المصري على الثورة


المراقب العـام للاخوان المسلمين

ضد الانكليز وزج بـه فـي السجن وبعـد شهريـن سلـم الـى السلطـات الانكليزيـة بفلسطين فاودع معتقل «صرفند» وبعد مضي أربعة أشهر أفرج عنه، لتعيـد السلطـات الافرنسية في سورية اعتقاله من جديد فور وصوله اليهـا وزجته في سجون لبنان أكثر من سنتين ونصف ، وبعد أن أفرج عنه عاد الى بلـده حمص ثـم انتقـل الـى دمشق ليتابـع نشاطه فـي الدعوة الى الاسلام وقيادة الجماهير في طريق الحق والقوة والحرية .. ورأى فقيدنا الكبير أن الوقت قد حان لاخراج الحركة الاسلامية من نطاق العمل الشعبي العام الى نطاق الحركة المنظمة ، وبدأ باصطفاء العناصر الطليعية وانتهى الى تأسيس الجماعة المنشودة مختارا لها نفس اسم الحركة الاسلامية في مصر ، لاخراج الحركة من النطاق المحلي الى نطاق الوطن العربي الكبير ، فأعلن رحمه الله قيام « جماعة الاخوان المسلمون » وذلك في **عام ١٩٤٥** ، وقد انتخبته الهيئة التأسيسية للجماعة فيما بعد مراقبا عاما مدى الحياة وبايعته الجماعة على ذلك ، وقاد الجماعة قيادة الحكيم المقدام متجاوزا بها أحلك الايام وأشد العقبات حتى استطاع أن يجعل لدعوتها صوتا مسموعا مهابا ، وحتى استطاع أن يوجد في سورية التيار

الاسلامي الواعي الذي استقطب خيرة الشباب المثقف المؤمن .. واستمر السباعي القائد يمنح دعوته وجماعته من شبابه المتوقد وحيويته النادرة وعقله الجبار وعبقريته الفذة وروحه القوية وكل ذرة من جهده ووقته حتى سقط من الارهاق الذي لو سلط على جبل كبير لصدعه ولكن السباعي القائد لم يستسلم للمرض ، ولم تفتر همته للآلام المبرحة المضنية فبقي يمد الجماعة ودعوتها بقوة معنوية من قلبه الكبير وبتوجيه سديد رشيد من عقله الحكيم حتى آخر لحظة من حياته رحمه الله ..

وفي مكان آخر من هذا العدد نجتزىء جانبا من مقال قديم للفقيد يعرض فيه أهداف الدعوة التي قادها خلال سني حياته وضحى في سبيلها بكل شيء .. كما نعرض نماذج مختلفة من مواقفه وأقواله ..

الى ميدان الجهاد وخط النار :

في **عام ١٩٤٨** ارتكبت منظمة الامم المتحدة جريمتها النكراء باقرارها مشروع تقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية ، وتدويل القدس .. فاعطت بذلك « اسرائيل » وضعا شرعيا !! يبرر — في زعمها — اغتصابها للقسم الاكبر والاغنى من فلسطين .. وأمام هذا التحدي لمبادىء الحق والعدالة وتجاهل ارادة الشعب العربي الفلسطيني وحقه في تقرير مصيره ثارت الشعوب العربية والاسلامية ودفعت الحكومات العربية لدخول المعركة ضد القوات اليهودية الغاصبة ..

وهنا دعا السباعي رحمه الله الامة الى الذود عن كرامتها وحقوقها وحريتها وانطلق يجوب المدن والقرى السورية من حدود فلسطين في الجنوب الى حدود تركيا في الشمال ، ومن حدود العراق في الشرق الى الساحل السوري في الغرب يدعو الى التطوع لانقاذ فلسطين . ويثير لهفة المؤمنين الى جنة الرضوان التي فتحت أبوابها خلف نيران المعركة في الارض المقدسة ، واندفع في مقدمة الركب يقود كتائب الشباب المؤمن من جماعة الاخوان المسلمين ممن رباهم على مبدأ « والموت في سبيل الله أسمى أمانينا » .. فخاض بهم المعارك القاسية في الميدان الذي اختاره مركزا لانطلاقه وحركاته وكان في قلب مدينة القدس واطرافها ليحمي بيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين . وكان القتال يومذاك يدور فيها من بيت الى بيت ومن شارع الى شارع فضرب حينذاك واخوانه أروع نماذج البطولة ، وقد تساقط من حوله عشرات الشهداء من المجاهدين



من مدينـة الى مدينـة داعيـا للجهـاد

الابرار من شباب الاخوان .. أودع أكثرهم الثرى بجوار المسجد الاقصى ، ودفن بعضهم بدمشق (١) وفي ارض المعركة تم لقاء كتائب اخوان سورية بكتائب اخوان مصر والتقى السباعي بالبنا عليهما رحمة الله وتعاون القائدان ووضعا خطة مشتركة للمعركة وتوزعا أماكن القتال ، واستمر مجاهدو الاخوان يقاتلون ببسالة وشجاعة نادرتين بقيادة الدكتور السباعي الى أن توقف القتال بتوقيع الهدنة التي فرضت على العرب بعد ان كاد يتم لهم النصر على اليهود ، فكانت هذه الهدنة المشؤومة بداية القوة لاسرائيل وبداية التقهقر للقضية الفلسطينية ... وأبعد المجاهدون رغما عنهم عن أرض المعركة الى بلادهم ..

(١) راجع مقال الدكتور السباعي بعنوان « الاخوان المسلمون في معارك فلسطين » المنشور في العدد الممتاز الخاص بفلسطين من السنة الثانية لمجلة « حضارة الاسلام » .





فرق فتوة الاخوان تودع الفقيد واخوانه الى أرض الجهـاد

وعاد السباعي الى دمشق يحمل جراحات قلبه .. عاد الى شعبه والى جماهيره يروي لهم قصص المأساة الدامية والكارثة الاليمة والنكسة المفجعة .. عاد يطوف المدن والقرى السورية من جديد يشرح للجماهير أسرار المعركة واسباب الهزيمة المفتعلة التي دبرت بليلمشئوم ، ويبين الاخطار التي تتهدد الامة العربية من جراء اعطاء اليهود فرصة للتقوي والاستعداد ، ويدعو لاستئناف القتال قبل أن يتم لهم ذلك ..





السباعي والبنا رحمهما الله في أرض الجهاد يذودون عن فلسطين

وعلى مر الايام والسنين لم ينس السباعي الذي اكتوى بنار المعركة ونار المؤمرات التي سببت فشلها ، القضية الفلسطينية التي اعطاها من اهتمامه الشيء الكثير ، فاستمر يذكرها ويذكر بها في كل مناسبة وأراد أن يجعلها قضية حية في ضمير الجماهير حتى لا تفتر روح المقـاومة والرغبة في الثأر والشعور بالمسؤلية الكبيرة ، فدعا الى تخصيص اسبوع من كل عام باسم « اسبوع الخطر الصهيوني » تقام فيه المهرجانات الشعبية



الفقيـد الكبير مع قادة الاخوان في البلاد العربية في مظاهرة من اجل فلسطين

في سائر انحاء البلاد ، وقد قرن القول بالعمل فبدأ في عام ١٩٥٥ هذا المشروع ودعا قادة الحركة الاسلامية في الوطن العربي للاشتراك في هذا الاسبوع وطاف معهم في شتى انحاء البلاد يتحدثون عن الخطر الصهيوني ويقودون المظاهرات الشعبية لمطالبة الحكومات والمسؤولين باعداد الشعب للمعركة واتخاذ كافة الاستعدادات لمعركة الثأر ..

كما طالب واخوانه في المجلس النيابي تدريس القضية الفلسطينية كمادة اساسية في مناهج التعليم وقد أقر هذا الاقتراح ونفذ بالفعل ..

وفي عام ١٩٥٥ نفسه ألقى خطبة من مسجد جامعة دمشق بمناسبة اسبوع التسلح ونقلت الاذاعة هذه الخطبة على جميع محطاتها وقد علقت

الصحف الدمشقية وغيرها في ذلك الوقت على ما كان لهذه الخطبة المثيرة الرائعة من أثر بليغ جعل الناس يقدمون التبرعات السخية التي بلغت بضعة ملايين من الليرات واستمر كذلك يكتب المقالات في مجلته (حضارة الاسلام) يذكر بالقضية الفلسطينية ويدعو للاستعداد وأحدث لذلك بابا خاصا في المجلة لمتابعة تطورات القضية ومراحلها هو « الدرة المغتصبة ».





الفقيد المجاهد مع اخوانه المجاهدين في أرض المعركة

كفاحه في ميدان الصحافة :

لقد كان السباعي رحمه الله طاقة جبارة من النشاط المتوقد الذي لا يعرف الملل ولا الفتور .. فليس غريبا ان يخوض الميادين المختلفة ، ويكافح في جبهات متعددة .. ثم ينجح ويتفوق في كل هذه الميادين .. وينتصر في كل الجولات .. ولقد أدرك رحمه الله أهمية الصحافة كسلاح فعال في يد الفكرة الاسلامية تستخدمه في توجيه وقيادة الرأي العام وتوعية الجماهير باهدافها وقضاياها فأنشأ لذلك جريدة ((**المنار**)) من **١٩٤٧** الى **١٩٤٩** أي الى قيام انقلاب حسني الزعيم الذي أوقفها وظلت كذلك الى أن تملك امتيازها الاستاذ بشير العوف الذي استأنف اصدارها باسمه كجريدة سياسية مستقلة .

ولقد بذل السباعي رحمه الله في فترة اشرافه على تحريرها من الجهود الكبيرة ما جعلها في طليعة الصحف العربية يومذاك ، وكان مما يضاعف اقبال الجماهير على قراءتها تلك الافتتاحيات الرائعة المثيرة الجريئة التي كان السباعي يكتبها كل يوم معالجا فيها أهم مشاكل الامة وقضاياها ببيان مشرق واسلوب مثير وصراحة وجرأة نادرتين وتحليل واقعي دقيق .. مما جعل جماهير الشعب تنتظر بلهفة بالغة صدور اعداد الجريدة صباح كل يوم ، وكثيرا ما كانت تنفذ جميع نسخ الجريدة في ساعة مبكرة من الصباح ويرتفع سعر العدد في كثير من المناطق عند بعض الباعة الى أضعاف أضعاف ثمنه .. ولا غرابة فقد كان السباعي يكتب بقلبه وأعصابه ودمه وفكره ولقد كان ابن الشعب الذي عاش مشكلاته وعاناها في جميع مراحل حياته وفي مختلف الميادين فاستطاع أن يجسد في مقالاته الافتتاحية آلام هذا الشعب وآماله أصدق تجسيد ويعبر عنها أبلغ تعبير .. ثم يقدم الحلول الايجابية العملية لحل مشكلات الامة وقضاياها .. فلم يكن سلبيا يكتفي بالنقد وتصوير الواقع ومشكلاته فحسب .. وانما كان يقدم لكل مشكلة الحل المناسب لها ويطالب الحكومات بتنفيذها ويلاحقها بذلك بدأب والحاح ..



في صفوف الجماهير معبرا دوما عن آمالها وآلامها

وفي عام **١٩٥٥** وبعد ان عادت الاوضاع الشرعية والدستورية للبلاد عـاد السباعي الى ميدان الصحافة من جديد ، فأسس مع اخوانه جريدة « **الشهاب** » السياسية الاسلامية الاسبوعية وكان المشرف على تحريرها وسياساتها العامة وقد استمر صدورها حتى قيام الوحدة مع مصر عام **١٩٥٨** وتوقفت بعدها عن الصدور بعد أن قامت بواجبها نحو قضايا الامة العربية والاسلامية وقضايا الشعب خلال أكثر من ثلاث سنوات خـير قيام ، ولقد كان للسباعي فيها مقالات وبحوث روحية وفكرية واجتماعية وتاريخية وسياسية رائعة .

وفي نفس العام **١٩٥٥** حصل الدكتور السباعي على امتياز باصدار مجلة « **المسلمون** » بعد احتجابها في مصر وظل رئيسا لتحريرها الى سنة **١٩٥٨** حيث رأي تغيير اسم المجلة وتجديدها فاختار لها اسم « **حضارة الاسلام** » التي اعطاها من جهده وفكره ما جعلها تشق طريقها بقوة ومضاء، ولقدأراد أن يجعل من هذه المجلةمدرسة للفكرالاسلامي الاصيل، توضح معالم

الطريق ، وتوحد مناهج التفكير ، وتعكس حقيقة الاسلام الناصعة في صورة مشرقة واضحة . . كل ذلك باسلوب مرن جذاب بعيد عن تعصب المتعصبين وجمود الجامدين ودون حيدة عن طريق الحق وروح الشريعة الخالدة . .

كما أراد رحمه الله أن يجعل من « حضارة الاسلام » منبرا للدفاع عن كل قضية اسلامية من قضايا العالم الاسلامي الكبير . ولقد خص أهم قضايا الوطن العربي والاسلامي باهتمام زائد فأقرد للقضية الفلسطينية بابا باسم « الدرة المغتصبة » لمتابعة تطوراتها ومراحلها ، وآخر باسم « ارض البطولات » لمتابعة تطورات القضية الجزائرية وثورتها حين كانت قائمة والغي هذا الباب بعد أن أدى واجبه واستنفد أغراضه أثر انتصار الثورة الجزائرية في « أرض البطولات » كما أحدث بابا جديدا لمتابعة القضية العمانية والانتصار لها وتوعية القراء باهدافها وحقيقتها وسماه « ثورات اسلامية ــ عمان الثائرة في طريق التحرر » .

ولم يكتف بذلك بل عمل رحمه الله على اصدار عدد خاص ممتاز عن الجزائر وثورتها وجهادها وذلك في السنة الاولى للمجلة وفي السنة الثانية خص القضية الفلسطينية بعدد خاص ممتاز وكلٌ من هذين العددين يعتبر مرجعا هاما للقضيتين من أهم المراجع التاريخية العلمية لما احتوياه من وثائق وحقائق وأرقام ووقائع لم يجمعها مصدر آخر . .

ولقد كان السباعي عليه رضوان الله في كل ميادين كفاحه وعمله مخلصا لله ، مستقيما على الحق ، نظيفا حرا كريما وهذا هو سر قوته ونفاذ كلمته عند الجماهير وهو سر خوف الحكومات واصحاب المصالح منه وكذلك سر الحب العظيم الذي خصته به الامة . .

من مواقف الرجولة والكرامة :

في عام **١٩٥٢** قامت معارك دامية في منطقة قناة السويس في مصر حيث كانت القاعدة البريطانية الكبرى قد فرضت سيطرتها على الشعب المصري وعلى حكامه ، مما جعل فئة من الشباب المؤمن في مصر تثور ضد الاحتلال البريطاني وطغيانه فنظموا العصابات المسلحة من الشباب الجامعي المؤمن وقاموا بالاغارة على المعسكرات البريطانية وعملوا على نسف مراكزها

العسكرية وجسورها وقطارات المؤونة التابعة لها .. فهب السبـاعي رحمه الله يدعو الامة لمؤازرة الشعب العربي المؤمن في مصر وقدم الى وزير



في مظاهرة عامة لمؤازرة مصر لالغاء المعاهدة مـع بريطانيا
في الطليعـة دومـا من أجل قضايا الامـة

مصر المفوض كتابا يعرض فيه تطوع آلاف من شباب الاخوان المسلمين للذهاب الى القنال والمساهمة في معركتها .. ولكن السلطات السورية ألقت القبض عليه وزجته في سجن المزة قرابة أربعة أشهر ..

وفي **عام ١٩٥٦** وعندما وجهت دول الاستعمار الثلاثة الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا انذارها لمصر بعد تأميمها قناة سويس ، قام السباعي يدعو الشعب للوقوف الى جانب اخوانه في مصر وكان له فضل في تحويل الجامعة الى ما يشبه الثكنة العسكرية فانخرط أساتذتها وطلابها في المقاومة الشعبية وظل فقيدنا أثناء حوادث العدوان يلبس لباس المقاومة الشعبية وكان يريد أن يجعل من هذا الزي زيا شعبيا لعموم أبناء الشعب .



الفقيد في زي المقاومة الشعبية أيام العدوان الثلاثي على مصر

وفي عهد اديب الشيشكلي أواخر عام **١٩٥٢** تعرض الدكتور السباعي لمضايقة السلطة الحاكمة التي فرضت عليه رقابة مزعجة تحصى عليه حركاته وسكناته .. ولم يكتف الشيشكلي بهذه المضايقات ولكنه اشتط في ذلك وطلب من اساتذة الجامعة وكبار الموظفين أداء قسم الولاء لعهده والدخول في الحركة التي اسسها باسم « حركة التحرير » ولكن السباعي الذي عليها وأبى أداء القسم لعهد غير شرعي ، فغضب الشيشكلي لهذا التمرد تعشق الحرية وعاش يدافع عنها بلا هوادة رفض الانصياع للاوامر وتمرد وأصدر مرسوما بتسريحه من الجامعة ، وأبعده عن البلاد فاختار رحمه الله لبنان وبقي فيه حتى أوخر عهد الشيشكلي ، وهناك في لبنان التف حوله مئات من الشباب الجامعي المثقف وأظهروا له استعدادهم لانشاء حركة اسلامية في لبنان بقيادته وفعلا فقد أسس معهم هذه الحركة التي استمرت بعد ذلك حتى الآن تسير على النهج الذي رسمه لها السباعي رحمه الله .

محاولة اغتياله :

وفي مطلع **عام ١٩٥٦ م** حاول احد المجرمين المأجورين الاقدام على اغتياله ، ولكن الله رد كيـد الآثمين وفضح مخططهم وسلم الفقيـد من مؤامرتهم وتمكنت سلطات الامن من القاء القبض على المجرم ولدى التحقيق تبين أنه أحد افراد عصابة مأجورة لمصلحة دولة اجنبية وأن المخطط كان يستهدف عددا من الشخصيات الاسلامية والوطنية وأن السبب هو وقوف الفقيد عليه رحمة الله في وجه الاحلاف الغربية وجرأته في حربها وكشف نواياها الاستعمارية ودعوته الصريحة لنبذ الغرب والاعراض عنه والتعاون مع الاتحاد السوفياتي على أساس من احترام استقلالنا وسيادتنا وعقائدنا والتزام لمفهوم الحياد الايجابي ، وفي بعض ما نشرناه في هذا العدد من كلماته توضيح لهذه السياسة التي تبناها وحمل لواءها .. وقد نشرت الصحف المحلية في ذلك الوقت نبأ محاولة الاغتيال بعناوينها الرئيسية .

مؤتمرات ورحلات عالمية

في عام **١٩٥١ م** رأس وفد سورية الى المؤتمر الاسلامي العالمي في الباكستان فكان من أبرز شخصيات المؤتمر وأكثرها نشاطا وانتاجا .



الدكتور السباعي رئيس الوفد السوري في المؤتمر الاسلامي بكراتشي
ويظهر في الصورة الاستاذ الاميري والاستاذ المبارك

وفي عام **١٩٥٤** رأس وفد سورية الى المؤتمر الاسلامي المسيحي المنعقد في بحمدون ، والقى هناك خطابه المشهور عن « الاسلام والشيوعية » فذعرت له الدوائر الاستعمارية وكان له ولاخوانه فضل احباط المناورات الاستعمارية الغربية التي كانت تتستر وراء المؤتمر . اذ أن هذا المؤتمر تم بتنظيم من جمعية اصدقاء الشرق الاوسط الامريكية ، ودعيت اليه وفود من جميع انحاء البلاد العربية وباكستان وايران وتركيا وغيرها من بلاد العالم الاسلامي ، ولقد تردد الوفد السوري أول الامر في قبول الدعوة ثم رأى فقيدنا وبعض اخوانه قبول الدعوة لاحباط ما قد يكون وراء المؤتمر من مناورات سياسية ! . وهذا هو الذي وقع .. فقد كان جو المؤتمر ، وانتقاء كثير من اعضاء الوفود دليلا على أن القصد من الدعوة اليه هو انشاء كتلة عالمية باسم الاسلام والمسيحية ضد الاتحاد السوفياتي ، وقد كان يومئذ ينتصر لقضايانا في المحافل الدولية ، ولم يكن من مصلحة العرب الانقياد وراء المناورات الغربية لانشاء هذه الكتلة السياسية .



الدكتور السباعي مع بعض اعضاء المؤتمر الاسلامي المسيحي في بحمدون

وكان من ابحاث المؤتمر المقررة مقدما « جواب الاسلام على الشيوعية » و « جواب المسيحية على الشيوعية » اما جواب المسيحية فقد اعطي لاستاذ من اساتذة الجامعات الامريكية ، واما جواب الاسلام فقد أعطي لمن لم يحسن مناقشة الموضوع الا بالسباب والشتائم . . .

واستاءت الوفود العربية من هذا التصرف . فالموضوع جدير بالمناقشة العلمية من جهة ، وبالحذر الشديد من ان تستغله الدعاية الغربية لمصلحتها السياسية من جهة اخرى . وقد رأت الوفود ان تلزم القائمين على المؤتمر بفسح المجال لالقاء كلمة عن الشيوعية في نظر الاسلام غير الكلمة التي ألقيت ، وقد وقع اختيار الوفود العربية على فقيد الاسلام المغفور له الدكتور السباعي .. فكتب كلمته وترجمت الى الانكليزية في بضع ساعات ثم ألقاها فضيلته فكان لها وقع القنبلة التي حولت المؤتمر الى تظاهرة رائعة للانتصار لفلسطين واللاجئين والقضايا العربية والاسلامية ، وقد اعرب جميع اعضاء الوفود العربية والاسلامية عن اعجابهم الشديد بهذا الخطاب الجامع الذي اتصف بالجرأة والدقة العلمية والتاريخية والسياسيةوالبلاغة والبيان الرائع ... أما بقية الوفود وخاصة الداعين للمؤتمر فقد تملكتهم الدهشة والارتباك امام هذه المفاجأة التي فوتت عليهم أغراضهم واضاعت عليهم الفرصة المنشودة ..

وقد نشر هذا الخطاب الرائع في الصحف والمجلات السورية يومئذ ، كما نشر كاملا في نشرة المؤتمر ضمن الابحاث والكلمات التي ألقيت فيه . والحق ان الخطاب المذكور يشكل وثيقة تاريخية رائعة تمثل احدى مواقف فقيدنا الجريئة وتبرهن على اصالة وعمق الوعي السياسي لديه .

وفي عام **١٩٥٦** اوفدته الجامعة السورية الى ديار الغرب لزيارة الجامعات الغربية والاطلاع على مناهج الدراسات الاسلامية فيها ، فزار تركيا وايطاليا وبريطانيا وايرلندا وبلجيكا وهولندا والدانمرك والنروج واسوج وفلندا والمانيا والنمسا وسويسرا وفرنسا .. واجتمع في هذه البلاد كلها بالمستشرقين من أساتذة الدراسات الاسلامية والشرقية وناقشهم في مؤلفاتهم عن الاسلام وكشف لهم الاخطاء العلمية والتاريخية التي وقعوا فيها ، وبين لهم حقائق الاسلام ، باسلوب علمي فأدهشهم بقوة حجته ، وغزارة علمه ، وحضور بديهته ، وسعة آفاقه ، ومرونة اسلوبه .. وقد عاهده فريق منهم على أن لا يكتبوا عن موضوع اسلامي الا بعد أن يراجعوه في صحة المعلومات التي وصلت اليهم .. أما فريق المستشرقين غير المنصفين والذين تفرغوا للدراسة والكتابة عن الاسلام باسلوب الدس

والافتراء ، وتشويه الحقائق .. أما هؤلاء فقد أخافهم السباعي عليه رحمة الله لانهم رأوا فيه حجة دامغة ، وعقبة صعبة التجاوز .. فلقد ناقشهم حتى أفحمهم ، وجادلهم حتى أسكتهم وتتبع دسهم وافتراءاتهم حتى لم يبق عليهم سترا الا وهتكه ولا شبهة الا وكشفها وردها ..



الراحل الحبيب مع الطلاب العرب في أوربا

كما انه استفاد من وجوده هناك فألقى المحاضرات في المساجد وفي الجامعات وفي الندوات مدافعا عن حقوق العرب في فلسطين والجزائر ، وعن قضايا الشرق والاسلام ومن اهم الخطب التي ألقاها في هذه المواضيع خطبة الجمعة في مسجد باريس وصادفت المناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف ، فتحدث عن رسالة الاسلام بشكل عام ، ثم عن رحمته التي تجلت في فتوحاته وحروبه ومن هنا انتقل الى القضية الجزائرية ، وندد بالاساليب الوحشية الهمجية التي ترتكبها فرنسا في الجزائر .. وما أن انتهى من

الخطبة والصلاة حتى أقبل عليه المصلون يحيونه بحرارة وحب واعجـاب وكان ممن تعرف اليهم شاب روماني الاصل اسمه « مصطفى فالسان » كان قنصل رومانيا في باريس ثم اعتنق الاسلام وترك العمل الدبلوماسي وهو الآن يتزعم مجموعة من الشباب الفرنسيين الذين اعتنقوا الاسلام عن عقيدة واخلاص .. وقد زوده الدكتور السباعي رحمه الله بعديد من النصائح والتوجيهات .



الفقيـد مع لفيف من الطـلاب العرب أمام المركز الاسلامي بلندن

وفي عام ١٩٥٧ سافر الى موسكو مع اخوانه عمداء كليات الجامعـة بدعوة من جامعة موسكو .. زار خلالها معظم الجامعات الروسية في مختلف الاقاليم ، والتقى باساتذةالدراسات الشرقيةوالتاريخية والاجتماعية وناقشهم في أقوالهم وآرائهم في الاسلام ، كما ناقش غيرهم من الشخصيات

السوفياتية فكشف لهم أخطاءهم ووضح لهم رأيه صريحا في موقفه من الشيوعية في البلادالعربية كماشرح لهم مواقفالشيوعيين فيبلادنامن القضايا الوطنية والاجتماعية وفضح اخلاقهم وأساليبهم ، وكان مما قاله للمسؤولين السوفييت نحن حريصون على صداقتنا للاتحاد السوفياتي كل الحرص ولكن هذا لن يمنعنا من محاربة الشيوعية في بلادنا .. لان الشيوعية تريد

أن تحرمنا من أقوى اسلحة النصر الفعالة لمقاومـة الاستعمار والمظـالم الاجتماعية والسياسية .. ألا وهي الايمان بالله وحب الشهادة في سبيله ، وشرح لهم فكرة الاسلام الثائر على كل باطل وعلى كل ظلم واستعباد واستعمار



الفقيـد العظيم مع بعض الطلاب في جامعة موسكو

وطغيان وفساد كما بين لهم شناعة الجريمة التي يرتكبها الشيوعيـون المحليون في بلادنا عندما يحاربون الاسلام ووضعهم في موقفهم هذا جنبا الى جنب مع الاستعمار والصهيونية وعملائهما .

كفاح في ميادين الخدمة الاجتماعية :

١ ـ تبني حركة العمال : لقـد حمل الدكتـور السبـاعي رحمـه الله عبء الدفاع عن حقوق العمال والمطالبة برفع مستواهم المادي والاجتماعي والاخلاقي ، كما تبنى واخوانه من نواب الاخوان مطاليبهم في المجلس النيابي ، وكان له فضل كبير في النص على حقوق العمال في الدستور السوري ، كما عمل مع اخوانه على انشاء مدارس للعمال لتعليمهم ورفع مستواهم الفكري واخراجهم من نطاق الامية ، وتوجيههم الى الخير وافهامهم حقوقهم وواجباتهم .. ولم يقتصر على انشاء هذه المدارس في دمشق وحدها بل عمل مع اخوانه على انشاء مدارس للعمال في جميع المحافظات

ومعظم الأقضية والقرى . وقد بلغ عدد العمال الذين يتلقون العلم فيها أكثر من خمسة آلاف عامل يتعلمون بالمجان ، وقدمتهم هذه المدارس الى امتحانات الشهادات الابتدائية والمتوسطة والثانوية وتخرج بعضهم من الجامعة كما تابع بعضهم تحصيله العالي في أوربا ..

٢ **ـ رفع مستوى القرية :** وقد وجه عنايته الى القرية ، فطاف القرى وعاش مع الفلاحين وآكلهم وشاربهم وخالطهم وعرف مشاكلهم ، وله مواقف رائعة في المطالبة برفع مستواهم وانصافهم ، وتحقيق العدالة الاجتماعية في محيطهم وقد رفع صوته بذلك معبرا عن مشاعرهم في المجلس النيابي حيث طالب بايصال النور والكهرباء الى جميع القرى النائية وتوفير المياه والمدارس والخدمات الصحية (١) ..

ولم يقتصر على دعوة الحكومات للقيام بذلك بل بادر الى تأليف لجان من أعضاء الاخوان فيها اطباء وعلماء وموجهون يقومون برحلات اسبوعية الى القرى يزورون فيها الفلاحين ويقدمون لهم الخدمات الصحية والتعليمية ويرشدونهم الى طريق الخير ..

٣ ـ المدارس الابتدائية والثانوية : ومن أعماله أيضا مساعيه مع نفر من اخوانه لتأسيس المعهد العربي بدمشق الذي شمل جميع مراحل التعليم من الحضانة الى الثانوي للذكور والاناث وقد أسسوا مثل هذا المعهد في بقية مراكز المحافظات السورية .

٤ ـ الاندية الرياضية : وكان يشجع الشباب على ممارسة انواع الرياضة والفتوة ليكون الشباب قويا في اخلاقه وقويا في جسمه وقويا في روحه ، فساهم في تأسيس عدد من الاندية الرياضية في مراكز الاخوان في جميع المحافظات وأقوى هذه الاندية التي أسسها الفقيد الراحل مع اخوانه نادي فتيان بدر في دمشق لكرة السلة والنادي الرياضي في باب الجابية والنادي الرياضي في الميدان ونادي القادسية في حمص ، والنادي الرياضي في اللاذقية وغيرها ..

كما عمل على تربية الشباب تربية عسكرية خشنة فأنشأ لهم نظام الفتوة وقد انتظم الشباب في كتائب وفرق يتعودون فيها النظام والخشونة والرجولة ويتدربون على مختلف الالعاب الرياضية ويقومون

---

(١) اقرأ كلمته المنشورة في مكان آخر من هذا العدد بعنوان « تحسسه بآلام الجماهير ».

برحلات وتقام لهم معسكرات سنوية للتعارف وتوثيق صلات الاخوة فيما بينهم .. وقد كان رحمه الله القائد العام لفتوة الاخوان المسلمين الى أن حل الشيشكلي هذه المنظمات وصادر ممتلكاتها ..



الامام القائد يؤم الشباب في أحد معسكرات الاخوان

٥ ـ اعمال التعاون الخيري : وفي هذا المجال ساهم بتأسيس عديد من اللجان لجمع الاعانات والتبرعات من الناس وتوزيعها على المحتاجين من المرضى والعاجزين ومد بعض الاسر الفقيرة التي تتعفف عن السؤال والاستجداء كما عمل على تنظيم يوم سنوي باسم « يوم الفقير » تطوف فيه اللجان على التجار والاحياء لجمع الاعانات وتقديمها للفقراء في مواسم الشتاء والاعياد وساهم في انشاء عدد من المستوصفات الصحية لتقديم الخدمات الصحية المجانية للفقراء والمحتاجين .

رحلات الحج والعمرة :

كانت اول مرة روى فيها رحمه الله ظمأ قلبه وروحه الى الارض المباركة مهد الدعوة الاول ومرتع ابطالها ومثوى الحبيب الاعظم محمد صلى الله عليه

وسلم سنــة **١٣٦٤ هـ** حاجـا مؤديا ما فرضه الله من شعائر الحج والعمـرة بالاضافـة الى زيارة القائد الاول لدعوة الاسلام عليه صلوات الله وسلامـه .. ولكن هذا الظمأ القلبي والروحي بقي يهيج حنينه الى تلك الديار رغم كثـرة المشاغل والأعبـاء المرهقــات حتى يسر الله لـه الفرصــة فزارهـا حـاجا للمرة الثانية في عام **١٣٧١ هـ** أما الزيارة الثالثة فكانت في عـام **١٣٧٥ هـ** مع بعثـة من اساتذة كلية الشريعة وطلابها في جامعة دمشق .. ولزمه بعـد ذلك الشوق والحنين الى الديار المقدسة والى الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم لا سيمـا بعد أن أصيب بمرضه **١٣٧٧هـ** وعانى منه ما عانى مما لا يتحمله الا رجال من اولى العزم والصبر الذي لا حد له .. وبالرغم من شدة المرض وقسوة الآلام التي لم تكن تفارقه لحظة من ليل أو نهار فان حنينه الى زيارة الرسول القائد صلى الله عليه وسلم والبيت العتيق كان يهيج ويزداد حتى لم يبق للصبر مجال ، فعزم الامر وحزم الامتعة وسافر الى المدينة المنورة **في ((رحلة الى الله ورسوله))** وذلك قبيل موسم الحج الاخير **١٣٨٤ هـ** ولم يمنعه المرض والالم من أداء شعائر الحج للمرة الثالثة ولقد كانت هذه الرحلة ((حجة الوداع)) التي ودع فيها الديار المقدسة وودع فيها مثوى الرسول الاعظم قبل أن ترتفع روحه الطاهرة الى الله في **((رحلة الى الله جل شأنه))** (١) فكانت رحلته الاولى مقدمة طيبة لرحلته الاخيرة ، ولعل جميع القراء طالعوا اخبار **((رحلته الى الله ورسوله))** في مقاله الاخير



(١) هذا هو العنوان الذي كان الفقيد قد اختاره لموضوعه الاخير المنشور في العدد الثالث وقد عدله قبل النشر الى ((رحلة الى االله ورسوله)) .

الذي كتبه قبيل وفاته رحمه الله يحكي فيه قصة هذه الرحلة وما كان فيها من اكرام الله له ..

مغالبة لآلام المرض الطويل :

من كلماته الحكيمة رحمه الله كلمة قالهافي كتابه «هكذا علمتني الحياة»

((رأيت الناس بين مريض في جسمه ، سليم في قلبه ، وبين صحيح في جسمه مريض في قلبه ، وقلّ أن رأيت صحيح الجسم والقلب معاً)) .

ولقد كان رضوان الله عليه يحمل جسمه وأعصابه من ارهاق العمل المتواصل في سبيل الله ما جعل هذا الجسم على ما يتمتع به من قوة وبأس وحيوية نادرة ينوء بالاثقال التي حملها وحده وانطلق بها يسابق الزمن ليشيد خلال عمره القصير صرح الدعوة الاسلامية ويعبد الطريق لجنودها ولم يعبأ بنصح الاطباء ولا باعراض المرض التي كانت تحمل النذير بانهيار هذا الجسم ان لم يرفق به صاحبه ، ولكن الشعور بالواجب والمسؤولية كان يتغلب عليه ويصم آذانه عن سماع نصائح الاطباء ونذير الاعراض المرضية :

واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام

وقصة كفاحه مع المرض ليست حديثة ، ومرضه الاخير لم يكن الا نتيجة لمقدمات كثيرة ، ونهاية لجهد طويل خلال سني شبابه ومراحل كفاحه .. لقد حاولت الاسقام والآلام والامراض أن تنال من قوته وحيويته ودأبه ونشاطه وحركته التي لا تعرف الفتور ، فلم تفلح .. ولكنها لم تدعه واستمرت تلاحقه وكان في كل مرة يتغلب عليها ، وينساها في زحمة النشاط والواجبات والاعباء حتى استحكمت به في نهاية الامر وسقط المارد العملاق بعد طول تجلد ومجاهدة وأصبح كالاسد الهصور وقد ألقى الشبك على عرينه ..

فعندما قاد رحمه الله اخوانه في معارك فلسطين كان مصابا قبلها بارتفاع ضغط الدم وكان الاطباء قد أشاروا عليه بضرورة الاخلاد الى الراحة والسكينة والهدوء وعدم الخطابة وكأن الاستاذ السباعي رحمه الله قد فهم من الاطباء عكس ما أشاروا عليه . فلم يعبأ بما قالوا ، كما أنه تلطف باعتذاره لابيه رحمهما الله عندما ذكره بنصائح الاطباء وان مجرد الخطابة

تشكل على صحته خطرا ، فكيف بالحرب وخوض المعارك .. كل ذلك لم يثبط من عزيمته فمضى يثير الجماهير ويدعوها للتطوع .. ومضى يقود الكتائب الى المعركة دون أن يحسب حسابا لصحته وما يتهددها . ولقد نسي مرضه خلال المعارك ، ولما عاد من فلسطين استمر في كفاحه وجهاده لايثنيه عن عزمه شيء .. فلم تلبث أن ظهرت عليه أعراض مرض السكر . فكان يعالج أمراضه ويأخذ ما ينبغي لها من علاجات ولكنه ما كان يحب الراحة ولا يفكر فيها بل كان يستلذ الكفاح والعمل والنشاط . وكم مرة وقف خطيبا يتدفق بالحيوية والنشاط ويثير الحماسة ويلهب المشاعر ويفجر البراكين ، وهو يعاني المرض والاوجاع دون أن يظهر شيء من أثر ذلك على محياه الطلق المشرق أو على كلامه العذب الجميل . أو على صوته الجهوري العاصف الرنان ..

وحمل المرض والاوجاع على كتفيه عبئا من جملة الاعباء ومضى يدفع الركب ويبني الصرح ويعبد الطريق ويقود الاجيال .. ولعمري اذا كان المرض سبب انطفاء شعلة بعض الناس وسبب تهاونهم وقعودهم ، فقد أضاف المرض دليلا من أقوى أدلة عظمة فقيدنا الكبير طيب الله ثراه ، فلم يقعده ولم تفتر به همته ، ولم تخبو شعلة نشاطه أو تدفق حيويته .

وفي عام ١٩٥٧ وبعيد عودته من رحلته العلمية الى الاتحادالسوفياتي هجم عليه المرض هجمة عنيفة فأخذ منه أكثر نصفه الايسر . فشل حركته وأثار فيه الآلام المضنية .. فأقعده بعد طول مجالدة ، ولكنه رحمه الله كره القعود وكره الراحة والكسل ولو كان بسبب المرض الشديد فتمرد عليه وجالد الآلام واستمر يتابع بنشاطه القاء دروسه الجامعية . ومحاضراته التوجيهية لطلاب كلية الشريعة في « قاعة البحث » ، ولقد ألقى خلال مرضه هذا أهم محاضراته العلمية على مدرج جامعة دمشق منها محاضرته عن ((**اشتراكية الاسلام**)) التي استمر القاؤها أكثر من ثلاث ساعات وقد طبعت فيما بعد في كتاب كبير .. ومنها أيضا محاضرته العلمية الرائعة عن ((**المرأة بين الفقه والقانون**)) التي استغرق القاؤهاكذلك أكثر من ثلاث ساعات وقد طبعت أيضا في كتاب كبير فيما بعد .. هذا بالاضافة الى عديد من المحاضرات العلمية الرائعة التي القاها في عدد من النوادي الثقافية والفكرية في دمشق .. كما استمر يمد الفكر الاسلامي بكل جديد من فكرة وعلمه ويمد الشباب المسلم بالتوجيه والوعي ، ويعالج

أهم مشكلات العالم الاسلامي كل ذلك على صفحات مجلتـــه ((**حضارة الاسلام**)) .

ولقد كانت فترة مرضه الطويل الذي استمر ثماني سنوات حمل خلالها من الآلام مالا يقدر على حمله رجال من اولي العزم الا من كان له صبر الانبياء ورغم هــذه الآلام المبرحــة المستمرة فقــد كانت فترة مرضه هــذه من أخصب فترات حياته انتاجا فكريا وعلميا وأدبيا واجتماعيا . فألف القسم الاجتماعي من كتابه ((**هكذا علمتني الحياة**)) وهو في مستشفى المواساة **عــام ١٩٦٢** م وكان يختلس القلم والقرطاس في غفلــة عن أعين الاطباء الذين شددوا عليه في ضرورة الابتعاد عن التفكير والقراءة والاخلاد الى الراحة التامة . فكان هذا الكتاب من أروع كتبه وأطرفها لما حواه من الحكمة والتجارب والارشاد والتوجيه السديد والرأي الرشيد والبلاغة الرائعة .. وفي هذه الفترة أيضا طبع كتابه ((**القلائد من فرائد الفوائد**)) وهو مختارات من بطون امهات كتب الادب والعلم والفقه والتاريخ .. وكذلك طبع كتابه العلمي الكبير ((**السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي**)) وهــو أثر علمي خالد في الدفاع عن السنة ومكانتها وفي الــرد علــى خصومها من المستشرقين والمغرضين .. ونثبت في نهاية هذا العــدد قائمة باسماء مؤلفاته وكتبه المطبوعة والمخطوطة والتي كان ينوي تأليفها .

ولقد ضرب استاذنا السباعي عليه رحمة الله خلال مراحل مرضه أروع آيات الصبر الجميل مع ما فيه من الرضا والتسليم لقضــاء الله وتحاشي التسخط والتبرم والشكوى ، فما كنا نسمع الا الحمد لله يجري على لسانه كلما سألناه عن آلامه مهما اشتدت وازدادت .. وكان رحمه الله كلما برحت به الآلام وأرقت ليله وحرمته لذة النوم اسرع الى القلم والقرطاس ليسجل ما تفيض به نفسه من معاني روحية سامية يناجي بها ربه في جوف الليل الطويل ، ولا حاجة بي للاستشهاد هنا ببعض كلماته ومناجاته التي تؤكد هذا المعنى ففي مكان آخر من هذا العدد نشرنا طائفة منها وهي من القسم الذي لم ينشر من كتابه هكذا علمتني الحياة، كما أعدنا نشر بعض كلماتــه ومناجاته التي تدور حول هذه المعاني .. وخلاصة القــول أن الراحل الحبيب قد أثبت رجولته الفذة في حال صحته وفي حال مرضه وكان رجلا عظيما في كل مراحل حياته عليه رضوان الله ورحمته ..

وفاته :

وفي يوم السبت الثالث من تشرين الاول ١٩٦٤ انطفأت الشعلة المتوقدة ، وهدأت الحركة الدائبة ، وجف القلم السيال ، وسكت الصوت العذب الرنان ، وتوقف القلب الكبير ، وطاش سهم الفجيعة على غير هدى يصيب القلوب فيدميها ، والالسنة فيعقدها ، والعقول فيذهلها واذا بالالوف يهرعون الى بيت الفقيد لعلهم يسمعون مايكذب النبأ ، ولكنه قضاء الله ولا راد لقضائه .. وهكذا كانت نهاية المطاف ، رحلة طويلة أبدية الى الله جل شأنه بعد أن ترك طيب الله ثراه للاجيال المؤمنة من بعده وعلى مدى الآجال تاريخا زاخرا بالمآثر الخالدة وصفحات لاتطوى من الجهاد المتواصل من أجل العقيدة كتبها الفقيد الغالي بدمه وروحه وفكره وقلبه .. ستبقى ما بقي الوجود منارات هدى وعلامات طريق .. طريق الاسلام تتتابع عليه الاجيال جيلا بعد جيل تذكر السباعي نموذجا رائعا للداعية المجاهد ، والمرشد المربي ، والقائد الموجه ، ونموذجا فذا للايمان الصادق ....

فيا فضيلة استاذنا الراحل لئن تركتنا ونحن أشد ما نكون حاجة الى نصحك وارشادك وقيادتك نستشعر من بعدك اليتم وآلامه التي تتزايد مع الايام وعند النكبات والملمات فعزاؤنا – ان كان يغني العزاء – انك مضيت الى ربك بنفس راضية مطمئنة بعد ان عبدت لنا الطريق ورسمت لنا المنهج وأديت واجبك كاملا فعليك ياقائدنا ومرشدنا رضوان الله ، والى الملتقى في جنات الخلد تحت لواء سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم . وانا لله وانا اليه راجعون ...

حقائق ..

لا يجزع من الموت الا من ساء عمله وطال أمله ، ولا يخشى من الفقر الا من ساء بالله ظنه ، وتقاعست عن السعي عزيمته ، ولا يجانب الصدق الا من خبثت نيته وساءت في الحياة طريقته ولا يشكو سوء حظه الا جاهل أو خامل ، ولا يشكو جحود الناس لفضله الا من كان همه ثناء الناس عليه ، ولا يزهد في ثناء الناس الا من كانت وجهته الله ، ورغبته في رضوانه ، ولا يصل انسان الى هذا المقام الا بتوفيق من الله واحسانه .

مصطفى السباعي

جاوز السباعي بجهده

طوق الطبيعة البشرية فأرهق نفسه

للدكتور عمر فروخ

عضو المجمع اللغوي بدمشق

عرفته أول ما عرفته في بيروت ، كان مع نفر مع اخوانه على أهبة ان يقوم بحركة واسعة في نطاق التربية الاجتماعية والسياسية من طريق الدين .

ثم اتصلت معرفتنا ، واتصل لقاؤنا ، لقيته في بيروت مرارا كثيرة ، ولقيته في دمشق مرارا أكثر ، وجمعنا المؤتمر الثاني للعالم الاسلامي في كراتشي ، كما جمعتنا مؤتمرات كثيرة كانت تقام للعلم ، رأيته في بيته وفي مكتبه ، ورأيته قبل سجنه وبعد سجنه ، ورأيته صحيحا . ورأيته مريضا ، ولقد رأيته في كل هذه الاحوال كما رآه كثيرون غيري . مكافحا ثابت القلب ، ثابت القدم ، لم يزحزحه عما يريده شيء . وقد حادثته كثيرا . وقرأت كثيرا مما كتب ، فلم أره اختلف كثيرا فيما كان يقول عنه فيما كان يكتب ، وضرب الشيخ السباعي لنا مثلا في أمرين ، ان اول هذين الامرين كان المدرك التالي . ان الفلسفة السياسية غير العمل السياسي .

ان الشيخ مصطفى السباعي قد أرهق نفسه بين التدريس والتأليف وقيادة الجماعات ، وسن القوانين ، وادارة كلية الشريعة ، لقد برهن لنا بصلابة نفسه أن الانسان قادر بعزيمته على ان يقوم بما يعده بعض الناس خارجا عن طوق الطبيعة البشرية على أن الحقيقة الاولى ظلت صحيحة وهي ان طبيعة العمل السياسي مخالفة لكل عمل آخر . وحتى يستطيع الشيخ مصطفى السباعي أن يكون في عمله السياسي على مستوى عمله في التدريس والتأليف وفي ادارة ((كلية الشريعة)) ، واصدار مجلة في ((حضارة الاسلام)) ، أرهق نفسه لانه لم يكن يريد أن يخالف المبدأ السامي الذي كان يرفعه نصب عينيه هو ، ونصب عيون الجماعات التي أخذ على نفسه أن يسير بها في الطريق المستقيم .

وأما الامر الثاني فهو ان العمل مع الجماعات ليس عملا سهلا، ان تهذيب الافراد يتم في السنوات القليلة في عشر سنين ، أو عشرين سنة ، أما تهذيب الجماعات ، فلا يمكن ان يتم الا في الاجيال المتطاولة ، واستطاع الشيخ مصطفى السباعي يتحدى القانون الطبيعي في الحياة وان يخلق جماعة

مهذبة بالايمان ، غير انه أيضا زاد في ارهاق نفسه ، وفي هذا الطريق الطويل الشاق كنت احب ان أرى كيف يستطيع الشيخ مصطفى السباعي ان ينهض بهذا العبء ، وكان هو أيضا يدرك أن ذلك العبء ثقيل ، كان مع الشيخ مصطفى السباعي رفاق غير ان الطريق الطويل الشاق الذي سلكه بنفسه كان سلوكه عسيرا جدا على رفاقه ، وكان كلما تخلى رفيق عن عبئه ، أضاف الشيخ مصطفى السباعي عبء ذلك الرفيق الى ما كان يحمله من أعباء ووصلت الي « المجلة » منذ العدد الاول ، ولعل ثمة كثيرين غيري كانوا يقرؤون بين سطور مقالاته غير الذي كان بعض الناس يراه في الحروف المجموعة ، ولحق الشيخ مصطفى السباعي بربه ، فأدركنا عظم الرزء ، لما التفتنا فوجدنا ان تلك الاعباء الثقال قد القيت ارضا مرة واحدة، سنجد رجلا يأخذ المجلة على عاتقه ، وسنجد رجلا يأخذ قيادة الجماعــة نصيبا له . وسنجد آخرين يدرسون أو يؤلفون أو يديرون المعاهد .

ولكن من العسير أن نرى واحدا يقوم بهذه كلها معا ، ثم يقوم بكلها معا متبرعا .

ان الشيخ مصطفى السباعي كان في حياته يحمل رسالة يريد أن يؤديها في امته . كان يفكر في جميع الناس من غير أن يأبه لنفسه ولحاجات نفسه . لم يستطع الشيخ مصطفى السباعي ان يحقق في حياته جميع ما كان يصبو اليه . ولكنه ترك لنا منهاجا مرسوما ، وطريقا واضحا ، ومثالا بعده حيا . هذه طريق حمل الرسالة ، يجب أن تكون الرسالة كل شيء في حياة فرد . من الصعب على صاحب الرسالة ان يحمل مع عبءرسالته عبئا آخر ، ولكن النفوس المؤمنة تقدر أن تقوم بما لا يستطيع الناس عادة ان يقوموا به ، فيا صاحب النفس المؤمنة المطمئنة لقد مضيت في سبيل من كانوا قبلك بعد ان قمت ببعض القسط الذي كنت ترجو ان تقوم به ، **أن بعدك نفرا كثيرين يريدون ان يستأنفوا السير على آثارك ، فاذا نجحوا فقد تعلموا مما عرفت أن تعلمهم وان لم ينجحوا فقد أدوا القسط الــذي يطيقونه فعليك رحمة من الله ورضوان ، لقد عشت للاسلام في أوضــح معانيه ، وعملت للاسلام في زمن من أحلك أزمانه في هجوم عليه من الصهيونية ، ومن الاستعمار ، ومن الفساد الاجتماعي من الخارج ومن الداخل وكنت تريد ان تهذب المسلمين وانت تدافع عنهم كيد خصومهم واعدائهم وعداوة أنفسهم لانفسهم فسلام الله عليك حيا وميتا وجزى الله كل عامل ما هو أهله .**

١٦٦

حركة السباعي الفكرية كانت حرباً على الخرافة وأهلها

للدكتور صبحي الصالح
الأستاذ في كلية الآداب بالجامعة اللبنانية

في كل ارض تنطق بالضاد ، وفي كل صقع يهتف بالاسلام ، أعظم بحاجتنا بل أشدد بظمأنا الى علماء عاملين يجمعون الى ثقافة الروح ثقافة العقل ، والى ثقافة العقل انسانية التفكير ، ليتساموا بمجتمعنا المريض من دنيا الكذب والرياء الى عالم الصدق والاخلاص ، ولينقلونا من ثورة العواطف الهائجة الى ثمرات العقول الناضجة ، وليخرجونا من ظلمات الحقد الاقليمي والتعصب الفكري والتعنت المذهبي الى نور العلم الصحيح حيثما كان ، ومن أي أفق سطع ، وأي أرض أضاء . وتلك كانت مزية فقيدنا المرحوم مصطفى السباعي ، في روحيته المثلى ، وتفكيره الانساني ، وعلمه الغزير ، فلا غرو اذا كان مصابنا جساما برحيله الى عالم الخلود ، ولا عجب اذا غاب عن أبصارنا شعاع لألاء يوم أفلت شمسه مع الآفلين !

ولقد يؤثر أصدقاء الفقيد الغالي أن يسهبوا الحديث عن أبي حسان الداعية الغيور ، أو السياسي اللبق ، خطيب الجماهير ، وهو بذلك كله جدير ، أما أنا فلن أقلب من صفحاته العطرات الزواهي الا صفحته الفكرية العلمية التي رأيته فيها على حقيقته خلال سبع سنين دأبا قضيتها بينكم في هذا البلد العربي المضياف أستاذا في هذه الجامعة العظيمة زادها الله

رفعة وجلالا ، ففي رحاب هذه الجامعة ، وفي حرمها الطاهر ، عرفت السباعي المفكر ، والمفكر الانسان ، والانسان الواعي ، وههنا آنست من سعة أفقه ، ورجاحة عقله ، ومنهجية بحثه ، ونظرته الموضوعية الشاملة الى علوم الشريعة وحقائق الوجود ما أكبره في عيني ، وأعظمه في نفسي وزاده لعمري هيبة ، وكمالا .

ان حيوية السباعي المتكافئة مع أحداث العصر أنشأت لجيلنا الحاضر حركة فكرية لا أدعوها « عصرية » فكثيرا ما رافقت مرانة العصريين مياعة المنحلين ، ولا أسميها « تجديدية » فكأي من تجديد انحرف عن الصراط المستقيم ارضاء لوضع قام ، أو تحالفا مع بعض الانتهازيين ، وأضن على حركة السباعي الفكرية حتى بصفة « السلفية » — رغم كل ما توحي به هذه اللفظة النبيلة من عودة الى نبع الاسلام الاصيل — لان في بعض السلفيين أو « المتسالفين » من لا يزال حتى يومنا هذا يعطي صورة شوهاء عن ديننا الحنيف باسم العودة الى السلف الصالحين ، وانما أسمي الحركة الفكرية التي أنشأتها حيوية الفقيد الغالي « حركة الوعي الديني » الذي ينظم ولا يرتجل ، ويتأنى ولا يستعجل ، ويضع الحلول لكل نازلة ولا يخضع للظروف القاهرة ، ويسمو بالاسلام فوق جميع الاعتبارات ولا يتملق به اندفاعة الجماهير ولا سطوة الحكام ، ويصطفي للقيادة والتوجيه رجال الفكر النير والمنطق السليم لا رجال الخرافة والاسطورة مهما يؤتوا من المظاهر الجوف. وأيا ما يلبسوا من مسوح الدجل والنفاق !

كان السباعي عدو الخرافة الاول في هذا الجيل ، حاربها باليد والقلم واللسان وبكل ما وهبه الله من حيوية في البيوت والاسواق ، وفي المساجد والجامعات . حارب الخرافة في البيت اذ كان يريد أن يحيط البيت الاسلامي بضمانات التوازن الاجتماعي روحيا وقانونيا واقتصاديا ، ويود أن تكون المرأة المسلمة في خليتها الاجتماعية العظمى جزءا متمما للرجل ، لانها مخلوقة من نفسه فلا بد أن ترتبط ارتباطا مقدسا ليس فيه الا الحب والمودة ، والرحمة والحنان وأصدق مثال على ذلك كتابه : « المرأة بين الفقه والقانون » .

وحارب الخرافة في السوق حين قاوم جشع التجار المحتكرين وأطلعهم على جوانب من التعاون الاقتصادي الاسلامي فيما سماه « اشتراكية الاسلام » وأيده في اتجاهه العلمي الموضوعي هذا نفر كريم من كبار أساتذة هذه الجامعة في الفقه والقانون .

وحارب الخرافة في المسجد حين خاطب الناس على قدر عقولهم . مترفعا بهم فوق اعتبارات السياسة أيا كان لونها ، يبصرهم بأسرار الفقه وحكم التشريع ، ويحملهم رسالة الاسلام الخالدة ، ويبعثهم من مرقدهم الى الواقع المرير .

وفي رحاب المدرسة ــ ولا سيما في حرم الجامعة ــ ظهرت حربه للخرافة أقوى ما تكون ، فلما وسدت اليه عمادة كلية الشريعة بجامعة دمشق جعل من تلك الكلية مصنعا للرجال ، فما يتخرج منها حتى اليوم الا العالم الحق ذو البصيرة النيرة والفكر الحر الذي يتقي الله في علمه وعمله ، ويستحيي من ربه أن يراه في موطن سوء ، وأنشأ في تلك الكلية أعظم عمل اسلامي اذا قدر له التمام عرف الناس قيمته العلمية الحقيقية : ألا وهو مشروع موسوعة الفقه الاسلامي التي تعد معجما ضخما أو قل دائرة معارف تضم في أجزائها العديدة أدق المعلومات الفقهية عن النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الاسلام .

وكأنما أراد الله أن تكون باكورة عمله العلمي ارهاصا للمدرسة الفكرية الواعية التي يسر لانشائها في المجتمع الاسلامي ، فقد كانت السنة ومكانتها في التشريع هي الرسالة التي تقدم بها رحمه الله لنيل الشهادة العالمية من جامعة الازهر الشريف ، وفيها يبدو السباعي قمة شامخة بين قمم الفكر الموضوعي الرصين ، اذ رد على بعض المستشرقين ومقلديهم فأفحمهم في كل ما أثاروه من شبهات حول صحة الحديث النبوي وحجيته وصدق جامعيه ورواته من أعلام الصحابة والتابعين وأئمة الاسلام الخالدين ، وحين تكلم في هذا الكتاب على وضع الاحاديث واختلاقها جاء بمقاييس نقدية تتناول مضمون السنة ومحتواها قبل شكلها الخارجي وسلسلة اسنادها ،

وصور ببحوثه الدقيقة في هذا المضمار كيف وقع الاختلاف في الحديث ، وكيف أثر النزاع السياسي والصراع المذهبي والتعصب الجنسي وحتى الروح القبلي في اختراع الاحاديث ، وكيف كان بعض من لاخلاق لهم من المتعالمين – ولا أقول العلماء – يتقربون الى الحكام بوضع السنة واختلاقها ، وبعض من لا دين لهم من الوعـاظ والقصاص يرضون العامـة باختراع الاقاصيص والاساطير . وهكذا حارب السباعي الخرافة والخرافيين بالعلم الصحيح ، والبحث الرصين ، والمنهج الدقيق ، والنظر البعيد .

ألا وان أي عالم ديني – مهما يسم مقامه – لا يزن هو ولا علمه عند الله جناح بعوضة ما لم يتسم كالسباعي بالكرامة العلمية التي ليس فوقها كرامة ، لا ملك ولا رئاسة ولا زعامة ، وما لم يتحل مثله بروح البحث الموضوعي المخلص في التماس الحقائق ، وما لم يصنع صنيعه في ارساء الفكر الديني على دعائم ثابتة قوية لا تعصف بها رياح الشك والارتياب .

انا معشر علماء الاسلام مدعوون اليوم الى الاسهام في بناء الحضارة الانسانية كلها بناء سليما ، ولا نرضى قط ان يكون دورنا ثانويا في هذا البناء ، فلقد أجدنا من قبل ولسوف نجيد البناء ، ولقد عمرنا الكـون ولسوف نعمره دائما بالعلم والاخلاق والحضارة النافعة لبني الانسان .

ذلكم – يا سادتي – هو الدرس البليغ الذي تمليه على قلوبنا – قبل مسامعنا – ذكرى رجل العلم والبصيرة والعمل الخالـد البناء مصطفى السباعي تغمده الله بفضله ورحمته ، وأسعده بصحبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن اولئك رفيقا .

انه درس أخذه الناس عن السباعي حيا ، وها هم أولاء لا يضيرهم أن يأخذوه الآن من سيرته العطرة بعد أن نعم بجوار ربه الكريم .

الا فطب نفسا أبا حسان في جنات النعيم ، فقد طابت أنفسنا بمـا اورثتنا من عمل كريم ، وطاب لالسنتنا أن تبتهل الى الله لتسأل لك سابغ الرضوان ، وتسأل لنا بعدك جميل الصبر والسلوان .

طريقي...

قصيدة لم تنشر من قبل للفقيد الراحل

دعيني وشأني ليس عذري بشافع ... لديكِ ولا حالي يَعنُّ ببالك

وهل يلتقي طيران: هذا محلّقٌ ... تَروم جناحاه سماء ملائك

وذاك مُسِفٌ حائمٌ فوقَ جيفةٍ ... على الأرضِ تُدنيه لِوَطءِ سَنابك

وكم بين مَن يَمشي بصيراً بدربه ... تُضيء له الأقدارُ وعرَ المسالك

وبينَ عَمٍ لا يهتدي لطريقه ... يُحاطُ بحُجب مظلماتٍ حوالك

وشتان ما بين الخليِّ من الهوى ... وبين مُحبٍّ مدنفِ الجسمِ ناهك

وأنّى يُداني عاقلاً ذا حصافة ... جهولٌ سفيهٌ هالكٌ وابنُ هالك؟

دعيني ففي دنيـاي همٌّ ومحنةٌ ... وقطعُ طريقٍ في المفاوزِ شائك

وحلٌّ وترحالٌ وحربٌ وهدنةٌ ... وتعليمُ أستاذٍ وعزلة ناسكِ

ودنياكِ، مادنياكِ؟ وهمٌ وخدعةٌ ... وسعيٌ حثيثٌ نحوَ شتّى المهالك

وفي يسرها ضنكٌ وفي عزها ضنى ... تثير لأدنى الشيء أقسى المعارك

إذا كنتِ عن دنياكِ ترضَين إنني ... سعيدٌ بدنيا الخير استُ بِفارك

فإن تسخري مني فلستُ بساخرٍ ... وإن تضحكي مني فلستُ بضاحك

هُمُ الناسُ بين اثنين: صيدٌ تشوقهم ... معاركُ في ساحِ الهُدى، وصعالكِ

دعيني أعيشُ العمرَ في غُربةِ الهوى ... ففي الحق محرابي وفيه مَناسكي

وفي النصح لذّاتي وفي الخير ثروتي ... وفي العلم محرابي وفيه سَبائكي

أخلاق الداعية الراحل

للأستاذ عبد الفتاح أبي غدة

أخو الصحبة الطويلة ، رفيق السفر والحضر في العمل العام والمودة الخاصة ، كانت له سجايا الخير وأخلاق الصفوة ، انها أخلاق الرجولة المنفتحة ، تشرئب من نفس انسان كبير ، متلازمة متزاحمة ، تتبارى بالفضل والسؤدد ، حتى ليحار المرء وهو يريد أن يتحدث عن أخلاق فضيلة الاستاذ الدكتور مصطفى السباعي طيب الله ثراه بماذا يبدأ ، وعن أي شيء يتحدث؟ عن عطائه وبذله ، عن جرأته في الحق وثباته عليه ، عن عذوبة نفسه وشفافية ذوقه ، عن فرحه بالنصح واقراره بالخطأ عن صبره بالله ورضاه بحكمه وحكمته ، عن وفائه وصفائه ... عن ... وعن ...

أجل انها أخلاق الرجولة ، حباه الله منها موهبة كريمة ، وفطرة سليمة ، فغذاها بالعلم وزكاها بالفضائل والمناقب حتى كان كما يشهد له الاخوان وغير الاخوان : مصطفى السباعي الرجل الفذ ، والانسان المفضال ، والشخصية اللامعة الجامعة .

كان رحمه الله أريحيا كريما ، يتحرى النهوض بوجائب الاخوة والتكريم لكل وارد وصادر ، حتى انه ليتصدى لاستضافة فضلاء الرجال الذين يؤمون البلاد ، شاعرا بأن ذلك حق عليه ، ما يسوغ له التخلي عنه ولو كان في ضيق من أوضاعه وأعماله وواجباته العامة والخاصة ، فهذا من أدب الاسلام ومن المتابعة لخلق الرسول عليه الصلاة والسلام في سيرته الندية العطرة .

وكان رحمه الله تعالى يهتبل هذه المناسبات ليربط فيها بين ضيوفه وزواره وبين الدعوة الاسلامية ورجالها في اطار من المودة السمحة المنطلقة. فكان منزله في مثل هذه المناسبات ـ وما أكثرها ـ مجتمعا أدبيا وملتقى أخويا .

هذا فضلا عن اقبال نفسه وسخاء طبعه في نجدة اخوانه والاسهام

في كل أعمال الخير الخاصة والعامة بأوفر نصيب يقدر عليه . وأذكر أنه توفي بعض ذوي الفضل والعلم على حال ضيقة اقتضت رفد أسرته ، فذاكرته في ذلك فكانت يده أجود الايادي وأكرمها .

أما جرأته في الحق وثباته عليه فأمر من الشهرة والذيوع بحيث يكاد يكون طابعه المميز وخلقه الاصيل ، وان له في ذلك لمواقف ومواقف ، مجاهدا في الساحات العامة ، ومراقبا للاخوان المسلمين ، ونائبا في المجلس النيابي ، ومكافحا للاستعمار ، ومنافحا عن الامة وتشريعها وحقوقها وكرامتها .

وقد أدى به ذلك الى النفي والسجن والابعاد منذ كان طالبا في الازهر الشريف بمصر الى أن أصبح علما من أعلام السياسة والجهاد في هذه البلاد ، ولم يهن له عزم ، ولا لا نت له قناة ، وما زاده عتوُّ الباطل وأهله الا صلابة في الحق ونصره ، ولا تغيرت طبيعة نفسه المرحة المتفتحة ، فما كان يلمس منه في المنفى والمعتقل تجهم نفس أو انقطاع أمل أو فتور عزمة من عزماته . حتى انك لتجد كثيرا من أصدقائه ومقدري فضله كانوا زملاء له في المعتقلات والمنافي ، وأقاموا بعد ذلك على مودته واكباره رغم اختلاف المشارب وتباين الساحات والاتجاهات . وذلك أن المزايا الفاضلة تخضع العدو والصديق لتقدير صاحبها ، وأبو حسان كان رجل مزايا وأفضال ما يجحدها جاحد .

كان طيب الله ثراه عذب النفس ، رقيق الحاشية ، مرهف الذوق والشعور ، يستجيب للدعابة ويجيدها ، ولا يبذلها الا في موطنها ، وكم كان يستعين بذلك في محاضراته ودروسه عندما يتوقع من مستمعيه أن وطأة الجد كادت تثقل عليهم ، فتكون شواهده الطريفة بما فيها من ملاءمة للمناسبة درسا جديدا أبلغ من الدرس والمحاضرة ، وأنفذ في نفوس السامعين الى مقاصده ومراميه العالية التي يتحدث عنها ، حتى اذا تابع درسه والقاءه بعد ذلك عاد حفله الى متابعة سماعه بهمة جديدة وذهن متفتح ونشاط كبير .

كان أجزل الله مثوبته يدعو الى الحق ويدافع عنه وينصره ، واذا صادف أن اجتهد في أمر فكان له فيه رأي ولسواه رأي ثم روجع في ذلك ونوقش: بسط حجته ، ودافع عن وجهة نظره بروح المنصف المتحري الباحث عن الحق ، حتى اذا تبينت له فيما كان يراه ويقوله وجهة جديدة محص فيها

الرأي ، وكانت نتيجة ذلك التزامه بالحق الصراح والمعالنة به ، لا يهمه في أي جانب كان ، دون تعصب لرأيه أو حرص على انتصار وجهة نظره ، بل انه ليشد بقوة على الرأي الجديد الحق ، مدافعا عنه أشد من دفاعه عن رأيه الذي كان يراه ، لانه تبدت له معالم الحق فيه أكثر .

وقد كان رحمة الله عليه يشهد بعض خلصائه واخوانه — في كثير من المناسبات — على ما رجع عنه ، كأمر (اللحية) فقد انتهى الى اطلاقها ، وأشهر أنها من سنن الاسلام وشعائره الكريمة الغالية ، وكأمر (التأميم) الذي كان له فيه رأي ثم تغير رأيه فيه .

أما صبره ورضاه فقد كان آية من آيات ايمانه الكبرى ، ومظهرا متفردا من مظاهر شخصيته العظيمة ، فقد كان — أكرمه الله — رائع الصبر والرضى بحكم الله جل وعلا ، يقبل أمر الله ولا يعترض ، مقرا بوجود حكمة لله ولو كانت خافية عليه ، وكم كان يرجع الى التسليم والدعاء عن ايمان عميق غير تارك أي سبب من الاسباب يستطيع الاخذ به .

كان هذا شأنه في شبابه ، وشدة بأسه وتوقد عزيمته ، حتى اذا نزل به فجأة مرضه العضال ، وطوقته الآلام المبرحة من كل جانب وهو ما يزال في عنفوان الرجولة : تقبل حكم الله بايمان راسخ وشجاعة فائقة، ولم ين عن الحمد والتسبيح والاستغفار لله ، كما لم يغادر وسيلة من وسائل الطب الحديث وغيره الا أخذ بها وسافر لها ، تاركا مآل الامر الى الله تعالى، داعيا اياه أن يكشف عنه البلاء ، ويلهمه مزيدا من الصبر والشكر على الابتلاء .

وكانت حياته في المرحلة الاخيرة المريرة من عمره قدوة حسنة مثلى ، وتعبيرا نموذجيا عن معنى الصبر في الاسلام ، فانه رحمه الله لم ينقطع خلال مرضه الطويل وعلاجه الدؤوب وآلامه الملحة عن ممارسة ذاته ورجولته والنهوض بواجباته كانسان صاحب دعوة حق وداعية مؤمن مسلم .

فقد كان دائم العمل لله ، مكبا على البحث والتأليف والمطالعة ، منتهزا مناسبات أسفاره الطبية لتجميع الشباب المسلم في مختلف بلدان الغرب وأجوائها الصاخبة لتوعيتهم بدينهم ، وشد أواصرهم الى دعوتهم الحق ،

وتجنيدهم لله سبحانه ، كما كان لا يفتر عن التحدث عن الاسلام ومحاسنه ومباحثته المستشرقين الذين الفوا عن الاسلام أو تعرضوا له ، يزيد من فهم هؤلاء ومعرفته بهم ، ويتصدى لاولئك ويناقشهم ، لا يشغله همه عن هموم المسلمين ، ولا يقعد به مرضه عن جهاده المبين . وهذا والله — هو الصبر روح الصبر في فهم الاسلام ، ووعاة الاسلام ، ودعاة الاسلام .

ويتدرج بنا القول في أخلاق أثيرنا الفقيد الغالي طيب الله ثراه الى صفاء نفسه ووفائه ، لقد كان غض السجية ، محبب العشرة ، شهم الاخاء، سريع النجدة كريمها ، تتأتى معه الطرف والنوادر الجميلة فيحدث بهـا صحبه وهو يضحك ببراءة نقية قائلا : أضيفوها الى نوادر الحمصيين . ومن ألطف ما كان يصدر عنه في هذا الصدد ذهوله الذي يقع له بسبب كثرة مشاغله ودأب تفكيره وجسام مقاصده ، كدعوته بعض اخوانه الى طعام ثم نسيانه ذلك . وكدفع ثمن ما يشتريه مؤجلا أكثر من مرة ظانا انه لم يف الذي عليه بعد .

وكانت له مسامرات ومحاورات تفيض ذوقا وعذوبة نفس مع صديقه الصفي والاخ الكريم الاستاذ الشيخ محمد الحامد حفظه الله تعالى ، وكثيرا ما كان يحلي بها مجالس خلانه واخوانه .

وان الانسان قد يعجب — ولا عجب — حين يقرن بين وقار النابغة السباعي في مواطن الجد ، ومخاشنته لاعداء الله والامة ، وانقباض نفسه عن المنافقين والنفعيين ، وبين شفافية روحه ، وانطلاق جنانه ، وتلطف لسانه في معاشرة أحبائه واخوانه . ولكن لا عجب فهو الفهم للاسلام والعمل به على بصيرة .

وكان رحمة الله عليه يؤاخي الانسان فيكون وفيا لاخوته ، محسنا الظن به ، يذود عنه قالة السوء ، ويحتفظ له بمنزلة الصادقين ، ويلتمس لهفواته الاعذار ما دام يجد الى ذلك سبيلا . بعيدا عن التملق والنفاق والمجاملة بالباطل .

وقد كان ما بيننا من الاخوة في الله والعشرة الطويلة في السفر والحضر وتمتن المودة في شتى الاحوال ومراحل الحياة مسوغا لي أن أتحدث عنه ببعض ما علمته فيه ، وان له عند الله مما وهبه كثيرا جدا من صفـات البر والتقوى والخير والاحسان ، فلقد كان كما شهدته غير مرة لا ينـام

الا بعد تلاوة شيء من القرآن الكريم في المصحف ، واذا استيقظ فعل مثل ذلك ، ما يمنعه من ذلك الا نوبات المرض الشديدة اذا ألمت به في هذين الوقتين .

وكان لا يبخل برأيه الناصح السديد على من استشاره واسترءآه ، يخلص له النصيحة ، ويمحضه الود ، ويعطيه من وقته أغلاه ، أداء لحق هذا الاسلام الذي منحه الله فهمه والنهوض به والدعوة اليه .

وكان رحمه الله تعالى همة متسعة متشبعة تسلك سبلا كثيرة من ألوان الخير والعمل الصالح ، وكان يذهل عن مرضه المقعد معها ، فتراه اذا زرته أو لقيته يؤلف ويدون ، ويرسم الخطط لنشر العلم والمعرفة ، ويدعو لنشر هذا الكتاب وطبع ذاك الكتاب ، ويحض على القيام بهذا المشروع العلمي أو الثقافي أو الديني أو الاجتماعي ، كما يحض على أداء ما يراه من الواجبات العامة والخاصة التي يفضل عنها سواه .

وتراه يقدم نفسه للاسهام في كل ذلك على أوفر نصيب ، عازما جازما غير متوان ولا كسل ، بحيث كنت أقول ويقول كثيرون غيري : ما أكبر هذه الهمة التي أوتيها ؟ انها لو قسمت عزماتها ومقاصدها على عشرين شابا من ذوي الجد لضاقوا بأدائها والنهوض بها ذرعا ، وناؤا بها ثقلا ، ولكنها نفس ابي حسان الكبيرة المؤمنة ، وهمته القعساء التي جعلت في جسمه الفرد جسوما كثيرة فعالة مبدعة ، لا يتسرب اليها الملل من الخير ونشره والدعوة اليه ، بل كان رحمه الله تعالى يرى ذلك كله متعة وروحانيته وأنس نفس وتعبا محببا ، وما أصدق قول البحتري فيه :

قلب يطل على أفكاره ، ويد تمضي الامور ، ونفس لهوها التعب

هذه صفحات من السفر الجليل الذي طواه الموت مأسوفا على شبابه ومزاياه ، وهيهات تطوى في الناس ذكراه العطرة وجهاده الكبير . مما لا يستوعبه مقال في مجلة ، واننا لنقولها ملء قلوبنا وعقولنا والله على صدق اعتقادنا خير شهيد .

ان مصطفى السباعي كان أمة ، وقد خسرت فيه الامة علما من أعلامها علما وعملا ، وأخلاقا وجهادا ، غفر الله له ورضي عنه وجعل في أبنائه وتلامذته واخوانه والمؤمنين من شباب الجيل خير عوض ، وألهمنا وأهله ومحبيه الصبر على فقده ، واستمرارنا في الدرب من بعده ، وانا لله وانا اليه راجعون .

السّباعي الدّاعيـة

للأستاذ فتحي يكن

أيها الاخوة المؤمنون ، أيها السادة الكرام ، كثيرون هم العلماء ، وكثيرون هم الفقهاء ، وكثيرون هم الشعراء ، وكثيرون هم الادباء ، ولكنْ قليل قليل على الدهر هم الدعاة المخلصون الدعاة الى الاسلام ، الدعاة الى النور المبين ، الدعاة الى الحق الكريم ، الدعاة المخلصون الذين لا ينافقون ، الثابتون على الدرب ، الذين لا يميلون ولا ينحرفون ، الدعاة الصادقون الذين لا يكذبون ، الذين يصدعون بالحق لا يخشون في الله لومة لائم .

((الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا . وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)) .

((الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا . تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون)) .

((الذين آمنوا بالله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون)) .

لقد تحدث قبلي الاساتذة الفضلاء . تحدثوا عن صفات كثيرة كريمة عزيزة من صفات الحبيب الغالي ، أكرمنا الله بلقائه في جنان خلده .

تحدثوا عن صفات كثيرة كريمة وانني أريد أن اتحدث عن صفةأساسية كانت محور حياته ، كانت الطابع الاساسي في وجوده في عمله في فقهه في كتابته في خطابته في كل حركة وسكنة من حركاته وسكناته .
تلكم هي الدعوة الى الله ، سأتحدث عن السباعي الداعية في زمن قل فيه الدعاة وعز فيه من يحملون رسالة الاسلام باخلاص الى الله ، سأتحدث عن السباعي الداعية الذي آمن بالله ربا وبمحمد نبيا ، وبالقرآن دستورا وبالجهاد سبيلا .

الداعية الذي آمن بالاسلام دينا ودولة ، مصحفا وسيفا ، منهجاً وطريقا وسبيلا للحياة .

الداعية الذي وقف نفسه وروحه وقلمه وعقله وحياته وعمره في سبيل دعوة الاسلام ، وفي سبيل نصرة الاسلام ، سار على الطريق ، طريق الانبياء ، طريق المرسلين ، طريق محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

السباعي سار على هذا الطريق ، وهو يدرك أنه طريق طويل ، وطريق شاق ، وطريق مملوء بالعقبات ، طريق تكتنفه الصعاب ، طريق لا تطيقه الاجسام العليلة المريضة ، ولكنه صمم على ان يسلك هذا الطريق لانــه الطريق الوحيد ولا ثاني له ، الطريق الوحيد الذي ينتهي الى الجنة . الطريق الوحيد الذي يقرع به ابواب الجنان . ((**وهذا صراط ربك مستقيما قــد فصلت الآيات لقوم يذكرون**)) .



الفقيد في احدى زياراته للبنان مع الكاتب الاسلامي الكبير الاستاذ سيد قطب

نعم يا اخواني كان السباعي داعية بكل معنى الكلمة . داعية مخلصا يوم أن تمرد على المجتمع الذي يعيش فيه مجتمعنا الاسلامي ، الاسلام منه براء لانه مجتمع ترك الاسلام ترك الفضيلة وترك العقيدة وترك الاخــلاق وانغمس في الشهوات والفساد . فكان حقا على السباعي أن يتمرد على هذا المجتمع ، على الفساد ، على الباطل على الشهوات ، كان حقا عليه أن يتمرد على هذا المجتمع . ليعود به الى ما يريده الاسلام ، وكان السباعي داعيــة

بالمعنى الصحيح يوم لم يكتف بأن يعتلي المنابر خطيبا كما يفعل الكثيرون اليوم ، ولكن عندما حمى وطيس الحرب في فلسطين لم يبق خطيبا من وراء المنابر يوجه الناس ويلهب قلوبهم ويستثير عزماتهم ، أبدا يا اخواني ولكنه وهو المؤمن بقضية فلسطين ايمانا صميمياً صحيحاً في ان اسرائيل وان فلسطين لن تعود الا برجال الاسلام والا بشباب عاهدوا الله على الجهاد في سبيله . فنزل من على منبره وترك قلمه ثم قاد الشباب المسلم قادهم كأنه قائد عسكري وهو يقتدي بسيد الانبياء والمرسلين يوم كان امام محراب ، وكان قائد حرب في نفس الوقت ، نعم قاد شباب الاسلام في حرب ضروس وليست لاعبة في فلسطين هناك ، وأما الذين كانوا يتكلمون عن فلسطين من على رؤوس المنابر ، هؤلاء صدق فيهم قول القائل المجاهد :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لوجدت انك بالعبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه فنحورنا بدمائنا تتخضب

يا أخوتي كان السباعي داعية بالمعنى الصحيح حين تمرد على الاستعمار ووجود الاستعمار ، ومؤامرات الاستعمار ، وأحلاف الاستعمار ، ومواثيق الاستعمار ، وأعلنها على الزمن لا شرقية ولا غربية وانما اسلامية وقرآنية وايمانية . تمرد على الاستعمار منذ نعومة أظافره . فاعتقلته فرنسا عام **١٩٣١** ثم عاودت اعتقاله عام **١٩٣٢** ، واعتقله الانكليز في مصر عام **١٩٣٤** ، ثم حين عاد الى بلده سورية اعتقلته السلطات الفرنسية عام **١٩٤١** .

وفي عام **١٩٤٥** قاد الثورة المسلحة في حمص ضد فرنسا وضد وجود الاستعمار في الشرق الاوسط . هذا يا اخوتي أما الذين لا يتقون الله ، وأما الذين يهرفون بمالا يعرفون ، وأما الذين يتقولون على دعوة الاسلام وعلى دعاة الاسلام الاقاويل فاننا نكل هؤلاء الى الله لان الله يدافع عن الذين آمنوا .

((ان الله يدافع عن الذين آمنوا)) ، **((من عاد لي وليا فقد آذنته بالحرب))** ويكفينا ويكفي دعاة الاسلام أنهم سائرون على درب محمد بن عبد الله ، الدرب الطويل الذي لاقى منه ما لاقى من عنت واضطهاد وأذى وتشريد ولكنه صمم وخطط وثبت على هذا الطريق وهو يناجي الله في كل محنة عصفت به ، وفي كل شديدة نزلت به **((اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين : الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني ام الى قريب ملكته امري ؟ ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي))** .

ودعاة الاسلام يا اخواني لا يبالون بأقوال الناس طالما أن رب الناس راض عنهم ان شاء الله ، وكان السباعي يا اخواني . كان السباعي داعية بالمعنى الصحيح يوم تصدى عام **١٩٤٩ م** وكانت سورية في ذلك الوقت تمر بعهد دستوري دقيق يعاد فيه صياغة دستورها ، ووقف وقفات جبارة أمام من أرادوا أن يكرسوا علمانية الدستور وعلمانية سورية البلد الاسلامي ، ووقف ووفقه الله لان يبرز خصائص الاسلام في الدستور السوري فكان منها المبادىء التالية :

١ ــ الدولة تعلن استمساكها بالاسلام ومثله العليا .

٢ ــ الفقه الاسلامي المصدر الرئيسي للتشريع .

٣ ــ يجب أن يهدف التعليم الى انشاء جيل مؤمن بالله معتز بالتراث العربي ، متحل بالاخلاق الكريمة ...

وكان السباعي داعية بالمعنى الصحيح ، يوم أدرك أن من حق الامة على دعاد الاسلام أن يقفوا في وجوه الحكام ناصحين مقومين مرشدين ثم منذرين ، فكان في عهد الشيشكلي الذي ظلم واستبد وطغى ، وقف وقفة شامخة كالطود في وجه الظلم ، وفي وجه الاستبداد ، لانه يفهم ان على العالم وان على الداعية ان يقول الحق للحكام ولو كان مرا . والحكام عليهم أن يسمعوا لما يدعوهم اليه العلماء ودعاة الاسلام فلا خير فيهم ان لم يقولوها ولا خير في الحكام ان لم يسمعوها فكان جزاءه أن أخذ من بيته الى سجن المزة ثم اخرج من السجن ونفى خارج البلاد .

وكان السباعي أخيرا داعية بالمعنى الصحيح يوم ان صمم على العمل الاسلامي المركز ، لم ينفس عن غلوائه بخطبة مرتجلة أبدا ، وما قال ان هذا طريق الاسلام لان محمد بن عبد الله ما قاد الجموع ، وما أقام دولة الحق الا بعمل مركز بناء بنى فيه الافراد ربى به جيلا مسلما ، فدأب السباعي من اول يوم على تربية جيل مسلم يحمل تبعات العمل الاسلامي في العالم الانساني كله ، فاذا بنا نرى دعوة الاسلام قد تحركت بين الشباب ودعاة الاسلام ينطلقون في كل مكان :

قد كنت تعلم جيدا يا مصطفى ... أن البلاد بذلة وهوان
فبعثت روح العز في أبنائها ... وأعدت حب الدين للشبان
ناديت حيَّ على الجهاد بكل ... ما أوتيت من حق ومن ايقان
فتجاوبت أصداء صوتك في ربى بردى ... ودوى الصوت في لبنان

من هو الذي تخيفه الشيوعية*؟ !

اما الشيوعية كفكرة وعقيدة فلسنا نخاف ان تطغى على فكرتنا وعقيدتنا وان لنا من مناعة الاسلام ما يحول دون طغيان الافكار المخالفة له في الاتجاهات والاهداف ، ان اتلي وترومان وتشرشل لن يحولوا دون طغيان الشيوعية على بلادنا وافكارنا ولو جمعوا كيدهم ومكرهم ووسائلهم ، ولكن الذي يحول دون ذلك محمد وعيسى عليهما السلام حين نصغي الى تعاليمهما ونستجيب لندائهما .

واما الشيوعية كمذهب اقتصادي فنحن لا نخاف منها ، اذ ليس عند جماهيرنا ما تأخذه الشيوعية وتقضي عليه ! .. من أي شيء نخاف اذا انتشرت الشيوعية ؟ .. انخاف من الفقر ؟ ام نخاف من الجوع ؟ ام نخاف من الجهل ؟ أم نخاف من انحطاط الاخلاق؟ ان هذه الجماهير تعيش في أسوأ حالة من الفقر والجوع والجهل والمرض وانحلال الاخلاق ، فماذا تفعل الشيوعية في هذه الجماهير سوى ان تزيد نقمتها على من سلبها الراحة والنعمة والعلم والغذاء والكساء ؟ .. وهذا هو ما يخشاه اولئك القادة ..

فليسفروا عن وجوههم وليعلنوها لنا بصراحة ان الخوف من الشيوعية ليس علينا نحن أبناء الشعب بل على اقطاعياتهم وعروشهم وزعاماتهم وثرواتهم التي باعدت بينهم وبيننا ..

ألا ان ذهب ترومان واتلي لو صب علينا صبا لن يحول دون انتشار الشيوعية ما دامت الجماهير في هذه الحالة المحزنة ، كما ان استعمال العنف والقوة في مقاومة الشيوعية لن يزيدها الا شدة ، وما على الذين يخافون منها ان كانوا يغارون على مصلحة شعوبهم الا ان يعملوا على رفع مستواها والقضاء على شكواها وتحطيم قيود العبودية عن افكارها وآرائها واجسامها وبطونها .

---

* من كلمة ألقاها في جلسة المجلس النيابي المنعقدة بتاريخ ٣/٨/ ١٩٥١ م

عام ١٩٤٩

وأما الشيوعية كغزو استعماري فنحن لنا من دمائنا من آيات الكرامة ما يجعلنا نقف في وجه كل اعتداء وغزو أمام أية قوة مهما عظمت ، ولكننا نسأل هؤلاء الذين يخوفوننا بالغزو الروسي : لماذا لم يعملوا على جلاء القوى الاستعمارية عن أوطاننا وبلادنا اذاكانوا حقا يكرهون الغزو الاجنبي ؟

اننا نعلن بكل وضوح ان علاقاتنا مع الدول الكبرى يجب ان تكون على قدم المساواة لا أن نفضل دولة على أخرى ، واذا أردنا أن نعطي فلنأخذ أكثر منه ، واذا أردنا أن نتعاون فلنكن متعاونين مع الجهة التي تخلص في صداقتنا وتتمنى لنا خير بلادنا فاذا لم تكن هنالك دولة من تلك الدول الكبرى تريد لنا الخير فلنكن حذرين من غدر الذئاب وتزاحم اللصوص ، أما أن ننحاز الى ذئب دون ذئب ونحن كالحمل الوديع ، فليس معناه إلا أن نكون طعمة سائغة لمن اعتادوا أكل الحملان الوادعة المسالمة . .

المرحوم الدكتور مصطفى السباعي

هــذا ما تفعله الامم التي تريد الحياة

رأيت في ((أوديسا)) على شاطيء البحر الاسود من بــلاد الاتحاد السوفياتي مدرسة للنابغين من طلاب المدارس الابتدائية ، أقيم فيها معرض ، لما أنتجوه من آلات وقطارات وصناعات ، فكم الفرق بين أمــة توجه أبناءهــا للسيطرة على الحيــاة ، وبين أمــة تشغلهم بأبسط ما في الحيــاة ؟

مصطفى السباعي

١٨٢

ذكرياتي عن السباعي

للأستاذ عبد الله المشنوق

أيها الاخوان هذه مفاجأة بالنسبة الي ، وهي مفاجأة ما كنت انتظرها لانني جئت حتى استمع وما جئت حتى أتكلم ، وحتى الآن ما فهمت دوري في الحفلة من عريف الحفلة ، فهل هو يريد مني أن أتولى تقديم الخطباء أم يريدني أن اتكلم ، فاذا كان يريدني أن اتكلم فليس اسمي واردا في لائحة الخطباء ، ولا أود أن اتجاوز حدي وان اخالف المنهاج الموضوع . هذا من جهة ومن جهة ثانية ، لا أود وأنا من اخوان الفقيد الكبير ان لا أكون وفيا له، وان أرتجل خطابا في مثل هذه الحفلة الكبرى، تقام لذكراه لان من واجب الوفاء علي ان لا ارتجل بحفلة كهذه وأن أعد خطابا يتناسب مع مقام هذا الفقيد ، فليس الفقيد من الاشخاص الذين يأتي بمثلهم الزمان في ايامه العادية وهو من الرجالات العظام الذين نفتخر بهم على الدهر فكيف يكون الوفاء اذا قمت مؤبنا بكلمة مرتجلة في حفلة كهذه الحفلة الكبيرة واذا كان يريدني اخي وصديقي رائد عباد الرحمن ان اقول لكم بعض ما أشعر بـه نحو الفقيد الكبير فأنا على استعداد شرط أن لا اتوسع في الموضوع وان لا آخذ من كلام الخطباء الذين أعدوا لهذه الحفلة عدتها .

كلكم تعرفون الفقيد الكبير ولكنكم لا تعرفونه كما عرفته أنا ، لاننا كنا ننام في غرفة واحدة في (قاووش واحد) في سجن واحد ، كان سريره الى جانب سريري ، وكنا طوال الشهور الستة نستيقظ واحدنا مع الآخر ، وننام فيكون آخر شيء نراه صورة كل منـا للآخر فكانت معرفتي به اذا معرفة صميمية أكيدة .

اذا قالوا لك هل تعرف فلان ؟ قلت : لهم أعرفه . يقولون لك هل عاملته ؟ تقول لهم عاملته ، فاذن تعرفه ، أما أنا فأقول اذا سئلت عن فلان ؟ فأقول هل سجنت معه ؟ فاذا سجنت معه فأنت حقا تعرفه ، لانه في السجن يتجرد من كل هذه الزخارف التي تحيط بنا وتجعلنا اشخاص على غير حقيقتنا . أما في السجن فنحن نتعرى من هذه كلها ونظهر على حقيقتنا أمام بعضنا وهكذا عرفت الفقيد متجردا من تلك الزخارف التي تحاط بها الناس في عالمنا. فيرأيتهالسجن ورآني ، وعرف كل منا الآخر. لقد نهض بالسجن عندما دخل الى السجن لقد كنا نضيع اوقاتنا فجاء رحمه الله وأشاع فينا التقوى ، فبعد أن كنا نلهو بلعب النرد أو نلعبالورق أو بالكلام الفارغ ، جاء رحمه الله ونهض بنا من هذه التفاهة الى النباهة . من هذا الكلام الفارغ الى الكلام المفيد فأصبحنا نتذاكر وأصبح يلقي علينا دروسا في السجن ، وأصبح رائدنا وامامنا وشيخنا وخطيبنا ومرجعنا في كل أزمة كانت تنتابنا في ذلك السجن ، فهو اذن المرشد الذي نهض بنا في تلك الآونة العصيبة ، التي اجتزناها يوم زج بنا في السجن لالشيء الا أننا مسلمون أحرار نريد نأ نخدم بلادنا كما يخدمها غيرنا في هذا الوطن **وعبثا حاولوا بالمغريات أن يغيروا عقيدة الشيخ مصطفى ، ولكن المسلم ذا العقيدة يتغير كل شيء في الدنيا ولا تتغير عقيدته ، لقد ظل صامدا وقضى ما كتب عليه من سجن بصبر عجيب ، وكان من حظنا ان يطول به السجن حتى نستفيد منه حتى نفيد من علمه ونفيد من فهمه للامور وحتى يسمو بنا من هذه الدنيا الفانية الى العالم الآخر بما كان يرويه علينا من علم وأدب وما كان يبثه من اخلاق عالية سامية أصبحنا نشعر وكأننا عائلة واحدة في ذلك السجن .**

أيها الاخوان عندما انتقل الفقيد الى رحمته تعالى لم أكن هنا ، ومن سوء حظي انني لم أقم بواجبي فيتشييعه الىمثواه الاخير لانني كنتبعيدا جدا عن هذه البلاد ولا أود وأنا في هذه الذكرى أن أقصر اذا بواجبي فارتجل مثل هذه الكلمة وكم كنت أود لو عرفت قبل ذلك لاعددت خطابا مكتوبا فالكلمة المكتوبة يستطيع المرء ان يودعها عاطفته الصحيحة ، وأما الكلمة المرتجلة فمهما أوتي الخطيب من قوة في الكلام فانه لا يستطيع الا أن تسبقه كلمة أو أن لا تأتيه الكلمة التي يريد ، فلا تكون عاطفته قد ظهرت تماما كما يريد .

أيها الاخوان ان الشيخ مصطفى السباعي رجل أرهق نفسه في سبيل الله ، حملها فوق طاقتها ، والمتنبي عندما قال :

واذا كانت انفوس كبارا   تعبت في مرادها الأجسام

انما كان يقصد أمثال الشيخ مصطفى السباعي ، الذي لم يبالي بجسمه انصرف الى هذه النفس الكبيرة ، الكبيرة بالله تعالى ، الكبيرة بالدين ، الكبيرة بالعقيدة ، لا الكبيرة بالسياسة ، ولا الكبيرة بزخرف الدنيا ، الكبيرة بفهم الاسلام ، هذه النفس الكبيرة التي كانت تحمل الجسم باستمرار فوق طاقته ، عندما كان يقف على المنبر كنت تشعر ، لقد وقف على هذا المنبر بالذات وسمعناه وما نزال نذكر أن القاعة كانت ترتج وان الجماهير التي كانت تحضر كانت قلوبها تريد أن تنطلق بالخفقات تأييدا لما كان يقول ، هذا الرجل المفوه الكبير لا نستطيع أن نفيه حقه في كلمة مرتجلة .

أيها الاخوان انني اذ اعرب عن الفجيعة الكبرى بفقده اسأل الله تعالى أن يكتب له في جناته الرحمة والرضوان وان يلهمنا جميعا الصبر والثبات ، الصبر على الفجيعة والثبات على المبدأ الاسلامي الصحيح الذي كان ينهجه الشيخ السباعي والذي ضحى من أجله بروحه وبحياته وقد قال الشاعر وأظنه البحتري :

ولو أن مشتاقا تكلف فوق ما في وسعه لسعى اليك المنبر

ومن حقي ان اقول :

ولو ان محزونا تكلف فوق ما في وسعه لبكى عليك المنبر

فهذا المنبر وهذه القاعة وهذه البلدة ونحن كلنا نبكي الفقيد رحمه الله واسكنه فسيح الجنان والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كيف يعيش مع الناس . .

عش في الحياة كعابر سبيل ، يترك وراءه أثرا جميلا . وعش مع الناس كمحتاج يتواضع لهم ، وكمستغن يحسن اليهم . وكمسؤول يدافع عنهم ، وكطبيب يشفق عليهم ، ولا تعش معهم كذئب يأكل لحومهم ، وكثعلب يمكر بعقولهم ، وكلص ينتظر غفلتهم . فان حياتك من حياتهم ، وبقاءك من بقائهم ، ودوام ذكرك بعد موتك من ثنائهم ، فلا تجمع عليك ميتتين ، ولا تؤلب عليك عالمين . ولا تقدم نفسك لمحكمتين ، ولا تعرض نفسك لحسابين ولحساب الآخرة أشد وأنكى .

مصطفى السباعي

أودى الذي حمل اللواء مجاهدًا !

للأستاذ الشيخ عبد الرزاق رمضان

عَلَم هـوى فلتبكـه الايام ... وليـنعـه الايمـان والاسلام

بدر لقـد افلت مشارق نوره ... من أفقـه فالكائنـات ظـلام

لا تبكـه رجلا ثوى بل فابكه ... صرحا يمـوت لموتـه اقـوام

ولديَّ في هذا وذاك شواهد ... العلـم والاخـلاص والالهـام

سل ان جهلت عن الفقيد خصومه ... سيجيبك الخصم اللدود ، همام

واستنطق الآثار من تركاتـه ... واسمع يجبـك الفقه والاحكام

فاقرأ تآليف الامام فانهـا ... حكم تدين لحكمهـا الافهـام

شعر ونثر للكمال تدافعـا ... لم تعترض مسراهما الاوهـام

كم ارشدت آراؤه من تائـه ... من بعدما فتكت به الآثام

يدعو مطاعا للفـلاح وللهدى ... فتجيبـه الارواح والاجسام

باللين يدعـو لا بقسوة مغلظٍ ... ولربمـا سبق الحسام كـلام

كم خاض معركة بغير أسنة ... قسطا ، كأن كلامه الصمصام

فسل النيابة عنه حين تكشفت ... عن حقـدها هـرّارة ولئـام

سلها عن الشيخ الجليل وحزمه ... فلقـد تجيب بأنـه الضرغـام

كم صولة في وجه اعداء الهدى ... قـد صالها فتحطمت أصنام

ومضلل قـد راح يمكر دائبا ... فرمته من أيدي الامام سهام

فارتدَّ مخذولا يجر بذيله ... جرَّ الحزينة قد دهاها السّام

واليوم يا ويح الجهاد فمـا له ... بعد المظفرَّ قائد مقـدام

أودى الذي حمل اللواء مجاهدا ... لم تثنـه الاخطار والآلام

بل جد في نشر الحنيفة مخلصا ... يحدوه شوق للهـدى وغرام

أسميَّ طه المصطفى يا مصطفى ... مني عليـك تحيـة وسلام

وعليك من أهل الرشاد كرامة ... اذ حقك التبجيل والاكرام

يا مرحباً بلقاء الله

تمثيلية في فصل واحد

للأستاذ محمد علي الضناوي

● الزمـان : الساعة الحاديـة عشرة قبل ظهر السبت ٢٧ جمادى الاولى ١٣٨٤ .

● المكـان : منزل الدكتور السباعي بدمشق

● الاشخاص : ــ الاستاذ السباعي ...

ــ عبـد القادر

ــ ملك الموت

المنظـر : يرى الاستاذ السباعي جالسا على « صافته » في مكتبته وبجانبه أوراق وكتب . وبالقرب منه عبد القادر .

أبو حسان : (ناظرا الى يـده اليسرى) آلامك شديـدة ... وأوجاعك رهيبـة ! !

عبد القادر : عافاك الله يا أبا حسان وما أمليت يكفي .. فلقد كتبت في الرد على خصوم أبي هريرة ما يزيد عن مئـات الصفحات اضافة على ما ذكرته في كتاب (السنة) .

أبو حسان : ذلك فضل من الله ... ورضي الله عن أبي هريرة ... فهو يستحق هـذا ... واكثر (تبدو عليـه علامات التعب... يتاوه بحرقة) .

عبد القادر : أشعـر أنك تعب ..

أبو حسان : (يتأوه) تعب .. واعياء ... وألم ... آه ... ولكـن الامل بالله كبير وها أنا استعد للرحيل ... فلقـد تهيأت الظروف ... وما علي الا قصـد السبيل ... الى البيت الحرام ...

عبد القادر : هناك ... قد أكرمك الله بالشفاء ... وكأنه أراد لك البقاء في مكة .

أبو حسان : في أول بيت وضع للناس ... آه ... يا عبد القادر ... حدثتك واحدثك ان رحمة من الله تجلت عليّ ... هناك هناك ... في أعماق المسجد ... لدى كعبة الله ... فسجدت الى الارض بعد أن حرمت منه سبع سنوات طوال .. ونسيت الداء ... الداء الذي حيرني ... وأعيى الاطباء و ... (ينظر الى يده ... ويتوجع ..)

عبد القادر : (متنهدا) لا حرمك الله ... من رحمته ..

أبو حسان :

ربـاه ان الـداء أثقـل مهجتي ... فغدت حطاما باهتا ورفاعا

لم يبق هـذا الداء موضع ابرة ... في الجسم الا هزه فارتاعا

جسم الضنى ليلا فهل يلقى الشفا ... صبحا يريه بعض حسن ضاعا

عبد القادر : ان شاء الله ... وعافاك وشفاك وجزاك عن دعوته ودعاته خير الجزاء .

أبو حسان : الحمد لله ... (يتوجع) ياعبد القادر ... لو تعينني ... فلعلي اغفو قليلا . (يقوم عبد القادر ويعينه على الاضطجاع) شكرا ... أثابك الله .

عبد القادر : استغفر الله ...

أبو حسان : لو تركتني يا أخي وجلست الى مكتبي ... وجمعت ماكتبناه من ردود ...

عبد القادر : (يقوم) هل استدعي الطبيب يا سيدي .

أبو حسان : الله لطيف بعباده ... لا ... فما عند الله خير وابقى ...

عبد القادر : ارجو لك نوما هادئا ... (يذهب) .

أبو حسان : الحمد لله (بصوت خافت) يا الله ... لك الحمد على ما قضيت وقدرت استغفرك .. واتوب اليك ... آه .. ياحبيبي ها أنا ... لم ينفعني علم الاطباء و ..ولا افادتني حكمة الحكماء و ...ولا اجداني عطف الاصدقاء ...ولا

آذتني شماتة الاعــداء ... وانما الذي يفيدني بعد اشتداد المحنة كسوة الرضا منك ، وينفعني بعــد القعود عنك ... حسن القدوم عليك ... ويخفف عني .. جميل الرعايــة لمن زرعتهم بيدك ... وعجزت بمحنتي عن متابعة العناية بهم ... ومن مثلك ياحبيبي في صدق الوفاء ... وجميل الرعاية وحسن الخلافة ؟ ؟ ... فــان قضيت فيَّ أمرك ــ وهــو نافــذ فيَّ لا محالــة فهــم وارضهــم الطيبــة أمانة عندك ... يا من لا تضيع عنــده الامانات ... ولا يخيب فيــه الرجــاء ... ولا يلتمس من غــيره الرحمــة والاحسان.) (١) (يبدأ بالنزع) .

ملك الموت : مصطفــى ...

أبو حسان :(بصوت فرح) من ينادي ؟ ... ومن أرى ؟ ! ..

ملك الموت : ملك الموت : عزرائيل ....

أبو حسان : (بفرح) عزرائيل ! ... يا مرحبا ... يا مرحبا ...

ملك الموت : كل نفس ذائقة الموت ... وانما توفون اجوركم يوم القيامة .

أبو حسان : ما مرحبــا بلقــاء الله ...

ملك الموت : ان الله قد رضي عنك .. فقال (يا ملك الموت اذهب الى فلان فأتني بروحه لأريحه حسبي من عمله ، قد بلوته فوجدتــه حيث أحب ...) .

أبو حسان : لو تعجل .. وتأخذ روحي .. استحلفك بمن أرسلك الي ؟ أني منتظر هــذه اللحظــة .. منذ أمد .. مديد ...

ملك الموت : رويدا ... أيها العبد الصالح .. فما زال من اجلك متسع..؟

أبو حسان : وكــم ؟ ..

ملك الموت : دقائق ...

أبو حسان : ما أطولها !! ... ما أصعب الانتظار ... وما أحب اللقــاء !!!

---

(١) من كتاب هكذا علمتني الحياة صفحة ٢٠٢ .

ملك الموت : مصطفى .... مصطفى ...

أبو حسان : لبيك ، لبيك ،

ملك الموت : لكم كان ابتهالك عظيما .. قبل قدومي عليك !! ..

أبو حسان : ابتهلت الى الله .. الذي سأفد عليـه ... ودعوت لاحباب سأتركهم ...

ملك الموت : اني رأيت آلاف الملائكة يتنازعون : ايهم يتشرف برفـع ذلك الابتهـال ...

أبو حسان : الحمـد لله ... ان فضله كان علي كبيرا ...

ملك الموت : أتعرف من أمّن على دعائك ؟ !

أبو حسان : من ؟ ...

ملك الموت : اخوانك الذين هم في انتظارك .. وفي غاية الشوق اليك ...

أبو حسان : اخواني .. ! !

ملك الموت : البنـا ... وعوده .. وطلعت .. وفرغلي ... وتيسير ... وضيف الله ...

أبو حسان : سألتقي بهم ... ؟ ! وافرحتاه .. وامناه ...

ملك الموت : انظر أمامك يا مصطفى ... الى مد البصر ؟

أبو حسان : رباه .. ماذا أرى ؟ ! ..

ملك الموت : خمسماية من ملائكته كرام برره !! ...

أبو حسان : ومـا شأنهم ...

ملك الموت : نزلوا معي لاستقبال روحك الطاهرة ... انظر ... ألا ترى انهم قاموا صفين لاستقبال روحك الزكية ...

أبو حسان : اللهم لك الحمـد .. والشكر ... ولكـن يا ملك الموت ماذا أشم ؟ ! ..

ملك الموت : كل منهم يحمل قضبان الريحان .. واصول الزعفران تكريما لك واجلالا ... (أصوات مختلفة) .

أبو حسان : ماذا أسمـع ؟ ...

ملك الموت : اسمع جيدا .. بشائر الملائكة اليك .. كل منهم يبشرك ببشارة سوى بشارة أخيه [١] ... اسمع اسمع .. وهيا .. هيا الى جنات الله .

(يشتد النزع والسباعي يردد الله ... الله ... الله ...)

ملاك : يوم موتك ... يوم فرحك وراحتك .. وسرورك .

آخر : اليوم تلقى الاحبة ... محمداً وصحبه ...

آخر : لقد جاهدت في الله جهادا كبيراً ... فلك ابا حسان ، أجر الشهداء ومنزلة المجاهدين .

آخر : كنت قائدا لدعوة الاسلام في زمانك ... فابشر بفردوس الله في أعالي جنانه .. مع امناء دعوته ...

آخر : وانت العالم الجليل ... انت منار الهدى والدين ... أنت وريث الانبياء .. وستحشر مع العلماء .. الاتقياء .. الانقياء ...

آخر : من الصابر المحتسب ! ؟ ... انت يا أبا حسان ... ولك أجر الصابرين وثوابهم ...

آخر : هنيئاً لك بما اسلفت في الايام الخالية .

ملك الموت : (يا أيتها النفس المطمئنة ... ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) .

---

(١) (ان الله اذا رضي عن عبد قال يا ملك الموت اذهب الى فلان فأتني بروحه لأريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب . فينزل ملك الموت معه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان واصول الزعفران كل واحد منهم يبشر ببشارة سوى بشارة صاحبه .. وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان ... رواه ابن أبي الدنيا .

مواقف الكرامة * !!

اننا شعب مصمم على أن يموت ، أو أن ينال حقه بيده ، فهو قد كفر بكل عدالة تأتيه من الخارج ، لقد كفر بكل عدالة تأتي من اولئك الذين يتوسدون أرائك مجلس الامن وهيئة الامم والذين لا يستوحون ضمائرهم وانما يستوحون أنانياتهم .

وبهذه المناسبة أعلن ما كررناه من قبل ، أننا يجب ان نفكر في علاقاتنا بالمعسكر الغربي ، ان من واجبنا أن نفكر بعلاقاتنا بهذه الدول ، اننا جديرون بأن نصون كرامتنا ازاء هؤلاء الذين يستهزؤون بكرامتنا وبارادتنا ، ولا أدري الى متى نسير بارادتهم ومتى نفكر بالخروج على تلك الارادة ؟ .

وقد يقال اننا ضعفاء ، واننا لا نملك من الامر شيئا ، ولكن لان نموت ونحن نلطم الذي يلطمنا ، خير لنا من أن نموت ونحن نقدم خدنا لمن يريد أن يلطمه ، ورقابنا لمن يريد أن يتحكم بها ، ولذلك ارجو من اللجنة السياسية التي سوف تجتمع عما قريب وأرجو من الجامعة العربية اذا كان في الاموات رجاء ، أرجو من هؤلاء ان تستيقظ ضمائرهم بعد الآن ، وان يستيقظ فيهم الشعور الحي ، وان يسمعوا صدى ارادة هذه الامة وشعورها في مختلف أقطارها، أرجو ان يستيقظوا على هذه الصرخات .

من الواجب ان نفكر بعد الآن كيف ينبغي ان تكون علاقاتنا مع هذه الدول، فلا نجاملها ولا نجعل مصيرنا مرتبطا بها. لئن كانوا يظنون أن في هذا التعدي ما يرهبنا ويخيفنا .

فليعلم العالم أننا شعب لا يخاف الحروب ، وأننا أبناء هذا الجيل قد ولدتنا أمهاتنا على لمعان نيران الحروب وعلى ضوء مدافعها، وعلى بطاح معاركها وبريق أسنتها، ونحن أمة رضعنا حب الحروب من اثداء امهاتنا ، فلن تخيفنا الحروب ، ولن ترهبنا النكبات ، ولقد

---

* من كلمة ألقاها في جلسة المجلس النيابي المنعقدة بتاريخ ١٩٥١/٨/٣ بمناسبة حوادث الحدود .

تعرضنا في تاريخنا الماضي كثيرا الى مثل هذه النكبات التي تألبت علينا واستمرت مئات السنين ، ثم لم ترهبنـا ولم ترجعنا عن عزيمتنا .

وقد وطنا النفس على أن نرد العدوان مهما كان شأنه ، فلا يطمع بنا الطامعون من الدول الكبرى ، وليعلموا انهم في اثارتهم لاسرائيل في هذه الظروف علينا ، لا يستطيعون ان يحملونا على الصلح ، وانني اعتقد انني اعبر عن حقيقة واقعة ، وهي أنهم لم يجدوا في هذه البلاد ولا في أي قطر عربي آخر رجلا واحدا ترضى له كرامته وترض له وطنيته أن يرى الصلح مع اسرائيل أو يقبل به ، الا اذا كان معناه الموت ، والا اذا كان معناه تسليم رقابنـا للجزارين الاشرار . ان الصلح مع اسرائيل خيانة وطنية ، فـلا يفكرن احد بأن يحملنا عليها .

المرحوم الدكتور مصطفى السباعي

نحن واسرائيل

● اسرائيل لا تعد لغزونا فرقاً من الراقصـات والمغنيـات والرسامين ، ولكنها تعد فرقا من الفدائيين ، وأساطيل في الجو والبحر ، وقذائف للهلاك والتدمير ، فهـل يفهـم « المنحلون » و « الببغاوات » و « المتآمرون » و « الكسالى » و « الوجوديون » و « المستغربون » و « المفتونون » ؟

خـذ مائـة واعطني واحدا

● خذ من امتنا مائة مصور ، وأعطيها طيارا واحدا ، وخذ منها ألف مغن واعطها مخترعا واحدا ، وخذ منها كل العابثين واللاهين واعطها مجدا واحدا .

مصطفى السباعي

ملحمة السباعي

للأستاذ محمد الحسناوي

١

أيام الانتداب

في ليـال مترعـات بالظلـم … وبـلاد راعفـات بالالـم
زقزقت عصفورة في سرهـا … وهفـا نجم اليهـا ، وابتسم
فاذا الوردة تنضو شوكهـا … واذا الاقمـار تشتـاق القمم
واذا الروض ربيـع مجفـل … في شتـاء مطبق اطبـاق فم
مثلمـا أطبـق عفريت عـلى … طفلة مكنونة من (ذي سلم)
أو كما أهوت (فرنسا) غيلة … بمغاني الشام تغتـال الشمم
أو كما (الطليان) ساموا(برقة) … و (بنو جورج)أرادوا بالحرم
.. يا لها ذكرى سرت آثارها … عبر أجيال ، وقرت في العظم
ها هنا روض جديب حائـل … وهنا صقـع سليب مختـرم
وهنـا فكر دخيـل واغـل … من بنات الغرب قرصان الامم
فاذا الـذكرى شتـاء دائـم … وخـريف عاصف في كل دم
واذا عصفـورة ــ لما تزل … توقظ النيـام أشباه الغنـم
تارة تصفر في أسمـاءهم … وقليلا يسمع القلب الاصـم
وهي طورا ترتمي من عبئهـا … بـين أشداق المنافي والعـدم
يا لها من قصة مكـرورة … **ملهـا السامع ، والحاكي سئم**
ليس تحكى بحـروف إنمـا … بسيوف وحتوف وحمم

صبي في حمص

من ربى (حمص) ومن داراتها هب عصفور فتي ذو همم
يذرع الافق ارتيـادا والهـا ويغني النجم ما شاء النغـم
لم يجد في دوحـه رجعـا له فبكى حبـا وأضنـاه السقم
ومضى يسأل عن أترابـه عن بني (حمزة) كساري الصنم
عن فتى الاسلام في يرموكـه وأخي التحرير في أرض العجم
عن شباب حملوا نور الهدى وسيوف العدل من قفر الخيم
وبنوا (بغداد) والـدار التي أنجبت (اندلساً) و (ابن الحكم)
وعلى أرض (فرنسا) قد بروا عسكر الكفر، كما يبرى القلم

صدى التحرير

... وأجابت أدمع عن سؤله وسرت في(حمص)أصداء القسم
لا انتداب في بـلاد حـرة لا انصيـاع لوصايات البـهم
نحن أحفاد الالى قد حرروا أمـم الارض بآيات الحكـم
أفتطوى جهرة راياتنـا ومن المجد لنا السهم الأتم
أتؤدى خفيـة أوطاننـا لبني صهيـون أحفـاد القزم
لتعد (سورية) موفورة وليعد (مغربنا) حـراً أشم
ولتعد (ايطاليا) عن (برقة) عودة اللص بأوزار التهم
ولتعد عن شرقنـا (انكلترا) تمضغ العـار بغليـون الندم
وليخلـوا كل شبر مسلم طـاهر الذيل نبيـلا محتـرم
أو تـدر دائرة ما بيننـا دور (حطين) عـلى شر نسم

ساح الجهاد

... ذعر الليـل وريعت دولة من ضيـور كـشفت وجه الطغم

في (حماة) و (بحمص) غضبة وعلى الفيحاء لفح يضطرم

و (ببيروت) نذير منبيء ما (بدير الزور) من هم وغم

صحف تتلى ، وخبز يختني ورصاص يُشترى قبل الأدم

فكأن الثورة الكبرى على موعد يسعى بساق وقدم

وكأن الحشر في الشام انجلى عن نشور الناس كالسيل العرم

المنفى

وصحت (باريس) من إغفائها صحوة المخمور مشلول القدم

تبذل العطف وتبدي عذرها وتسن النصل مشبوب القرم

تصم الحر بطيش عابر والجماهير بمعسول الكلم

فتزج الطير في اقفاصها وتذر القمح في درب النهم

خطة تعرفها ، لكنها لم تزل تجهل أحرار القيم

فاذا الاقفاص تغلي ثورة والبساتين سعيراً تحتدم

تقطع النفي على أطيارها وتلم الشمل موفور العزم

الى الأزهر الشريف

إن يشرد طائر عن عشه فله الشوق بريد وقلم

وله الأتراب سرب حافظ ورفوف خافقات كالعلم

فاذا عاد سعى في دربها ونفى عنها مرارات السأم

أو أتى (الأزهر) يجزي نفسه شرف العلم الى خال وعم

.. أترى (الازهر) يثني مسلماً عن قتال الكفر فرضا ملتزم

وهو من قاد جهادا دائباً وهدى أبناءه منذ القدم

فيه من (مصر) شباب نابه ومن (الشام) رعيل لم ينم

كم رعى (للسود) فكرا ناشئاً وبنى (للهند) صرحا كم وكم

غليان في الأزهر

يا له مؤتمر مستحصد هدفاً فرداً وجمعاً منتظم
فلتثر ثائرة هدارة في سماء (النيل) أو حول (الهرم)
ولتعد (انكلترا) مدحورة عن ربى (مصر) وعن كل حرم
إن شبرا فيه صوت مسلم لهو من أقدس أقداس الامم

المنفى ثانية وثالثة

من ترى هيج أغناما غفت وإباء ثار من بين الرمم
انه طير غريب هائج أقلق الناس بخطب مدلهم
فليشرد ، وليمزق جمعه وليثب من كان في الجلى عزم
هكذا كان (السباعي مصطفى) بلبلا غنّى ، فأشجى . وسجم
هكذا كان قضاءً مبرماً يصفع البغي ، ويبني ما انهدم

٢

استغاثة فلسطين

وشكت (فلسطين) المصيرا يدنو ، فيستبق النذيرا
في كل يوم هجرة تلقي على الاعناق نيرا
وبكل شبر صفقة سفرت فما أبقت ستورا
بالأمس (حيفا) والموا نيء أجفلت ، ودعت ثبورا
لما هوى الصندوق ، صند وق الحرير . ولا حريرا
لكنما البارود ، محشواً الى الرشاش زورا
ومسدسات أترعت واستكملت حملا وقيرا
باسم التجارة يرتع الجزار في النعمى حبورا
ويقود شبان اليهود كتائباً تسمو البحورا
فتجوس في طول البلاد وعرضها شبحاً خطيرا

نجدة فلسطين

ـ من للنذير بمسمع الدنيا ، فقد صمّت دهورا ؟
... وتدحرجت عبرات من أصغى الى الداعي ، مشيرا :
أنا بلبل الشام الجهـ ـير ونافخ الآفاق صورا
في المشرقين وفي القلوب سأنشر الجلّى نشورا
سأجند الشبان شبا ني ، وأجتاح الجسورا
سأهز أعواد المنا بر والعروش ، ولن أحيرا
حتى يحير الفرقدان ويرجع الباغي كسيرا
إن يمنعوا عنا السلاح ويحبسوا عنا النصيرا
فسنرخص الغالي فداء الدين ، لا نبقي حصيرا
وسنشتري ... بشبابنا ودمائنا هذا النصيرا

خيانة الحكام

لا بارك الله الألى عقّوا وأولونا ظهورا
لما حمينا (القدس) و (الـ قطمون) و (البيت) الشهيرا
كذبوا ، وضنوا بالرصاص وقتروا حتى نبورا
وتآمروا سراً علينا نحن من سد الثغورا
قالوا : ارجعوا من حيث جئـ تم ، واتركوا السور الحسيرا
فلأنتمُ خير من السكان ... ما أخزى الاميرا
خسئت وضلت عصبة حجبت عن الشعب الامورا
وتبجحت بالنصر .. لمّا أحرزت خزياً كبيرا
إنا على درب الجهاد إرادة قصمت ظهورا
لا نهمل الباغي ، ولا نلقي إلى الطاغي نقيرا
من سكبنا هذا الإباء وإن بنوا منه القصورا

وسيعرف التاريخ أنّا ... لم نزل أسدا هصورا
مثل (السباعي مصطفى) ... يغشى الوغى ناراً ونورا
ويجوب أصقاع البلاد ... ليكشف الغدر الأجيرا
ولينجز النصر الفقيد ... ويكتب السطر الأخيرا

٣

مخلفات الاستعمار

ذهب الدخيل ولم تزل أذنابه ... وتغلغلت في المارقين رغابه
في النفس منه هيبة وقماءة ... فكأنما لم تنتقض أطنابه
الفكر فيه حائر متهالك ... يجثوله — يا للحجى — ويهابه
والناس: هذا معجب مستعبد ... أو ناشز غالى فطار صوابه
لا شرع إلا شرعة الغريب ... ولا هدى الا هداه وبابه!
آراؤنا شتى، يوحدنا القلى ... وتلمنا في النائبات نيابه

كيف نثأر لفلسطين

ضاعت (فلسطين) الشهيدة خلسة ... والثأر لم تؤخذ له أسبابه
هل يثأر الرأي الشتيت أو الهوى ... الطاغي اذا دارت بنا أكوابه؟
أو يثأر الخصر النحيل، ورفة ... الطرف الكحيل اذا كبا أصحابه
لا ثأر الا للسباع الضاريات ... وللألى عجمتهم أحقابه
فمضوا يخوضون المعارك جملة ... فلكل ضرب عندهم أضرابه

السباعي والدستور

هذا (السباعي) نائب، في لجنة ... الدستور، قد لانت له أصلابه
ومشت به سبل البيان فأسفرت ... روح الشريعة، فالهدى محرابه

المؤتمر الاسلامي بالهند

أبداً يؤرقه الجهاد ، وكيف لا والمسلمون على المدى أحبابه
يا للمحب يذوب في محبوبه فيشف عن ذوب الفؤاد إهابه
وتطير أجنحة الهيام به فلا ليل يباعده ولا حطّابه
حتى يحط على رحى حرب ضروس أو على حفل سمت أسرابه
المعلم فيه راية شرفت ، وللإسلام منه : فصله وخطابه
أعتابه في (الهند) أو في (السند) لكن ، لم تزل في الخافقين قبابه

التطوع للدفاع عن مصر

فإذا شكت (مصر) البلاء انقض من عليائه ، تعتاده أو صبابه
وأتى (سفير النيل) يوقف نفسه ورجاله ، فإذا المصاب مصابه
أو راح يعلن في (بحمدون) الجواب على سؤال الغرب نعم جوابه
ان الحساب على صعيد القدس و(الاوراس) ان يرغب فأين حسابه!
أما رياح السل فهي كليلة لو لم تعكر حوضنا أخشابه
فليستح الغرب اللئيم اذا ادعى ولتستحي من غدره أذنابه
وليرجعوا نسلم وتسلم أمة أو يطمعوا ، فالخسف آن كتابه

علماء الشرق والغرب

إنّا نخاطب حفنة العلماء و العقلاء فيه إنهم أغرابه
ولسوف نأتيهم بفكر سيد وبمنطق لا يستباح جنابه
شرقا وغربا سوف نقصدهم وان صموا عن الحق المبين كتابه
سيف وفكر دأبنا وسبيلنا حتى يعود الى الوجود شبابه
وتعود ألوية السلام عزيزة لا الزيف يطمسها ولا أترابه

كلية الشريعة

في كل صقع سوف نغرس غرسة | من معدن القرآن طاب شرابه
وبكل جامعة سنرسي معهداً | فذاً يعانق شمسه طلابه
فاذا رحلنا لم تزل أعلامنا | تحمي الذمار منيعة أبوابه

٤

الوداع

أرحلت حقاً يا أبا حسانِ | من غير ما نبأ ولا إعلانِ
أرحلت في وضح النهار ونحن أعـ | ـداد النجوم وعدة الازمان
أرحلت ، لولا شئت فديناك يا | حب القلوب بأكبد الاخوان
لو شئت عبدنا الطريق ، فما مشيت | ولا اتجهت على سوى الابدان
لو شئت آنسناك آلافا مؤ | لفة ، تهز معاقل الطغيان
أنا لا أصدق ، لا أطيق ، ولست | أسمع رنة الناعين في الآذان
بالامس كنت لديك تلهمني الحيا | ة ، وتنشر المطوي من أشجاني
وتثير ايماني الفتي ، وأنت أصـ | ـلب فارس في حومة الميدان
كم جاء يخطب كل عملاق ودا | دك بالمنى والاصفر الرنان
كم دولة كبرى دعتك فما استجبت | لغير صوت الحق والايمان
وسخرت بالاغراء والتهديد ، لا | قرت بفقدك مقلة الخوان
ومشيت اذ قعد الورى ، لتغيث أرض الأنبياء بغيثك الربّاني
بكتائب الرحمان تجتاح اليهو | د ، تذود عن دين وعن أوطان
ورجعت صلب العود عالي النفس | ترسي الأس فيما انهار من بنيان
ورجمت أصنام الخيانة والهوى | ودمغت كل مداور وجبان
ودعوت شبّان البلاد الى الهدى | فتجاوبت أصداء سوريا الى لبنان

وتقاطرت سحب الغمام فأمطرت ما اربَدّ من قفر ومن بستان
في كل عين يقظة ، وبكل جمع صيحة ، كالنشر ، كالطوفان
فاذا العروبة راية معقودة لله .. للتوحيد .. للفرقان
واذا شعوب المسلمين عزيمة من سفح (تطوان) الى اليابان
تلقي لـ (إقبال) و (نواب)و (بنّاء)زمام فؤادها الظمآن
واذا الخلافةقاب قوسين ارتمت بعد الغياب ولوعة الهجران
لا نهب للبترول ، لااستعمار ،لا استبداد ، لا حلف مع الشيطان
لا حكم الاشرعةالدين الحنيف ولا انقياد لشرعة الاوثان
وكأنما حلم يمرُ اذا حلا ما إن يداعب يقظة الانسان
ولقد صحونا يا(سباعي)صحوة قد جرعتنا حنظل الخسران
قتل (الإمام) ولاذ (نواب)به وكبا (أبو الأعلى) بباكستان
واليوم . هذا اليوم، لا أهلابه ما دام يطوي طاهر الجثمان
أنا لا أصدق ، لا أطيق،ولست أسمع رنة الناعين في الآذان
كم تكذب الابصار والاسماع، فلتكذب لأجلك يا أبا حسان
ولتكذب الدنيا لأنك آية لله .. قد عزت على التبيان
فيك الأبوة والقيادة والتقى والعلم والاخلاص للرحمان
فيك الجهاد شجاعة وريادة لله .. كم أصفاك من احسان
كيف العزاء وكنت أنت عزاءنا يا أيها المشدود بالأكفان
أو لست من هز المنابر والعرو ش ، وزلزل الطاغوت بالايمان
فانهض فديتك لاتجاذبك الخيو ط ، وأنت فارس حومة وطعان
أنا لا أصدق ، لا أطيق،ولست أسمع رنة الناعين في الآذان

ح ٢ ح

من كلماته البرلمانية

الاستعداد قبل وقوع العدوان *

ان من واجب الحكومة أن تهيء الشعب للنضال ، وأن تعبىء قواه الروحية والمادية، وأن تقوي أخلاقه، وتحارب الميوعة والانحلال في معيشته وسلوكه ، حتى يكون وراء جيشه المحارب على الحدود، متأهبا لمده بالرجال والعون حين تحتدم المعارك دفاعا عن شرف البلاد وسلامتها .

ان من واجب الحكومة أن تبدأ فورا بكل ما من شأنه أن يجعل بلادنا وشعبنا على استعداد لكل خطر عالمي أو موضعي ومواجهة كل عدوان برباطة جأش وتمام استعداد . فهل تنوي الحكومة أن تقوم بذلك ؟ .. وهل يرى دولة رئيس الوزراء ان الوقت قد حان لمواجهة الاخطار بحزم جرأة ومثابرة وعزيمة **لا تعرف اليـأس** ولا الملل ؟ ..

يادولة رئيس الوزراء ! .. لقد رأينا باعيننا كيف كانت حكومات هذه الامة مشغولة عن الاستعداد للاخطار ، بتوظيف المحاسيب والانصار ، والتلاعب بالدساتير والقوانين ، والانشغال بجمع المال وتوطيد الجاه والخلود في الحكم ، حتى اذا فوجئت بالخطر الذي كان يتهيأ له عدونا منذ سنوات .. لم يكن من أولئك الحكام الا ان يخدعوا الشعب ببليغ تصريحاتهم، لقد دخلوا الحرب وهم يخدعوننا، ويخفون النتيجة أن هزموا .. وصدمنا .. هزموا وحلت الكارثة بنا .. تواروا عن الانظار وبعضهم لا يزال باقيا على أرائك الحكم في البلاد العربية ، لم تنلهم يد بعقاب ولا محكمة بحساب ، ولكنما نالهم شيء واحد ، هو لعنة الله ولعنة هذه الامة ولعنة الاجيال الآتية من بعد ..

فاذا أردنا يا دولة الرئيس ، أن ننجو من مثل هذه اللعنات

---

* من كلمة القاها في جلسة المجلس النيابي المنعقدة بتاريخ ١٨ كانون الاول ١٩٥٠ .

فلنعمل ولنستعد . ولنهيىء الامة لاخطار الحرب المقبلة .. نحن لا نريد الا أن ندافع عن أنفسنا . فابدأ منذ الآن يا دولة الرئيس بالعمل والاستعداد . جند الرجال . ودرب الشباب . وقو الاخلاق وحارب الميوعة . واحرمنا من بعض مآكلنا وملذاتنا . خذ منا ما تشاء من أموال ورجال .. نحن على استعداد لنعطيك ذلك كله على أن يسلم لنا شرفنا . على أن تصان لنا حرماتنا .. على أن لا تلعننا الاجيال كما لعنت آخرين ..

يا دولة الرئيس ! أنت وأعضاء حكومتك مسؤولون عن مستقبل هذا الشعب ، وعن صيانة حرياته وعن الدفاع عن كرامته ، أنتم وحدكم الذين ستتحملكم الاقدار نتيجة التفريط في الاستعداد ، فحول منذ الآن وزارتك الى وزارة طوارىء ، وابذل ما تستطيع لتهيء هذه البلاد للكفاح الطويل والنضال المرير واخلص لله عملك يؤتك الله ما تستحق من أجر وثواب وتأييد ..

المرحوم الدكتور مصطفى السباعي

لمن نعطي الجوائز

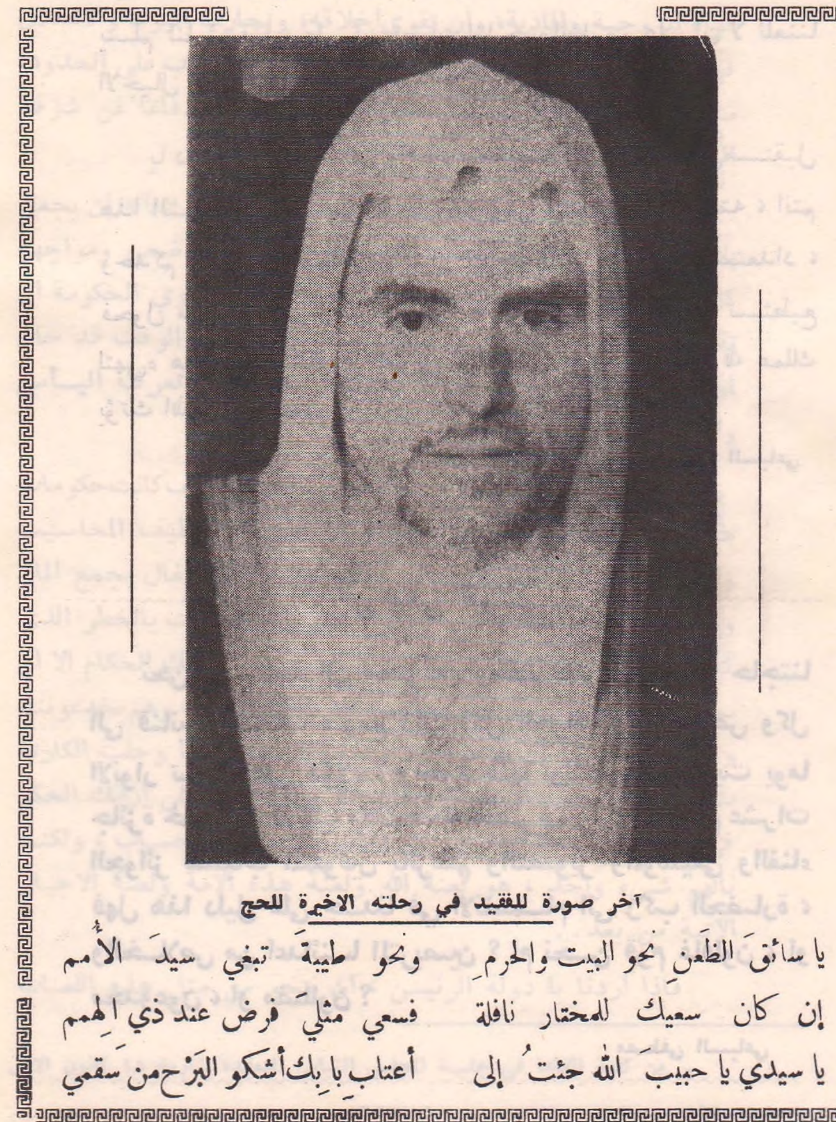
نحن في حاجة الى مخترعين ومخترعات ، أشد من حاجتنا الى فنانين وفنانات ، ومع ذلك فكل الجوائز وكل الفرص وكل الانوار تسلط على هؤلاء ، ويحرم منها أولئك ، وما رأيت يوما جائزة خصصت لشاب مكتشف أو مخترع ، وأرى كل يوم عشرات الجوائز للشباب المتفوقين بالرسم والتصوير والموسيقى والغناء فهل هذا دليل على جدنا في الانضمام الى ركب الحضارة ، والخلاص من أعدائنا المتربصين ؟ أم نحن قوم غافلون ، أو مخدوعون ، أو مضللون ؟

مصطفى السباعي

مناجاة

بين يدي الحبيب الأعظم

من قصيدة مطولة نظمها الفقيد الراحل في الروضة النبوية المطهرة قرب المنبر النبوي الشريف بعد صلاة العصر في اليوم العاشر من محرم ١٣٨٤ هـ ، وتلاها يرحمه الله أمام الحجرة النبوية قبل الحج وبعده :



آخر صورة للفقيد في رحلته الاخيرة للحج

يا سائقَ الظَعنِ نحو البيت والحرمِ ونحو طيبةَ تبغي سيدَ الأُمم

إن كان سعيك للمختار نافلة فسعي مثليَ فرض عند ذي الهِمم

يا سيدي يا حبيبَ الله جئتُ إلى أعتاب بابِك أشكو البَرْحَ من سَقمي

ن م ح

يا سيدي قد تمادى السقم في جسدي	من شدة السُقم لم أغفل ولم أنم
الأهلُ حوليَ غرقى في رقادهمُ	أنا الوحيدُ جفاه النومُ من ألم
قد عشتُ دهراً مديداً كله عمل	واليومَ لا شيء غير القولِ والقلم
يا سيدي طال شوقي للجهاد فهل	تدعو ليَ الله عوداً عالي العلم
تالله مالهفتي للبُرء عن رَغب	في ذي الحياة ولا جاه ولا نِعم
وإنما طمع في أن يقولَ[1] غداً	لقد هديتم إلى الإسلام كلَّ عم
هيهات أن تنطوي للدين رايته	أو يهزم الكفرُ ديناً غيرَ منهزم
يا رب عونَك للمرضى ومن نُكبوا	يا رب أنت ملاذُ البائس العدِم
واحفظ جنودَك من سوء يُرادُ بهم	لم يفحنوا لِقِئَام البغي من شمم
تعقبوا الشرَّ أنى سار متجهاً	فأحبطوا كيده دهراً ولم يقم
فأكرم الناس من كانت منيّتُه	في حومة الحق جَلداً غير منهزم
وأهون الناس من جاءت منيتُه	خِلواً من الهَمّ أو خِلواً من الهمم
أشكو إلى الله شكوى غير ذي جزع	في شدة الضُّر وجهي وجه مبتسم
يارب إن طلبتْ نفسي الشفاءَ ترى	أيحمل الخيرُ صفواً غير منصرم ؟
أم فيه شرٌ يفوقُ السقم من ضَرر	حتى ترى النفسُ أن الخيرَ في السَقَم ؟
ما في قضائك ظلمٌ للعبـــاد ولا	فيه الإساءةُ بل محضٌ من الحِكم
وإنما العبد لا ينفكُّ ذا هلع	ولا يطيق دوام الضُر والألم
فاحزم متاعك قد تلقاك ذا سفر	عِندَ الفجاءةِ وأعبده على قـــدم
إن الشقيين من تلقاهمُ غفلا	عن الحساب بلا خوف ولا ندم
هي المقادير ماشكٌ بحكمتها	عندي ولا أنا منها قطُّ في برَم

(١) الضمير عائد الى الله عز وجل

٢٠٦



لن ننساها ..

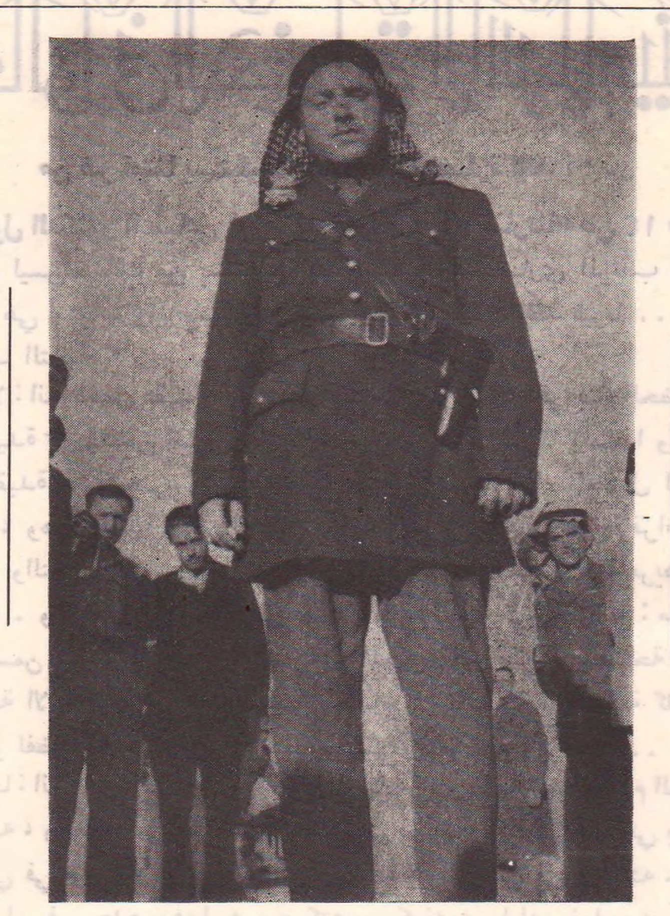
في حياة الامم . كما في حياة الافراد ، فترات من الشدة والقسوة يفر منها ضعفاء الايمان الى اليأس ، وينهض معها أقوياء الايمان الى العمل ... وجراح فلسطين الدامية التي لم تندمل بعد في جسم أمتكم ، ان حملت بعض القادة والزعماء على القاء السلاح . فانها يجب أن تحملكم على متابعة النضال والكفاح ! ..

هذه فلسطينكم ! .. أضاعتها الاطماع الجائعة ، والشهوات الظامئة ، والغفلة المسترسلة . والاحقاد الصليبية الكامنة ، ولن تكون فلسطين بعد كل هذه المؤامرات الا لنا ... نحن العرب ... نحن المسلمين ... فلسطين لنا ...

يوم تجند في سبيلها العزائم والسواعد ..
ويوم تحشد لها الامكانيات والمواهب ..
ويوم نحرسها بالسلاح الشاكي والايمان اللاهب ..
فلسطين لنا ...
يوم نعزم أن نرفع رؤوسنا للسماء ..
ويوم نأبى أن ننهزم وبأيدينا اللواء ..
ويوم نقول « لا » للطغاة الاعداء ..
لا تيأسوا ... فاليأس كفر بالله ..
ولا تترددوا ... فالتردد مفتاح الهزيمة ..
ولا تقفوا ... فالوقوف أول الموت ..

يا شباب

اذكروا فلسطين ... يقظتكم ومنامكم .



واذكروها ... مغداكم ومراحكم .

واذكروها ... في عبادتكم ورياضتكم .

واذكروها ... لاطفالكم وأمهاتكم .

اذكروها ...

اذكروها ! فهي قلب وطنكم الكبير الواحد ...

اذكروها ! فهي طريق الاسلام الى عاصمته « مكة » .

اذكروها ! فهي ثغر جزيرتكم التي يربض فيها « محمد » صلى الله عليه وسلم .

يا شباب ! ..

اجعلوا لفلسطين ما تملكون من مال ، وما ترزقون من مواهب ، وما تجدون من وقت ، وما تفاخرون به من عرض وعقيدة ...

هذا هو طريقكم الجديد الى وطنكم المفقود .

مصطفى السباعي



من غير امتنا يستطيع حمل اللواء لحضارة الغد ؟ ! .

يقول الدكتور السباعي في كتابه «من روائع حضارتنا» ص ١٤ ما يلي:

● ليس هنالك من يستطيع القيام بالدور الحضاري المرتقب الا أمة واحدة هي أمتنا ، ولن يستطيع حمل اللواء لحضارة الغد غيرنا .. وذلك للاسباب التالية :

أولا : اننا نحمل عقيدة من أرقى العقائد التي تساهم في بناء الحضارات فهي عقيدة توحيد من أصفى أنواع التوحيد وأكثره اشراقا وسموا وكمالا ، وهي عقيدة علم تحترم العقل وتدفعه دفعا حثيثا وراء المجهول ليصبح معلوما ، وهي عقيدة خلق انساني معتدل كريم يتجافى عن الافراط في الرحمة والتفريط في العدالة ، وعن الافراط في الحب والتفريط في الواجب . وهي عقيدة تشريع يهدف الى اليسر ويتوخى المصلحة : مصلحة الفرد ضمن مصلحة المجموع ، ومصلحة المجموع غير مفرط بمصلحة الفرد، ومصلحة الامة ضمن الاطار الانساني العام ، ومصلحة الانسانية كلها من غير محو لفضائل الشعوب وخصائص الامم وقضاء على كرامتها ..

ثانيا : اننا أصحاب روحانية ايجابية بناءة ، روحانية الهية تلازم الجندي في حربه ، والعامل في مصنعه ، والعالم في درسه، والفيلسوف في بحثه ، والقاضي في محكمته ، والموظف في وظيفته ، والرئيس في رئاسته ، تلازم كل انسان في جده وهزله وحركته وسكونه ، وليله ونهاره ، ويسره وعسره ، وصحته ومرضه ، لا تمنعه في حال عن حال ، بل تنقله من كمال الى كمال ، وتذكره بالله الذي خلقه ، والارض التي درج عليها ، والناس الذين يعيش معهم ، والعالم الذي هو جزء منه في وحدته الكبرى وعبوديته لله رب العالمين .

ثالثا : اننا أثبتنا في الماضي قدرتنا على انشاء مثل الحضارة المرتقبة ومهما قيل عن حضارتنا من قبل الخصوم والجاحدين فان أحدا لاينكر أنها كانت أكثر من الحضارة الغربية الحديثة رحمة بالناس وسموا في الخلق ، وعدالة في الحكم ، واشراقا في الروح ، واقترابا من المثل الاعلى للانسان في مختلف عصوره واطواره . وما دمنا قد استطعنا ان نقيم تلك الحضارة الانسانية الرائعة في عصور التخلف العلمي والفكري ، فاننا أقدر على أن نقيم مثل تلك الحضارة في عصور التقدم العلمي وانكشاف المجهول من الكون شيئا بعد شيء .

٢٠٩

وقالوا في الحضارة الغربية

حضارة تطير بجناح واحد ! ! .

ويقول الدكتور السباعي رحمه الله في كتابه « من روائع حضارتنا » ص ١٣ :

● « ان الحضارة الغربية . تمثل أرقى ما وصل اليه الانسان من حياة مادية ، وليس هذا وحده هو الذي يسعد الناس كما رأيت ، بل لا بد من حضارة جديدة تتابع هذا الرقي المادي وتستمر فيه ، وتأخذ بالناس الى حياة روحية راقية بجانب ذلك الرقي المادي ، بحيث تحفظ التوازن دائما بين الحياتين المادية والروحية ولا تسمح بطغيان احداهما على الاخرى ، فهل يمكن أن توجد هذه الحضارة ؟ وهل هنالك أمة تستطيع القيام بهذا الدور؟ »

● « ان العالم الغربي لا يمكن أن يقوم بالدور المرتقب . فهو الآن في أوج حضارته وقوته المادية وافتتانه بها ، وحين ينهار فسيكون فاقدا كل المؤهلات التي تؤهله لقيادة العالم نحو الامن المنشود والحياة الكريمة المبتغاة .

والعالم الشيوعي لا يمكن ـ بالاحرى ـ أن يقوم بذلك لانه أشد اغراقا في المادية وحربا للروح والقيم الدينية والاخلاقية ، وسيساهم مع الغربيين في ازدياد شقاء العالم واضطرابه حتى تنهار هذه الحضارة فوق رؤوس أصحابها من غربيين وشرقيين .

والعالم الشرقي ذو الديانات الوثنية الروحية لا يمكن أن يقوم بهذا الدور . لان الحضارة تقوم على العلم والتفكير الصحيح والتجرد من الخرافات والاوهام . والوثنية في حد ذاتها نقيض ذلك كله . ولان الروحانية التي يحتاج اليها العالم في حضارته المرتقبة هي الروحانية الايجابية البناءة التي تساهم في رقي الانسان واطراد تقدمه ، والروحانية الشرقية الوثنية هي روحانية سلبية تفر من الحياة ، وتنهزم من أداء الواجب وتعتبر رقي الانسان المادي رجسا يجب أن يتطهر منه وتشن الحرب عليه .

ستبكيك أوراق «الحضارة»

للاستاذ هاشم الايوبي

سرى النبأ المحموم كالليل داجيا فلف قلوبا كن قبل زواهيا
يمزقها هول المصاب فترتمي على مذبح الآلام صرعى دواميا
رمى سهمه قلب المعالي فأوجفت وضجت تنادي مصطفاها بواكيا
تناديك يا من كنت للمجد واحدا تعذر أن يلقى له المجد ثانيا
وكنت اذا يبنى الفساد مهدّما وكنت اذا ما هدّم الحق بانيا
تلوى يراعي واستفاضت دموعه فخط بأسراب الدموع القوافيا
وأطرق يرثي مستبدا به اللظى وما كان يدري قبل ذاك المراثيا
وكنت أنانيّا بشعري أبثه هواي وأشواقي وأشرح ذاتيا
فلما فجعنا وحد الخطب بيننا وصار شعور الآخرين شعوريا
اذا قلت آها ثق بأني نزعتها وأمليتها من كل قلب ورائيا
فموت أبي حسان أدمى قلوبنا وجرّح من لسع الدموع المآقيا
رمى القدر المشؤوم بالخطب برجنا فهدم صرحا كان بالامس عاليا
ولم تعلم الاقدار أن قلوبنا تظل كما كانت صخورا رواسيا
يثبتها الايمان والحق والهدى وتبقى على حمل الخطوب كما هيا
تصوغ من الارزاء عزما وقدرة وتخلق من غدر الزمان تفاديا
بكتك العلى والعلم والخلق والحجى وفاضت دموع المؤمنين سواقيا
ففي كل قطر من شعاعك جذوة تبدد بالنور المشع الدياجيا

وفي كل مصر من جنودك أمـة يصونون ما بين الضلوع المباديا

على دعوة الاسلام أنشأتهم وفي حماها تربـوا يعشقون التفانيـا

تجرعت من كأس الحيـاة أمرَّها ليشربها من بعـدك الكل هانيـا

شققت طريق المجد لم تخش دونه عبوس الليالي واقتحمت العواديا

تعبـت ولاقيت المشقـة والاذى وكفك من أشواكها صار داميـا

ولكن قلبا ملؤه الحق والهـدى يرى كل شيء ما عدا الحق فانيا

يظل اذا ما قطب الدهر باسمـا ويبقى اذا ما أظلم الجهل زاهيـا

رفعت لواء الحق فوق ربوعنـا فأحييت بالظل الندي الروابيـا

لقد جردوا للانحـلال سيـوفهم وجردت للاسلام سيفك ماضيـا

ستبكيك أوراق «الحضارة» عندما تعـاودها ذكرى يراعـك جاريا

فقـد كنت بحرا للمعـالم زاخرا تداعت اليـه المعرفات مجـاريا

وسوف يهز الشوق قلب مساجد بها كنت تأتم البرية هاديـا

بنيت مع البنا لنـا خير دعـوة ورصعتما تـاج الجهـاد دراريا

فحتى اذا تم البنـاء مضيتمـا وخليتمـانا كي نتم المعـاليا

ثق أننا نحمي الرسالة بالدمـا ونبقي لواء الحق في الارض عاليا

فضيف شهيد الحق مازال مـاثلا وصوت أبي حسان ما زال داويا

هاشم الايوبي

طرابلس ــ لبنان

ثائر . . في ذمة الخلود

بقلم : ابن عمان

لست أدري كيف استفيق من ذهولي . . كيف أمسك قلمي ، وكيف اكتب . . وماذا أكتب ؟؟ . أحقا قد رحلت عنا أيها المجاهد المؤمن ؟ ! . أحقا قد خسرناك ؟ وأي شيء أكتب ؟ . ان المصيبة قد أذهلتنا وأطاحت بوعينا ، ولكنه قضاء الله ، فلا حول ولا قوة الا بالله وانا لله وانا اليه راجعون . . .

وان كان لا بد من كلمة نقولها لضرورة المناسبة ، ووفاء للراحل الحبيب فلا أجد الا ان أقول : لقد خسرت الثورة العمانية نصيراً من أصدق أنصارها وليست الخسارة في السباعي قاصرة على القضية العمانية وحدها ، بل انها لخسارة كبيرة لكل قضية عربية واسلامية .

العربية والاسلامية . . ولم تكن كثرة الاعباء والمشاغل والمهمات الملقاة

العربية والاسلامية . . ولم تكن كثرة الاعباء والمشاغل والمهمات الملقاة
على عاتقه ـ الذي حمل من الاثقال ما تنوء بها الجبال الراسيات لتشغله عن اخوانه العرب والمسلمين مهما نأت بهم الديار وباعدت بينهم الاوطان لانه رحمه الله لم يكن يشعر بهذه الابعاد المادية بعد أن قاربت روح العقيدة بينه وبين اخوة العقيدة في كل مكان فتعانقت الارواح وتلاقت القلوب وتصافحت المشاعر في ظلال الاسلام الخالد وهذا ما جعله رحمه الله يتحسس بآلام اخوانه في كل مكان . . . ولقد كان هذا حاله منذ صغره وفتوته فلم يكن اهتمامه على مستوى وطنه الصغير وانما كان اهتمامه على مستوى الامة العربية والعالم الاسلامي الكبير ومصداق ذلك أنه اعتقل لاول مرة وهو دون السادسة عشرة من عمره من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية لتوزيعه منشورات ضد سياسة فرنسا في المغرب ! ! . .

وعندما قامت الثورة العمانية ـ أيدها الله ـ هب لمساعدتها بما يقدر عليه فكان أول ما عمله فتح باب مستقل للقضية العمانية في مجلته التي

نكتب هذه السطور فيها .. لقد فتح لنا صدره وصدر مجلته وقال لنا انكم أيها الاخوة العمانيون أخوة لنا والمجلة مجلتكم ، كما هي مجلة كل مسلم في كل مكان . وانها قد سخرت كل امكانياتها لخدمة قضايا الاسلام والحرية في كل مكان .. فاكتبوا ما شئتم من أجل بث الوعي واستثارة الحماس لقضيتنا العمانية .. اننا نشعر بأن القضية العمانية هي قضيتنا .. واننا كما وصفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .. بهذه الكلمات استقبلنا رحمه الله وبهذه الروح نفذ الى قلوبنا .. فلئن رحلت عنا أيها الاخ المجاهد فلقد خلفت من بعدك شبابا صدقوا ما عاهدوا الله عليه وانهم لماضون في الطريق الذي عبدته لهم وأنرته ... وانهم في كل مكان في دمشق وعمان وفي المغرب والمشرق من أقطار العالم الاسلامي يتوجهون الى الله سبحانه وتعالى بقلوب مفجوعة يسألونه أن يجزيك أيها الاستاذ المربي والقائد المجاهد أحسن الجزاء عما أديته لدينك وأمتك واوطانك من جهد وجهاد .. وسلام عليك في الأولين والآخرين .

أخ فقدناه

فجعنا في الشهر الماضي بوفاة أخ عزيز هو الاستاذ محمد صالح الزركان الذي انتقل الى الرفيق الاعلى عن عمر لا يتجاوز الثامنة والعشرين وكان رحمه الله يحمل اجازة كلية الشريعة من جامعة دمشق التي أوفدته الى مصر لتحضير دكتوراه في الفلسفة الاسلامية فاجتاز مرحلة الماجستير بتفوق ملحوظ هنأه عليه اساتذته وقطع شوطا كبيرا في اعداد رسالة (الدكتوراه) ولكن القدر لم يمهله فانتقل الى رحمة الله في يوم الجمعة ١٩٦٤/١١/٢٧ في دمشق تغمد الله روحه برحمته وعوض فيه بخير العوض وانا لله وانا اليه راجعون .

٢١٢

من وقائع الحضارة الإسلامية

أخلاقنا في الحروب ! .

● بعد ٩٠ سنة من المجازر الرهيبة التي ارتكبها الصليبيون مع أهل فلسطين عندما دخلوها ...! جاء صلاح الدين الايوبي وفتح بيت المقدس وانتصر على الصليبيين فكيف عاملهم ؟ وكيف فعل ؟ ! .

لقد كان فيها (في بيت المقدس) ما يزيد على مائة ألف عربي بذل لهم الامان على أنفسهم وأموالهم ، وسمح لهم بالخروج لقاء مبلغ قليل يدفعه المقتدرون منهم ، وأعطاهم مهلة للخروج أربعين يوما ، فجلى منها أربعة وثمانون الفا لحقوا باخوانهم في عكا وغيرها ، ثم اطلق كثيرا من الفقراء من غير فدية ، وأدى أخوه الملك العادل فدية عن ألفي رجل منهم . وعامل النساء معاملة لا تصدر عن أرقى ملك منتصر في العصر الحديث .

ولما أراد البطريرك الافرنجي ان يخرج ، سمح له بالخروج ومعه من أموال البيع والصخرة والاقصى والقيامة مالا يعلمه الا الله . واقترح بعض حاشية صلاح الدين عليه أن يأخذ ذلك المال العظيم ، فأجابه السلطان : « لا أغدر به » ولم يأخذ منه الا ما كان يأخذه من كل فرد .

ومما يزيد في روعة هذا العمل الانساني الذي عمله صلاح الدين في فتح بيت المقدس ، أنه أرسل مع جماهير الغربيين الذين نزحوا من القدس لينضموا الى اخوانهم من يحميهم ويوصلهم الى أماكن الصليبيين في صور وصيدا بأمان ، مع أنه لا يزال في حرب معهم ! فهل تستطيعون أن تضبطوا اعصابكم حين تسمعون مثل هذا ؟ واسمعوا بقية القصة ..

● ان قصة صلاح الدين مع الغربيين في الحروب الصليبية تشبه الاساطير . ولولا أن الغربيين أنفسهم لا يكاد ينتهي عجبهم من نبل هـذا البطل الخالد وسمو أخلاقه ، لكان هنالك مجال لاتهام مؤرخينا بالمبالغة ، والغربيون أنفسهم هم الذين يذكرون عن صلاح الدين أنه بلغـه مرض ريتشارد قلب الاسد ـ أكبر قواد الحملات الصليبية وأشجعهم ـ فأرسل اليه صلاح الدين طبيبه الخاص يحمل اليه العلاج والفواكه التي لا يمكن أن يحصل عليها ذلك القائد الصليبي . هذا والحرب بينهمـا مستعرة ، وجيشاهما في صراع ! ..

كما يذكرون أن امرأة غربية ألقت بنفسها على خيمة السلطان صلاح الدين تبكي وتولول وتشكو اليه أن اثنين من جنود جيشه خطفا لها ولدها، فبكى صلاح الدين ، وارسل من يفتش عن الولد حتى وجدوه وسلم اليها ، وارسلت بحراسة الجيش الى معسكرها آمنة مطمئنة .

من كتاب ((من روائع حضارتنا)) للدكتور السباعي ص١٠٨



أخلاقهم في حروبهم ! ! .

● حين وصل الصليبيون في الحملة الثانية الى معرة النعمان حاصروها حتى اضطر أهلها للاستسلام ، بعد أن أخذوا من رؤساء الحملة عهودا مؤكدة بالمحافظة على النفوس والاموال والاعراض . فما كادوا يدخلونها حتى ارتكبوا من الفظائع ما تشيب لهوله الولدان ، وقدر بعض المؤرخين الافرنج الذين كانوا في هذه الحملة عدد الذين قتلوهم بين رجال ونساء وأطفال بمائة ألف ! . ثم تابعوا سيرهم الى بيت المقدس ، وشددوا الحصار على أهلها ، ورأى أهلها أنهم مغلوبون لا محالة فطلبوا من قائد الحملة (طنكرو) الامان على أنفسهم وأموالهم . فأعطاهم رايته يرفعونها على المسجد الاقصى ويلجؤون اليه آمنين على كل شيء . ودخلوا المدينة بعد ذلك ، فيا لهول المجزرة ، ويالقسوة الاجرام ! . . .

لجأ سكان القدس الى الاقصى الذي رفعوا فوقه راية الامان ، حتى اذا امتلأ بمن فيه من شيوخ وأطفال ونساء ذبحوا ذبح النعاج ، فسالت الدماء في المعبد حتى ارتفعت الى ركبة الفارس . وطهرت المدينة بذبح كل من فيها تماما ، حتى كانت شوارعها تعج بالجماجم المحطمة والاذرع والارجل المقطعة والاجسام المشوهة . ويذكر مؤرخونا أن عدد الذين ذبحوا في داخل المسجد الاقصى فقط سبعين ألفا ! . منهم جماعة كبيرة من الائمة والعباد والزهاد فضلا عن النساء والاطفال . ولا ينكر مؤرخو الفرنج هذه الفظائع ، وكثير منهم يتحدثون عنها فخورين ! . .

● قصد بعض الفقراء الغربيين الذين تركوا القدس بعد فتحها الى انطاكية فأبى أميرها الصليبي أن يقبلهم ، فهاموا على وجوههم حتى آواهم المسلمون . وذهب فريق منهم الى طرابلس وهي تحت حكم اللاتين ، فطردوهم وأبوا قبولهم وسرقوا أمتعتهم التي منحهم أياها المسلمون ! .

● لقد استولى الاسبان على غرناطة « آخر مملكة للاسلام في الاندلس » بعد أن أعطوا المسلمين بضعا وستين عهدا باحترام ديانتهم ومساجدهم وأموالهم وأعراضهم ، ولكنهم لم يرعوا عهدا ، ولم يفوا بذمة ، ولم يعفوا عن سفك الدماء وازهاق الارواح وسلب الثروات ، فلم يكد يمضي على سقوط غرناطة اثنان وثلاثون سنة حتى أصدر البابا أمره عام ١٥٢٤ بتحويل جميع مساجد اسبانيا الى كنائس ! . ولم تمر بعد ذلك أربع سنوات أخرى حتى لم يبق في اسبانيا كلها مسلم واحد ! .

من كتاب « من روائع حضارتنا » للمرحوم الدكتور السباعي ص١٠٦و١١٢

وَدَاعًا أيُّهَا الأُسْتَاذُ القَائِدُ

للأستاذ هاني طائع

هوى طاهر الاثواب لم تبق روضة غداة ثوى الا اشتهت أنها قبر
عليك سلام الله وقفا فانني رأيت الكريم الحر ليس له عمر

يرحمك الله يا أستاذنا السباعي ! وعفوك عني اذا اعترفت لك بعجزي عن الكلام في رثائك ، مع أن الموضوع رحب واسع والمجال فسيح ، ولكن عبقريتك الشاملة جامعة لا تحد بوصف يضيق من سعتها .. فأعرني قليلا من بلاغتك ، ونزرا من حماستك ، وشيئا من ذلك السحر الحلال الذي كنت تنفذ به الى القلوب لأوفيك بعض حقك .

يا أبا حسان ! انك لم تخلق لتستريح ، ولم يطوك الموت لتنسى ، وانما كانت حياتك جهادا مستمرا في سبيل الامة وعقيدتها ، وستظل ذكراك شعلة تضيء للاجيال .. كلما جاء جيل على قدر من أقدار هذه الدعوة أدرك عظم الخسارة بفقدك ، ومدى الحاجة اليك ففي الليلة الظلماء يفتقد البدر . وغدا اذا أعوز شبابنا نموذج الجهاد والعلم والاخلاص ، أرشدهم الصادقون الى جدثك حيث يطوي التراب بقايا طيبة لا تتلاشى ذكراها في ضمير السنين بل هي تنبعث وتتجدد وتقرؤها الامة فخورة على بنيها ، فسلام عليك حيا ، وسلام عليك ميتا .

لقد صمد قلبك الكبير للاخطار التي انتابتك في مراحل حياتك ، ولم يجرؤ عليك ملك الموت ، ـ وتلك ارادة الله ـ فأخذ يجالد ذلك الجسم المرهق الذي لم تشفق عليه يوما ولم ترحمه :

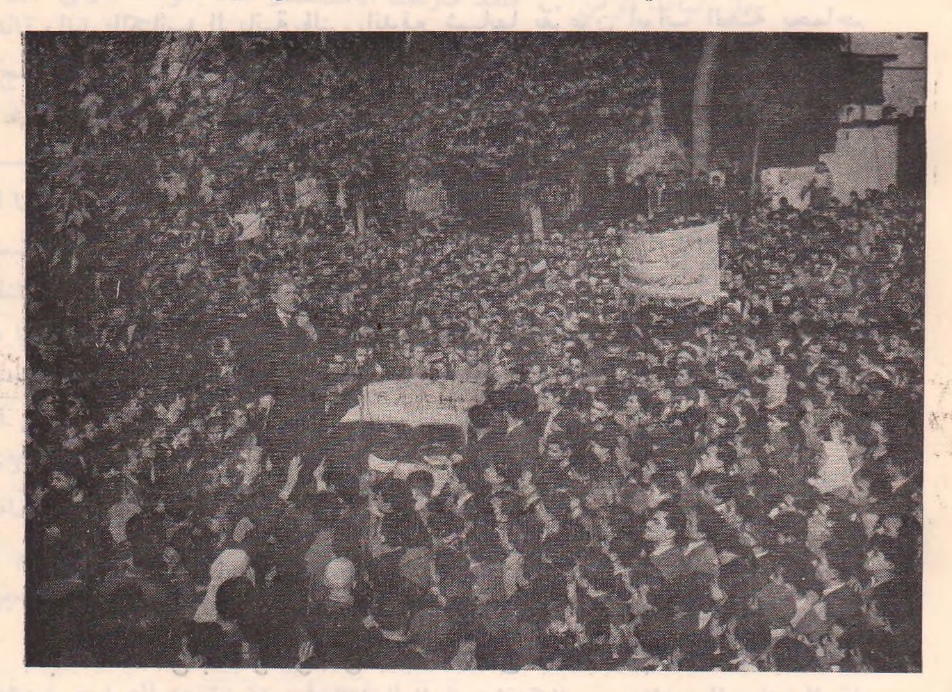
واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام

وحاول الايقاع بك مرارا فلم يقو عليك . ثم تمهل وتريث حتى عدت الى الوطن من رحلة الاشواق في ديار الاحبة ، فمال عليك بأمر الله ، وقضى على تلك الجذوة التي طالما كانت نورا للمتعبين أو اليائسين ... وما كنا نعرف أن عودك الاخير سيكون سلام مودع لا يطول بقاؤه . ولو نفذنا وراء

حجب الاقدار لفديناك بالمهج والاكباد ، لاننا كنا نأنس بقربك وتبش أنت للقائنا ، ولكن الاسى كان يعتصر قلوبنا كلها حينما كنا نرى مظاهر الالم ترعى كل موضع من جسمك العاني ، وأنت على ذلك :

طلق الجبين على ندي شمائــل كالفجر بــين أشعــة وغمــام

لقد غابت تلك الابتسامة ، وابتلعتها الهجرة الطويلة ، ثم أصعدتها الى الفضاء حيث تتبدد البسمات .. وذلك القلب الذي كان ينبض في صدر الامة بآلامها وآمالها سحقته يد القضاء ، والارادة التي كانت عزاء في ليل المشكلات تلاشت في قسوة الحقيقة كما يتلاشى الربيع في حرارة الصيف.



الاستاذ القائــد يخطب الجماهير في احدى المناسبات العامــة

انني لا أرغب هنا أن أتناول بالدرس مراحل حياتك أيها الفقيد العظيم ! لان هناك من يستطيع دراسة جوانبها المختلفة ليصنفها في موضعها من تاريخ الرجال ، ولكنني أنتقي مواقف ثلاثة كنموذج فذ لاسلوبك في الدعوة:

أولهــا ذلك النداء الصارخ الحار الذي واجهت به (المؤتمر الاسلامي المسيحي) حول المسألة الشيوعية ، ففي هذا الموقف رفعت صوت الاسلام العظيم حين يتحرر من فلك المصالح والاهداف المبيتة ، وينطلق كالقدر

المسدد لا تثنيه رغبة أو مطمع ، ولقد كان هذا الصوت انذارا للغرب للكف عن أساليبه المعوجة ونظراته العوراء ، التي تلوح بخطر الشيوعية وتراها باحدى عينيها ، بينما هي تغمض عينها الاخرى عن الاستعمار وعملائه وما يتبع ذلك من ظلم وفساد ... وبمثل صوتك المؤمن الخالص تفاخر الدعوة الاسلامية كل حين أنها كانت السباقة لكشف الاخطار والتنبيه اليها، ولذا فهي لم تلق الهدنة يوما من الاستعمار ، ولا هي أصلا ترغب في مثل هذه الهدنة .

وأما الموقف الثاني فهو تلبية داعي الجهاد في فلسطين الجريحة ، على رأس الكتائب الربانية التي اندفع شبابها يقرعون أبواب الجنة بجماجم اليهود ، فلقد هتفت يومها بصرختك المدوية في كل قرية ومدينة : (يا امهاتنا أعددن ألبسة النضال موشحة بالدماء، واتركن فيها مكانا للرصاص وشظايا القنابل) . وأهبت بهذه الامة أن تنبذ مواقف الاستخذاء والضعف وأن تطلب خشونة العيش في معركة الجهاد .. ثم اندفعت الى الارض المقدسة ومعك اخوانك فضربت المثل الحي كداعية وقائد ومجاهد على حين كان بعض تجار السياسة من خونة الحكام يساومون ويتاجرون بأرواح الشباب وأسلحة الجيوش . فكانت العبرة في موقفك أنك قرنت الدعوة بالعمل ولبيت فطرة أصيلة لا يتجدد شباب الامم الا بنفحاتها بله هذه الامة التي هتف فتاها الاول : نحن بنو الموت اذا الموت نزل .

والموقف الثالث هو ذلك الدرس الصامت الطويل الذي تابعت القاءه سبع سنوات مرهقات عجاف خلال مرضك الاخير ، فلقد علمتنا كيف يكون الصبر ، وأشعرتنا كيف يكون اتصال المؤمن بأنسام اليقين الذي يمسح على قلبه آلام قلبه ، وحينما كان يبرح بك الالم ، كنت تبدو كمن طاف به طائف من بشائر الرحمن فاستكان الى أنسه ونعم بأندائه ، ولما حيل بينك وبين ميادين جهادك انقلبت الى ميدان آخر من ميادين الجهاد ، لا يقل أجرا ولا أثرا عن ميادين السيف والبطولة الا وهو جهاد القلم ، لقد كنت تسكب من سواد هذا القلم نور المعاني فتصنع منها نجوما تتلألأ في دروب حالكات مظلمات ، وهكذا كان حتى أنك استقبلت ملك الموت وأنت تدافع عن منهج نبيك العظيم وسنته صلى الله عليه وسلم ، فاهنأ بكرم الوفادة وحسن الاستقبال حين تمر به وبصحبه ، وما نظنك تنسى أن تقرئهم السلام في عليين وأن تقول لهم لقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا . ثم تبثهم حديثا مكتما من شكوانا وآلامنا .

يا أستاذنا الراحل : لقد نعمنا معك كما نعم من قبل اخواننا شباب الرعيل الاول من أبناء هذه الدعوة بأيام خالدات ذقنا فيها حلاوة المجد كأنما نستروح نفحات الفاتحين الاولين ، وخضت بنا كذلك في ليال حالكات هي قدر الدعاة في كل حين . وكنت في الحالين كالجبل الذي تمر به الانسام فتنعش أزهاره ، أو تمر به الرياح فتجلو ما علق به ليبقى هو طودا شامخا يستعصي على العواصف .. ان تلك الجهود التي حفلت بها حياتك لا يقدر عليها الا أولو العزم من الرجال ، الذين يهيؤهم الله لدعوته على تباعد الزمن .. فلقد قارعت الاستعمار منذ فتوتك الاولى حين كان لداتك يبحثون عن لهوهم ، وتحملت الاذى من أعوانه شابا وقائدا فلم تنثن عن طريق الجهاد الوعر لان (الحفاظ المر) والمدافعة على منهج الحق طبيعة في نفسك العالية .. ثم طوفت في الآفاق تبحث وتنقب ، وتدعو وتشرح جوانب مضيئة من الاسلام الخالد ، وكنت في كل حال تستجيب وتصغي للمنصفين وتدافع الخصوم والمغرضين .. أما قلمك فلطالما انتفض بتلك الومضات السماوية التي أضاءت سبل الحرية ، ولطالما هبت منه نسمات الامل تروح عن صدور المظلومين والبائسين ، وتعيد الثقة الى النفوس اليائسة من عدالة أهل الارض .. لقد علمتنا الاسلام كما هو في حقيقته : ثورة مستمرة على الظلم والفساد والاستغلال ، وجهادا متواصلا يتيح للانسانية أن تستظل ظلال الهناءة والسلام .. أما لآخرون الذين فهموا الاسلام وسيلة للكسب ، وسبيلا للدعة ، ومركبا لتزلف الاقوياء ، أما هؤلاء الذين استمرأوا السكنى في بيوت الارانب ، والسير في نافقائها . فقد لفظهم ضمير الامة ، ولا تزال تتوضح كل يوم بعض ضلالاتهم لتأتي استفتاء متواصلا يشعر روحك في عليين أن الامة لا تنسى المجاهدين وأنها تتربص بالمنافقين .

ان الصبر على فقد عظماء الرجال أمر تضيق به الصدور ، وهو شيء لا يحتمل ، لان هذا الموت يلف بالاضافة الى الوجوه الحبيبة التي يطويها ، ما كانت تلك العظمة تضم في جوانحها من خلال وشيم فيحرم منها الامم ، وهذه القيم النادرة في أخلاق الرجال هي التي تشكل منعطفات نحو الافضل في التاريخ الانساني . وقد يلتقي منها في الرجل الفرد خصلة أو اثنتان ، ولكن ماذا يكون القول بمن كان طودا راسخا في العلم والخلق ، والرجولة والمروءة ، والبطولة والشجاعة ، والهمة والجهاد . والادب وسامي الفعال ؟ ! فوا أسفاه .. ووافجيعتاه على خصال لا تجتمع في شخص الا في الايام المتباعدات .

والاقدار التي من عادتها دوما ان تختبر ثبات الامم ، تطلق في وجـه هذه الامم الاعاصير لتميز الخبيث من الطيب ، وفي خلال هذا الاختبار تقتلع الزعازع والزوابع كثيرا من آثار الشعوب والرجال ، الا أن آثار الخالدين تبقى بعيدة عن أيدي الفناء ، لانها صنعت على عين الله ومن نماذج هـذه الصناعة الربانية رجل سيقال فيه غدا انه كان خبيرا بفن الدعوة وتنشئة الشباب ، وقيادة الجماهير .. فما أجدر الجيل الذي رباه السباعي بأن يبكيه رائدا وقائدا ومجددا .

يا فقيدنا الحبيب : لئن نزلت الفاجعة من نفوسنا هذا المنزل فانمـا يخفف من بلواها اليوم أن اليد التي ابتدرت الراية بعدك يد قوية مؤمنة ، ستدرج في طريق الجهاد على منوالك ، مسترشدة بأقوالك متوكلة على الله كما أنت توكلت ، لانه سبحانه الحي الذي لا يموت :

اذا مات منا سيد قام سيد قؤول لمـا قال الكرام فعـول

يا رب : انا من قوم اذا أصابتهم مصيبة قالوا : انا لله وانا اليه راجعون وانا من قوم يؤمنون أن الدار الباقية خير من الفانية وأن الابرار لفي عليين فيا رب بلل ببرد العزاء قلوب والدة وزوج وأسرة ، وقلوب أخوة وأحباب حزينين في كل أرض دخل عليها الليل وانتشر فيها مؤمنون .

ويا حفنـة من تراب دمشق المؤمنة ضمت فقيدنا العظيم ميتا هادئا : سقاك الله خير ما تسقى مواطن الابرار .

وأنت يا أبا حسان : اهنأ في مرقدك اليـوم ، لانك في مسرب من مسارب الخلد رضي الله عنك وأرضاك .

كيف تعيش في الحيـاة

لا تيأس ، فاليأس كفر برحمة الله ، ولا تغضب فالغضب قتل لفضائل النفس ، ولا تحقد ، فالحقد تشويه لجمال الحياة ، ولا تحزن فالحزن اتلاف لاعصاب الجسم والروح ، وتحمل من الهموم مالا يضنيك ، وما لا ينسيك سلطان الله في قضائه وقدره ، في تصاريف الزمان ، ولا تعش غير مبال بما يجري حولك فالمشاركة الوجدانية أنبل خصائص الانسان ، ولا تكن أنانيا ، فالايثار أجمل

مصطفى السباعي

في جوار الرّحمن يا أبا حسّان

إنّ خسارتنا فيك لا تعوّض

للأستاذ قاسم الشاعوري

أسفا عليك يا مصطفى .

أسفا عليك يا أبا حسان .

أسفا عليك يا من كنت ملء السمع والبصر ، وكنت أملا كبيرا للمسلمين وداعية عظيما للاسلام .

أسفا عليك وطنيا مخلصا مؤمنا ، وكاتبا موهوبا ، ومؤلفا نزيها ومفكرا حرا .

لقد حملت السلاح في سن مبكرة من حياتك القصيرة ، وقد أطلقت الرصاصة الاولى في وجه الفرنسيين عام ١٩٤٥ .

أسفا عليك مجاهدا في بطاح فلسطين وعلى مشارف القدس الشريف ، تقود اخوانك من الشباب المؤمن الى ساحات المجد ومكان الشرف وموضع البطولات .

يا أبا حسان !

لقد عرفتك فتى يافعا وقد كنا في جمعية واحدة جمعية « الدعوة الى الحق » وقد كنت من أخلصنا غاية ، واعلانا تربية ، وانبلنا مقصدا ، وأشدنا حماسة ، وأقوانا شكيمة .

وعرفتك عندما كنا في جمعية « الرابطة الدينية لشباب محمد صلى الله عليه وسلم » وقد كنت في مقدمة المتحمسين وفي طليعة الثائرين وفي قيادة المناضلين ، وقد وهبت نفسك وعقلك وفتوتك منذ ذلك التاريخ للدفاع عن بلادك والنضال في سبيل عقيدتك والكفاح في سبيل امتك .

لقد صعدت منبر الجامع الكبير في مدينتك حمص ولم تبلغ العشرين من العمر . حيث كنت تثير المشاعر وتلهب العواطف وتنير القلوب ، وذكر محمد صلى الله عليه وسلم على لسانك ، وأعمال أصحابه الكرام رضوان الله عليهم في خطبك واحاديثك .

عرفتك في فتوتك كاتبا في مجلة الفتح القاهرية تدافع عن الاسلام الى جانب امير البيان الامير شكيب أرسلان طيب الله ثراه ، والى جانب محب الدين الخطيب أمد الله في عمره .

ثم افترقنا وكل منا يعمل وفق ما يراه ويسير وفق منهاج .

لقد كنت اتحدث عنك منذ مدة ، فقلت الحمد لله الذي أبعدك عن السياسة ، لان السياسة لها مشاكلها ، ولها حزازاتها .

لقد كنت فيما مضى لجماعتك وحدها ، واذا بك تصبح لنا جميعا .

واذا بك تنصرف الى الكتابة والتأليف والى المحاضرات والتدريس ، والى غرس روح الفضيلة في شباب الامة وشاباتها واذا بك تعمل على اظهار معالم الاسلام والنهوض بالمسلمين الى المكان المرموق ، واذا بك علما من أعلام المسلمين ، ومنارا يهدي الى محاسن الاسلام .

فاصبحت للامة بكاملها وللحنيفية بروحها وتعاليمها ، وقد انصرفت بكل امكانياتك ومواهبك ومعلوماتك رغم عجزك الجسدي ، فاصدرت عددا ضخما من المؤلفات النافعة وقد كانت لحمتها التوجيه وسداها الارشاد .

ولقد زاد سرورنا جميعا بعد عودتك من الحجاز بتلك الرؤيا التي نقلوها اليك على لسان المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وقد انصرفت بعدها الى ذكر الله وقلنا انك فوق علمك وفوق ثقافتك وفوق مؤلفاتك فقد أصبحت من أهل الذكر .

ولقد رجونا الله جل جلاله ان يمد في عمرك وان يمتعك بكامل صحتك حتى ترى امتك موحدة ورسالة نبيك صلى الله عليه وسلم قد عمت الخافقين وسيطرت على العالم ، وعدالة الاسلام شملت الانسانية ، حيث كان عملك وجهادك وجهودك حتى ترى عزة الاسلام ، وكرامة الاسلام ، وتوحيد كلمة المسلمين للوقوف صفا واحدا في الدفاع عن الاسلام .

ولكنها ارادة الله سبحانه وتعالى ولا راد لارادة الله جل وعلا .

يا أبا حسان ، نم قرير العين مرتاح الضمير طاهر الوجدان في جوار رب رحيم كريم ترافق الارواح الطاهرة ، التي سبقتك الى دار الخلود ، متمتعة بعطف الخالق الكريم ورعايته وحنانه . غذاؤها التوحيد وعملها التسبيح والتهليل ، واذا كنت قد ازددت انصرافا للذكر في ايامك الاخيرة فانك قد اصبحت الآن من الذاكرين دائما وأبدا وثق يا أبا حسان ان مؤلفاتك ستنير الطريق امام الاجيال المؤمنة من الشباب الصاعد . والله وحده أسأل ان يرعى اولادك ويصون زوجك ويسكب على قلبها الصبر والسلوان وان يعوض اخوانك وابناء امتك خسارتهم فيك .

دَمْعَة على الرائدِ العَظيم

للأستاذ عبد الله الشيرازي الصبّاغ

أحقا قد هوى النجم الذي كان يهدي الركب الضال وينير سبيل السراة الحداة في الليالي الحالكات !

سيذكرني قومي اذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

أحقا قد سكت الصوت الداوي الذي يقرع الظالمين ، وينصح الحكام المنحرفين ، ويلهب الايمان ، ويستثير الحماسة ويدفع الشبه ويدحض الافتراء .. !

أحقا قد مات البطل الذي وقف في وجه أعتى الموجات الاستعمارية والتبشيرية في العصر الحديث ، فرد كيدها وكشف زيغها ، وكفكف شرتها ، وعرض الاسلام على الناس جميعا ــ عرضا صادقا أخاذا يستهوي القلوب ويخالط الشغاف ! .

أحقا ما يحمله النعي من النبأ الفاجع والمصاب الجلل !

ودر البريد بغير ما أملته تعس البريد وشاه وجه الحادي

منذ أيام فقط ضمنا مجلس ممتع في بيته لا أرضى لو أن لي به حديقة غناء .. ولعل من رموز القدر العجيبة أن معظم حديثه كان عن نشأته العلمية ودراسته في مصر والعقبات التي لقيها والطريق التي شقها لاول مرة أمام طلبة البعوث في العالم الاسلامي الوافدين على الازهر الشريف .. فكأنه أحب أن يربط بين بدايته ومنتهاه .. !

كان يتدفق في حديثه سهلا مرسلا كأنه الجدول .. لا تمله ولا تشعر بالساعات الطوال تنقضي بين يديه .. كان يذكر الله على كل حال ذكرا عظيما ، فتخشع نفسك وتسكن جوارحك وتطفر الدموع من عينيك على الرغم منك وكأنك في محراب للصلاة ، وتعيش معه مشاعره الروحية وحماسته الوجدانية واعتماده المطلق على الله وتسليمه اليه ورضاه بما قدره وقضاه .

كانت جبهته ترف بنضارة الايمان ونور الاسلام على الرغم مما يعاني من مرض عضال (والله جلت حكمته يبتلي أحب عباده اليه من صفوة رسله وأنبيائه ثم من على شاكلتهم من الامثل فالامثل ..) وكان شديد

الثقـة بالله ، عظيم الامل بالشفاء وقـد حزم حقائبه وتأهب للسفر الى مكة المكرمة ليدرس في كلياتها ، وليتنفس الصعداء في ذلك الجوالروحاني العبق فيسلو وينتعش ، وليكون على مقربة من زيارة الحبيب صلى الله عليه وسلم الذي طالما هتف باسمه وأخلص في طاعته وحفد في خدمته وخدمة دعوته الخالدة .. دعوة الله .

لقد عاش هذا الرجل الفذ كل لحظات عمره التي وعاها ـ لدينهودعوته مذ كان طالبا يافعا حتى قبضه الله اليه ـ يهز أعواد المنابر ويمس أوتار القلوب ، ويحيي موات الافئدة ، ويحارب البدع والخرافات التي رانت على العقول وانحدرت الينا من عصور الضعف والانحطاط ، ويشارك في حركة الاصلاح في مصر وخصوصا في الجامع الازهر ، ويحمل السلاح في وجه الفرنسيين مع اخوانه المناضلين لتحقيقالاستقلال وطردالاجنبي من سورية، ويقود كتائب الايمان على بطاح فلسطين ويضمخ ثراها بقطرات من دمه الزكي ..

لقد خاض معارك الاصلاح في كل ميدان .. وكان في كل معركـة منها فارسها المعلم وبطلها الذي لا يشق له غبار .. خاض معركة الاصلاح في ميدان السياسة وصحح ذلك المفهوم الخاطىء المستورد الهجين وهو : فصل الدين عن الدولة وعزل رجل الشريعة عن ميدان السياسة والاصلاح العام .. فشارك في الحياة النيابية في بلادنا وأبلى البلاء الحسن دفاعا عن عقيدة هذه الامة ومبادىء العدالة الاجتماعية التي جاءت بها الشريعة السمحة . وأبدى كفاءة منقطعة النظير في معالجة جميع القضايا الهامة استحق بها احترام زملائه من جميع الفئات .. واستطاع مع اخوة لـه في النضال ـ أن يسدد دفة السفينة وأن ينأى بها ما وسعه الجهد ـ عن مهب الاهواء والامة ما برحت على مفترق الطريق !

وخاض معركـة الاصلاح في الميدان الاجتماعي والاقتصادي : فأشاد بفضل المرأة ودافع عن نظام الاسرة المسلمة وجلى محاسنه ومزاياه .. كما راد الطريق للبحث والدراسة في التقنين والتطبيق للعدالة الاقتصاديـة والاجتماعية في الاسلام في كتابه « اشتراكية الاسلام » ومهما قيل في تسمية الكتاب أو في بعض مضامينه فسيظل الكتاب محاولة رائدة للباحثين والمهتمين بهذا الجانب من جوانب الاصلاح .. ولئن زل القلم في بعض المواطن فان مما يشفع له ـ يرحمه الله ـ صدق النية وعظيم الاخلاص ،

وقوة الرغبة في استجلاء هذا الجانب الحيوي من الفقه الاسلامي والرسالة الاسلامية رسالــة الحيــاة ! هذا الجانب الذي تآمر اعــداء الاســلام عــلى طيــه ودفنــه في زوايــا الاهمــال ــ حتى يخرجــوا جيــلا مزعزع الثقة بدينه وقدرته على حل جميع مشكلات الحياة .. وكل عالم ــ بالغا ما بلغ ــ عرضة للخطأ والصواب ، والذين لا يخطئون هم وحدهم الذين لا يعملون ، ومما يؤثر عن بعض الأئمة : « ما منا الا من رد ورد عليه الا صاحب هذا القبر » يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولقد تمخضت جهوده المباركة وجهود اخوانه ــ عن اقامــة الصرح الاسلامي الخالد وهو كلية الشريعة في الجامعة السورية وكان ــ رحمه الله ــ عميدها الاول بل ومؤسسـها ورائدها فأصفاها كل جهده وصفوة علمه وذوب تجربته فأنبتت نباتا حسنا وغدت دوحة باسقة تمتد ظلالهــا الوارفة على سورية والاردن ولبنان وكثير من الاقطار الاسلامية الاخرى ..

سيدي الاستاذ الحبيب لقد فقدناك ونحن أحوج ما نكون الى قلمك المشرع كأنه السنان والى لسانك الناطق المعبر كأنه لسان سحبان ، والى قلبك الكبير العامر بالايمان الفياض بالحنان ، والى ايمانك بالله الذي يتحدى اليأس ويهزم وساوس الشيطان : « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد » .

ولقد كنت في كل ما تكتب وتخطب وتنصب رجل العقيدة والدعــوة ربيب الاسلام وابنه البار .

لقد كانت لك دعوة مستجابة .. كنت وحدك على الطريق .. ومعك اخوان قليل يسيرون على الدرب الطويل تلقون العنت وتتحملون وحدكم المشاق .. فدعوت ربك ألا يميتك حتى ترى جيلا مؤمنا يملأ السمع والبصر ويحمل الرسالة ويؤدي الامانة بوعي وبسالة .. فلبى الله دعوتك وأجاب سؤالــك .. فكنت مدرسة فكرية وروحية جامعة تخرج فيهــا آلاف الشباب المؤمنين الذين تعج بهم المدن والأرياف .. والذين يقتفون خطــاك : خطى جهادك وثباتك ورباطة جأشك ، وصلابة ايمانك ..

لهف نفسي عليك أيها الحبيب الراحل ما الذي أعجلك عنا وأنت في

أوج الرجولة وانصهار التجربة ، وسعة المعرفة ؟ ! لقد ضقت ذرعا بعالمنا هذا عالم الزور والبهتان عالم الضلال والصغار ، عالم الجحود والكنود .. فكنت دائما طماحا تواقا الى عالم الملأ الاعلى عالم الحق والجلال الرفاف بالنور اللألاء بالضياء ..

لهف نفسي على أطفالك زغب الجناح لشد ما أثار شجوي تدليلك لهم وعطفك السابغ عليهم وتدللهم عليك وتمرغهم على أذيالك ويديك كأنك واياهم في موقف وداع لا تتحدث فيه الا العيون حديث الهوى والجوى وأتراح الفراق ..

ان أطفالك أيها الحبيب الراحل هم أطفال كل مسلم ومسلمة بل كل انسان في هذا البلد الذي أصفيته عصارة فكرك وزهرة شبابك ورونق رجولتك .. ولن يشعر أطفالك باليتم والعذاب وهناك قلب يخفق وضمير ينبض بالحب والوفاء ..

أيها الاستاذ الحبيب لقد جل خطبنا فيك وعز العزاء عنك فلتبكك المنابر ولتنح عليك قاعات كلية الشريعة والحقوق ، وليندبك الآلاف من طلابك المنشورين تحت كل نجم من عالمنا الاسلامي والذين يلهجون بذكرك ويعتزون بسيرتك وتراثك ..

ان الفجيعة فيك ليست فجيعة سورية وحدها بل هي فجيعة المسلمين في جميع أقطار العالم الاسلامي ، لانك عشت لهذا الوطن الاكبر كله آماله وآلامه وجراحه .. فلا غرو أن يبكيك المسلمون في المشارق والمغارب وأن يستمطروا عليك شآبيب الرحمة والرضوان من الله سبحانه الكريم المنـان .

رحمك الله رحمة واسعة ـ يا أستاذنا أبا حسان ـ طبت حيا وميتا ، وسلام عليك في الخالدين وألحقنا الله بك في الصالحين مع الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اللهم آمين .



لم تقتصر الاصداء الحزينة التي تركتها المصيبة بفقيد الاسلام العظيم الدكتور مصطفى السباعي على اخوانه ومحبيه الكثر في وطنه الصغير ، وانما امتدت هذه الاصداء لتشمل الوطن العربي الكبير ، والوطن الاسلامي الاكبر، وقد عبرت الصحافة الصادرة بعد الفاجعة عن وقع هذه الكارثة ، ونعاه اكثرها بكلمات مؤثرة تبين جهاده ومراحل حياته ، وتصور مصاب المسلمين بفقده . ولا يزال بريدنا يتوالى بكثير مما كتب في هذا المجال . ولا بدع في ذلك ، فلقد كان الدكتور السباعي رحمه الله صوت الامة في آلامها وآمالها، وكانت جهوده الرائعة تسعى لخير المسلمين في أصقاع الارض ، كما كان جهاده وعلمه واخلاصه واضحا ومعروفا لدى كل من تتبع آثار العاملين في سبيل الاسلام خلال سني المخاض من هذا القرن وأثناء مواجهة التحديات المختلفة التي جابه بها القرن الحالي عقائد المسلمين وأوضاعهم .

ونعرض فيما يلي بعض ما وصل الينا مما كتبته الصحف والمجلات العربية والاسلامية في رثاء الفقيد الحبيب ، آملين أن يتيح لنا المجال في مرات قادمة نشر غيرها :

وفاة الدكتور مصطفى السباعي

نعت صحيفة « الجزيرة » السعودية الفقيد الكريم بالكلمة التالية وذلك في عددها الخامس عشر :

ننعى ـ بحرارة وأسى ـ الى العالم الاسلامي قطبا من أقطابه ودعامة من دعائمه هو الدكتور مصطفى السباعي المجاهد الاسلامي الشهير والخطيب المفوه والداعية الكبير . .

تغمده الله برحمته ورزق المسلمين فيه الخلف .

والموت نقاد على كفه   جواهر يختار منها الجياد

يـا أبا حسّان..

نشرت مجلة المجتمع التي تصدر في لبنان في عددها الخامس من سنتها الرابعة الكلمة المؤثرة التالية في رثاء الفقيد بقلم الاستاذ : ع . ع .

يا أبا حسان

اذا ما دعوت الصبر بعدك والبكا اجاب البكـا طوعا ولم يجب الصبر

واني لنا بالصبر من بعدك يا مصطفى !

ابى الصبر آيات أراها وانني أرى كل حبـل بعد حبلك أقطعـا

وانني متى ما أدع باسمك لا تجب وكنت جديرا أن تجيب وتسمعـا

لم أصدق أذني ــ يا أبا حسان ــ عندما سمعت النبأ المزلزل ، لم أصدق انك تركتنا في اول طريقنا الصعب .

لم اصدق اننا فقدناك ، وانني لن اراك كما تعودت ان أراك ، ولن أفزع اليك بعد اليوم بالامال والآلام ، والافراح والاتراح ، ولن اسألك الرأي فيما يعرض من الامور .

لم أصدق يا أخي الكبير ، ويا صديقي الصدوق ، ويا استاذي الصابر المحتسب ، أن واحة القلب والفكر في لحظة قد صوحت واقفرت ، وان دنيانا قد خلت من مصطفى السباعي .

المصاب بك يا أبا حسان يشل العقول .

المصاب بك يعز عليه الصبر ويصعب عنه العوض .

ان اخوانك في حاجة اليك ، وان دعوتك في حاجة اليك ، وان اللواء الذي رفعته عنك كان ينتظر شفاءك ليعود الى يمينك القوية من جديد . .

ولقد مضيت عنا أرجى ما تكون لنا . .

مضيت وانت في ذروة النضج وفي أوج العطاء .

لم تكن حياتك بيننا طويلة يا ابن التاسعة والاربعين .

ولكنها كانت مليئة ، جليلة ، خالدة الاثار ، لا تزول صورتها من القلوب وكنت فيها رجلا ، وكنت فيها بطلا . وقد عز الرجال والابطال . . .

وكنت طاقة ضخمة لا تنفد ، وارادة صارمة لا تفل ، وشعلة من الايمان والحماسة لا تنطفيء ، وكنزا من المواهب الغاليات النادرات .

الحق والقوة والحرية ، وأعلنت بالاسلام دينا ودولة ، تحارب من أجله الالحاد والملحدين ، والفساد والمفسدين ، واتباع الشرق والغرب ، وتصل بحقائقه القلوب ، وتجمع على مبادئه الصفوف ، وتزكي به النفوس ، وتحرر العقول ، وتصلح المجتمع ، وتكون به الجيل الجديد العتيد ، الجيل المخلص المجاهد ، الجيل الواعي البطل الذي تنعقد به الامال . .

الجيل الذي يستطيع ان يحمل الرسالة ، ويؤدي الامانة .

الجيل الذي يستطيع أن ينقذ نفسه وينقذ أمته ، وينقذ بعد ذلك الدنيا

الجيل الذي يستطيع ان يقيم الحياة الاسلامية والحكم الاسلامي في هذا العصر .

وناهضت الاستعمار والمستعمرين من نعومة الاظفار .

وناضلت الاستبداد والمستبدين في مختلف الادوار .

ودخلت المعتقلات والسجون على أيدي هؤلاء وهؤلاء ، فلم تخضد لك شوكة ، ولم تلن لك قناة ، ولم تزدد على الشدة الا شدة ، وعلى الضغط الا ثورة ، وعلى التهديد والوعيد الا ثباتا واصرارا واستمرارا في الكفاح .

وجاهدت بالحديد والنار فكنت قائد كتائب « الاخوان » في معارك فلسطين .

وجاهدت بالقلم واللسان فكنت العالم وكنت الكاتب ، وكنت الشاعر ، وكنت الخطيب المصقع ، والمحدث الساحر ، وكنت — يا أخي — وكنت مما اذكر الساعة ولا اذكره . وما اروع انتصارك الذي توجت به الحياة عندما قيدك الشلل ، وتكالب عليك لا يفلتك الالم ، وقال الاعداء : انتهى السباعي !

لقد حملت المرض والالم بعد ذلك سبع سنوات طوالا ، وانتصرت عليهما بايمانك ورجولتك وارادتك أعظم انتصار ، وتابعت جهادك العلمي والفكري ، فكانت هذه السنوات السبع ملحمة حية من ملاحم البطولة والكفاح النبيل ، وكنت منها أكثر ما تكون خصبا ، وابرك ما تكون انتاجا ، وأوفر ما تكون اشعاعا .

وغادرتنا — ياأباحسان — في لبنان وانت تتوجه الى دمشق لتنطلق منها الى جوار بيت الله في مكة حيث وجدت انس روحك وراحة جسمك ؛ وحيث تتابع رسالتك استاذا ومربيا في كلية الشريعة والتربية هناك ، وتتم كتابك في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولكن الحكيم الرحيم الذي اخلصت له نفسك ، واشتقت الى جواره وقربه ، كان قد ردك الى البلد الذي احبك وأجلك : دمشق ، ليختارك

اليه من هناك ، وانت بين الاهل والاحباب ، فوافاك الاجل المكتوب قائماً على الثغرة التي اخترت من ثغر الاسلام ، وفي يدك كتابك الجليل «السنة» تعيد فيه النظر لتدفع به الى الطبع .

لقد زحف الشعب المؤمن الى بيتك على غير موعد ، يحوطك بالضلوع، ويسكب عند نعشك الدموع ، ويحمل بك على راحات الايدي الى جنة الخلد . القائد المؤمن ، والعالم العامل المجاهد ، والاستاذ المربي الفذ ، والرجل الذي قل ان يأتي بمثله الزمان .

هيهات ان يأتي الزمان بمثله ان الزمان بمثله لبخيل

ولقد عز علي والله — يا أبا حسان — الا أتزود منك بنظرة للفراق ، وألا اشيعك مع أهلك من المنزل ، والا اضع كفي أو كتفي تحت نعشك الحبيب ، والا اسير مع اخواني في موكبك المهيب الى دار الخلود ، والا انفس عن صدري وأؤدي حق الدعوة علي بكلمة وداع .

ولقد عز علي والله — يا أبا حسان — الا تراني عينيك في هذا اليوم بجانب حسان ، والا أشد على يده الصغيرة ليشعر ويفهم انهم لم يبقوا وحدهم ، وان أباهم العظيم قد ترك لهم اخوة لا يحصرهم العد . والا يراني اخواني بينهم ، اقاسمهم ويقاسمونني هول المصاب ، وافزع اليهم ويفزعون الي باللوعة والدموع .

وبعد . فيا ابناء السباعي ، ويا أهلْ السباعي ، ويا اخوة العقيدة في الشام ، ان آلامكم في قلبي ، وان دموعكم في عيني ، وان دعاءكم على لساني ..

اللهم ارحم استاذنا السباعي .

اللهم انه وديعتنا عندك .

اللهم انه قد جاهد فيك حق الجهاد ، وصبر على ابتلائك اكرم الصبر، ورضي بقضائك وقدرك دون اعتراض .

اللهم انه قد قطع كل حبل الا حبلك ، وكل امل الا الامل فيك ..

عاش حياته لك ، ومات راجيا ثوابك ، وكانت كلمته الاخيرة في الدنيا : يا رب .

اللهم يا رب ، فاحسن قبوله وحقق رجاءه وامله .

اللهم اغفر له وارحمه ، وأكرم نزله ، وادخله الجنة .

اللهم اكتبه عندك من المحسنين ، وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه الغابرين ، واجزه عن الاسلام والمسلمين كل خير .

اللهم لا تحرمنا اجره ، ولا تفتنا بعده ، وانا لله وانا اليه راجعون .

خسارة فادحة في رجل فقدناه

وكتب الاستاذ الكبير أبو الحسن الندوي الكلمة التالية في مجلة « المسلمون » ينعي فيها الدكتور السباعي الى العالم الاسلامي من « جنيف » . .

« مات مصطفى السباعي ! » بهذه الكلمات فوجئنا أمس أثر احدى جلسات مجلس ادارة المركز الاسلامي في جنيف .

ما أسهل النطق بهذه الكلمات القصيرة البسيطة التي يمكن أن تقال عن كل حي ، وعن كل عظيم ، وعن كل خالد ـ بأعماله ومآثره وآثاره ـ حتى عن الرسل والانبياء الذين كتب الله عليهم الموت وقدر لهم الاجال ، فقال عن سيدهم وخاتمهم صلى الله عليه وسلم : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » وقال : « كل نفس ذائقة الموت أفان مت فهم الخالدون » .

ولكن هل درى الناعي وهل شعر الناس بما وراء هذا الحادث من معان وتأثير في المجتمع الاسلامي ، وفي آفاق العلم ، والدعوة والجهاد ؟

وهل شعر الجميع بمقدار خسارة الامة ورزيئة الدعوة ، ونكبة العلم . وعظيم مصاب المسلمين في هذا الحادث « البسيط » الذي ذكرته الصحف وحملته الانباء الى الآفاق في مثل هذه الكلمات السهلة القصار .

هل عرفوا ماذا حرمه المسلمون وماذا فقدوه في شخص هذا الرجل الذي توارى في التراب ؟

انه اخلاص ووفاء للعقيدة لا تعرفهما السياسة المتقلبة ولا يعرفهما الزعماء « المحترفون » . . . ومع الاسف ، ولا كثير من أهل العلم في هذا الزمان .

انه ثبات واستقامة وجهاد طويل متواصل في مجالات مختلفة : من معركة فلسطين الى البرلمان السوري ، الى مكتب المراقب العام ، الى محيط التاليف والكتابة والصحافة ، الى منصة الخطابة والدعوة ، الى كرسي تدريس الفقه الاسلامي في جامعة دمشق ، الى فكرة تأسيس كلية الشريعة في الجامعة السورية ، الى معركة الانتخابات ، الى مناقشة المستشرقين الملحدين ، الى تربية الشباب وتوجيههم . . . جهاد لم ينقطع يوما واستمر الى آخر يوم من أيام حياته .

انه علم جم وعقيدة راسخة . فقلما يوجد في قادتنا من يستطيع أن يؤلف مثل كتب « السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي » ومن يفصل مثل كتاب « شرح قانون الاحوال الشخصية » و « المرأة بين الفقه والقانون » . .

انه اطلاع واسع وبصر نافذ ، وقلم مترسل ، وادب رفيع ، وأسلوب مطبوع . وهذه الافتتاحيات العامرة الكثيرة التي كان يحلي بها صدر مجلة « حضارة الاسلام » فيجد فيها القارىء غذاء الفكرة والايمان .

انه انموذج العالم الديني والداعية الاسلامي في هذا العصر المتعقد القلق الذي أصبح لا يتحمل ولا يطيق جفاف الفقه وخشونة الدعوة وجمود الثقافة وضيق الافق والاسلوب القديم الخشيب ، ولا يخضع له .

انه عالم ديني درس على النمط القديم في الازهر وفي حلقات العلماء والاساتذة الراسخين ، وأخذ خير ما عندهم من القديم الاصيل . وعرف الجديد . وزار أوربا « العالم الجديد » ودرس مناهج التعليم والنظم الاجتماعية والسياسية فيها ، واتصل حبله وعرف بمربي الجيل الاسلامي الجديد في الشرق العربي وامام الدعوة الاسلامية فيه الامام الشهيد حسن البنا ، وقاد الاخوان المسلمين في بلد اسلامي كبير كسورية ، واكتوى بنار السياسة ، وقاد الكتيبة المؤمنة المجاهدة الى فلسطين . وساهم في وضع الدستور السوري ومثل حزبا وفكرة في البرلمان ، ودرس ، وكتب وألف ، وباشر الادارة والتنظيم ، واسهم في نشاطات شتى في العالم الاسلامي ، وكان خطيبا مصقعا في الطليعة من خطباء العالم العربي .

وكان في كل ذلك مؤمنا صاحب دعوة ، ومبدأ وغاية ، مخلصا محتسبا، موضع ثقة وتقدير بلده وفي غير بلده ، وقليل من معاصريه من يجمع بين هذه الفضائل والمواقف المتنوعة في خدمة الاسلام والمسلمين ، ثم لم يمنعه مرضه المضني المرهق من أن يواصل جهاده ويستمر في كفاحه ، من تدريس وكتابة ودعوة ، فكان أكبر دليل على قوة ايمانه واخلاصه ، وعلى أن الدعوة قد ملكته وتغلغلت في احشائه .

فتح في مجلته « حضارة الاسلام » القراء باب « رجل فقدناه » يتناوله كاتب اسلامي كل شهر ، وينعي فيه عظيما من عظماء المسلمين ، وقد قدر لكاتب السطور أن يسهم فيه ويكتب عن شخصيات اسلامية راحلة .

وقد آن للمسلمين جميعا في كل بلد اسلامي أن يعرفوا فضل هذا الراحل الجديد ، ويذكروا مآثره الكثيرة ، ويشعروا بخسارتهم الفادحة فيه ويدعوا له بأعماق القلب فهو رجل قد فقدناه جميعا . ففي ذمة الله أيها الراحل العزيز .

وفي جوار الله وفي اعطاف رحمته أيها المجاهد الكريم . وأحسن الله عزاءك وجبر كسرك أيتها الامة المنكوبة ، وعزاء يا اسرة الفقيد الحبيب المفجوعة من أولاد وأقارب وتلاميذ .

هذه كلمات عابرة سريعة يكتبها الكاتب المغترب والقلب جريح والفكر مشغول ، انها بعض الوفاء لجانب من الامانة العزيزة المقدسة وانه ليعز على المحب الصديق أن يودعها الاوراق ويتخلى عنها ... انها باقية مع العمر خالدة في الذاكرة والشعور .

الدكتور السباعي مع الخالدين

ونشرت مجلة الاذاعة الليبية كلمة بهذا العنوان بقلم الاستاذ محمود الناكوع نقتطف منها ما يلي :

.. والدكتور مصطفى السباعي الباحث المفكر ، والداعية الملهم ،والمربي الموفق ، قد وافاه الاجل في فترة أحس بها الاصدقاء والاحباب ، وكل من له به صلة ، احساس الالم والدموع والاسى ، ولقد تساقطت الدموع لا في سورية وحدها حيث أرض المرحوم السباعي ولا في لبنان وحدها حيث الاصدقاء والاخوان ، ولا في مصر وحدها حيث الذكريات ، ولا في أرض النبوة حيث كان من المقرر أن يسافر الى تدريس الشريعة الاسلامية بجامعة السعودية ، ان الفاجعة لم تنزل هناك فقط ولكنها نزلت في كل قطر من أقطار الاسلام ، فالدكتور السباعي لم يكن لسورية وحدها أو للعرب وحدهم بل كان لكل المسلمين ولكل الناس ، ومؤلفاته العديدة ، ومجلته حضارة الاسلام ، وجهاده في فلسطين ، ورحلاته الى مختلف الجهات ، وخطبه وارشاداته كل هذه لا يمكن أن تنساها عين رأت السباعي أو أذن سمعته أو لسان قرأ له ...

لقد عاش السباعي حياة كلها كفاح ، ومضاء وصبر . فقد عرفه الفرنسيون شابا لا يعرف الجبن ولا الصمت عن فضح أساليب المستعمر

فسجنوه سنة ١٩٣١ بتهمة توزيع نشرات سرية وسجن سنة ١٩٣٢ لالقائه خطبة الجمعة في جامع حمص الكبير ، وفي عام ١٩٤٠ سجن مرة أخرى وبقي في السجن سنتين ونصف .. واذا كان الناس قد ينسون مواقف الابطال ، وصولات المكافحين الابرار ، واذا كانت الجماهير قد تغفل عن حرارة العنت الذي يلاقيه صاحب الفكرة خاصة في هذا العصر الذي قلت فيه مواقف الانصاف وشهادة الشجعان .. اذا حدث كل ذلك فان الدكتور مصطفى السباعي لن ينسى لسببين اثنين :

السبب الاول هو أنه ترك جيلا كاملا قد رباه على يديه ، وما زال هذا الجيل يهتف له من الاعماق ، وما زال يعاهده بأنه سيواكب السير ، فهم تلامذته الابرار وهم من الذين يردون على مجالسه ودروسه وندواته ، وقد غذاهم غذاء الفكر ، فكيف ينسونه الآن وقد تركهم كبارا في عقولهم وأفكارهم .

والسبب الثاني الذي سيخلد هذا الانسان هو الثروة الضخمة من الانتاج الفكري التي تركها ، فهي ستمجده وستفتح الطريق أمام الاجيال الصاعدة كي تعرف دورها الانساني والحضاري ومن أهم هذه الكتب : السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، المرأة بين الفقه والقانون، اشتراكية الاسلام ، اخلاقنا الاجتماعية ، الدين والدولة في الاسلام وغيرها من الكتب القيمة في التاريخ والتشريع والادب وأخيرا رحم الله السباعي وأسكنه جنة الخلود .

الرزء يعظم بقدر الرجال

ونشرت الصحيفة نفسها « الجزيرة » في عددها التاسع عشر الكلمة التالية عن الراحل الحبيب الاستاذ متّاع قطان وبعنوان « مصطفى السباعي الذي افتقدناه » .

يتناسل الناس وتتوالد البشرية في كل برهة من الزمن على ظهر المعمورة بما لا يعد ولا يحصى ، وتتوالد اجيال الخليقة متتابعة يعقب بعضها بعضا بانتهاء الاجل المحتوم ، فتحضن يد المنية ذاك ويستقبل وجه الحياة هذا ، وهكذا دواليك . واذا كانت الحياة الانسانية تعمر بالمثل العليا والعبقرية الفذة فقلما يجود الله عليها بالشخصية الموهوبة التي تمنح الحياة

هبة الله لها في الفضيلة والمعرفة والرأي والتوجيه امتدادا لميراث النبـوة بعد أن أكمل الله الدين وأتم النعمة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم . ومثل هذه الشخصية ـ على ندرتها ـ يخصها الله بفورات روحية وفكرية تسد عوز المجتمع في فترات الخمول والضعف ، فتحيي موات القلوب . وتكشف حقائق الدين ، وتجلـو موازين الحيـاة ، وتثير كامن العزائم حتى تقيل المجتمع من عثرته . وتنفض عنه غبار النوم والوهن ، وتبعث في نفسه بوارق الامل ، وترسي له قواعد نهضته ، وتنير له الطريق الى الله ، وتهديه الى السبيل الاقوم ، وتأخذ بيده الى عز الدنيا وسعـادة الآخرة وأحسب الدكتور مصطفى السباعي الذي اخترمته المنية أمس ـ والله حسيبه ولا أزكي على الله أحدا ـ من هؤلاء النفر الذين لم يخرجوا عن بشريتهم في الخطأ والصواب اجتهادا منهم ، ولكنه كان عالما ثبتا ، وداعية ملهما ، وخطيبا مصقعا ، وقائدا محنكا ، ورجلا ألمعيا شجاعا .

التقيت به أول مرة في القاهرة عام ١٩٤٨ حـين امتحنت الدعـوة الاسلامية في عهد فاروق ونزل برجالها ما نزل من عسف وتعذيب وسجن وقتل وتشريد حيث كان الفقيد ـ تغمده الله برحمته ـ في آخر مرحلته الدراسية يقدم رسالته للحصول على الشهادة العالمية بدرجة استاذ ، وكان يسكن مع زملاء لي في كلية أصول الدين من سورية ، وقد طلب مني أستاذنا الامام الشهيد حسن البنا المرشد العام للاخوان المسلمين أن اتصل به ليلتقي مع الشهيد في دار الشبان المسلمين ضحى يوم معين ، فذهبت اليه مبكرا ، ووجدته مع اخوانه على مائدة « الفطور » وبعد أن سلمت رد التحية وابتسم قائلا : « تفضل ، أكل شامي أنتم يا مصريون تكثرون في الفطور من الفول ونحن نكثر من الالبان » ثم اخبرته بطلب المرشد العام وموعد لقائه ، وتحدث معي في الكارثة ، وعرض الحلول ، فلمحت فيه بريق الذكاء ، ودقة الملاحظة ، وبعد النظر ، وشدة الحذر ، وخفة الروح ، ولطف الدعابة ، وتفاهم عما يجب ـ وهو المراقب العام للاخوان المسلمين في سورية ـ ازاء العمل للدعوة في بلده ، واستشهد الاستاذ البناء بسلاح الغدر بعد هذا اللقـاء بيومين .

وزار مصر بعد ذلك باربع سنوات وقد فك الله جماعة الاخوان من أسر الظلم عام ١٩٥٢ استجماما لاستقبال ما هو أشد . وتجول في الاقـاليم لالقاء بعض المحاضرات فصحبته في زيارة اقليمي . واستمعت اليه خطيبا

ومحاضرا ومحدثا فاذا به يأسر القلوب بسحر بيانه ، ويثيرها بوهج عاطفته يتحدث الساعة تلو الساعة فلا يتلعثم له لسان ، ولا يستعصي عليه تعبير ، ولا يفوته ابتكار المعنى ، ولا جودة السبك ، ولا براعة المنطق .

وتولى عمادة كلية الشريعة بدمشق ، ورسم منهجها المتكامل الحي ، وزار مع بعثة علمية من الطلاب والاساتذة المملكة العربية السعودية عام ١٣٧٥ هـ وحظيت الاحساء بزيارته ، وكنت آنذاك مدرسا بمعهد الاحساء العلمي ، فما كاد يصل الى الامارة وينزل في ضيافتها حتى أرسل في طلبي، ودعاه فضيلة الاستاذ عبد الله بن خميس مدير المعهد يومئذ ، فتلقيناه مع رفاقه بما هو أهل له ، وتحدث الى الطلاب في المعهد وفي المدرسة الثانوية وأجاب عن أسئلتهم ففتح للنشيء الجديد أبواب المستقبل المشرق لاعادة مجد الاسلام ، واقامة دولته ، وتحكيم شريعته .

ثم زرت دمشق بعد ذلك والتقيت به وباخوانه فوجدته ملء السمع والبصر ، يقود الحركة الاسلامية في الشام بعزم حديدي وقدم ثابت .

أحيا مشروع موسوعة الفقه الاسلامي وبذل جهده فيه فأحيا بذلك أمنية عذبة تجمع شتات أقوال الفقهاء في سفر واحد يكفي الدارس مئونة البحث ويوفر عليه جهد التفتيش في المراجع .

وأصيب الاستاذ السباعي بالفالج فلم يستسلم للمرض ، بل ظل يشهر وميض فكره في وجه كل مشكلة بالدرس والكتابة والتأليف ، وأنشأ مجلة « حضارة الاسلام » واضطلع بأعبائها فكان يراعه في الكتابة أبدع من لسانه في الخطابة ، واحتلت الحضارة مكان الصدارة في مجلات العالم الاسلامي موضوعا وأسلوبا .

استطب في أوربا حتى أعياه الطب البشري وحج هذا العام مستشفيا في رحاب حرم الله ، فوجد في ابتهاله وذكره ودعائه ربه ما أشرقت له نفسه ، وخفف أوجاعه وسقمه ، حتى رغب في البقاء ببلد الله الآمن والتدريس بكلية الشريعة في مكة .

ومات حين كان يتأهب لذلك بنيته .

وكان ـ رحمه الله ـ ذا مروءة نادرة يحمل جسمه المنهك مالا قبل له به ، علم بحادث اصابتي في الايام القريبة الماضية ، فدلف الى المستشفى

في « بيروت » ونظرت الى باب غرفتي فاذا به يدخل متكئا على عصاه في خلق المسلم ومروءته ، فلم اتمالك نفسي على فراشي وأعلنت له ألمي لما في ذلك من ارهاق له ومشقة ، فأجابني بأن هذا اداء واجب .

وعادني مرة أخرى مودعا قبيل عودته الى الشام وجلس يواسيني وأنا أقوى صحة منه ، ولم تمض سوى أيام معدودة حتى حملت الينا أمواج الاثير نعيه .

وبعـــد :

فلئن كان «مصطفى السباعي» قد مات فانه بآثاره في الدعوة الاسلامية ومواصلة الكفاح لها حي لدى عارفيه ، ولئن كان الرزء يعظم بقدر الرجال فهو الرجل الذي افتقدناه ، وانا لله وانا اليه راجعون .

الدكتور مصطفى السباعي في ذمة الله

ونشرت صحيفة « الرائد » ومجلة « البعث الاسلامي » الهنديتان الكلمة التالية :

نعت الينا جريدة « كوهستان » الباكستانية وفاة الداعية الكبير وأحد أقطاب الاخوان المسلمين في العالم العربي الدكتور مصطفى السباعي . وبوفاته فقد العالم الاسلامي ابنا له بارا جريئا مكافحا عظيما ، وهي خسارة فادحة كبيرة للاسلام والمسلمين لا تعوض .

واننا اذ ننعاه الى القراء الكرام نعرب عن حزن بالغ أليم تكاد تتفتت له القلوب وتدمع له العيون . ونرجو القراء الاعزاء أن يتضرعوا الى الله تبارك لان يغفره ويدخله فسيح جناته .

كان فضيلته مراقبا عاما للاخوان المسلمين في بلاد الشام ورئيس المكتب التنفيذي للاخوان المسلمين في بلاد العرب .

وكان استنادا لقانون الاحوال الشخصية في كلية الحقوق بجامعة دمشق وعميـدا لكليـة الشريعة فيهـا ، ثم استاذا ورئيسا للفقـه الاسلامي ومذاهبه في الجامعة نفسها .

وكان يصدر مجلة اسلامية جامعة « حضارة الاسلام » يزف بها شهريا الى العالم الاسلامي بمقالات قيمة ممتعة وكلمات نافعة مفيدة .

كانت له مواقف حميدة في حقول الدعوة الاسلامية في سورية وبلاد الاسلام كما كانت له مكانة مرموقة سامية في مجالات العلم والبحث .

نرجو الله تعالى أن يجزيه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .

رجل فقدناه

الدكتور مصطفى السباعي في ذمة الله

ونشرت صحيفة « الجزيرة » السعودية في عددها الثاني والعشرين كلمة بقلم الاستاذ عبد الرحمن العمر نجتزيء منها ما يلي :

نعى الناعي مصطفى حسني السباعي رجل العلم والدين والفضل والادب فتحركت في النفس اشجان وفاضت من العين دموع واجترت من الحلق زفرة وارتفعت من الصدر حسرة .. أحقا مات مصطفى السباعي ، أنا لا أنكر الموت فهو نهاية كل حي ومصير كل موجود :

كل شيء مصيره للزوال ، غير ربي وصالح الاعمال
وما الناس الا هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق

كان فقيدنا الغالي رحمه الله يشكو سقما في الجسم مزمنا وكان اصدقاؤه ومحبوه يظنون وبعض الظن أثم انه لن يمهله كثيرا وهكذا جاء قدر الله فلا راد لامره يصيب برحمته من يشاء ان الموت طريق مطروق وجادة مسلوكة عبرها قبلنا الاجداد والآباء وسنلحق بهم ويتبعنا من بعدنا وهكذا سنة الله في خلقه الى أن يرث الله الارض ومن عليها، علم الله لقد فقدت بعض أصدقائي ورفاقي ولم آسى عليهم وآسف كأسفي على السباعي ..

انني لا استطيع ان افسر سر ذلك أو أن ادلف الى تلافيف الغيب لآتي منها بالجواب .. حقا ان واحدا كألف وألفا كواحد .

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا فرس يموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر يموت لموته خلق كثير

ان موت العالم موت لعالم من الناس وفقدانه انطفاء لعدد من فوانيس النور التي تنير الطريق للسالكين وتهدي الارجل الحائرة في دجى الليل البهيم .

فرحم الله السباعي رحمة الابرار وجمعنا به في دار الخلد مع النبين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ..

الله الله ويح هذه الدنيا كم جمعت من أحبة وفرقت وكم أضحكت وأبكت وكم اسعدت واشقت ففي كل يوم لها صرعى وفي كل يوم تلفظ ضحايا وجرحى ...

عرفت السباعي منذ اكثر من سبع سنين على صفحات الصحف والمجلات في سورية والعالم العربي فكنت اطالع له في مجلة « المسلمون » يوم كانت تصدر في دمشق وكان رئيس تحريرها ثم في مجلة ــ حضارة الاسلام ــ التي اصدرها في دمشق وغيرها من الصحف كالمجتمع واللواء حسبما أذكر . وكنت كلما أمسكت له بكتاب او عثرت على مقالة قرأتها مرات ومرات لان له اسلوبا متفردا لا يمل ولا يسأم ثم احتفظ بها احتفاظ من فقد عزيزا وعثر عليه بعد جهد شاق وعرق ودموع وكنت أتمنى أن أرى ذلك السباعي الذي ملأ الدنيا وشغل القراء حيث كانت تنشب بيننا مناقشات حادة حول موضوع كتبه أو افتتاحية نشرها في مجلته ..

كنت أحسبه جسيما طويل القامة يفرع القوم الى غير ذلك من الاوصاف التي غالبا ما تنعكس عندما يلتقي الانسان بصاحب الصورة وجها لوجه لم يقدر لي أن القاه الا في صيف هذا العام بمدينة الطائف ولكن الله تعالى أراد ولا اعتراض ألا تتم صداقتنا الحقيقية الا شهرا حيث اختاره الله الى جواره بعد ان عاد من الطائف وقد كتب لي رسالة من لبنان كلها ثناء وتقدير لا استحق بعضه فأجبته اشكره وأدعو له بالعافية وبعد أيام سمعت نبأ وفاته في الاذاعة ثم قرأته في احدى الصحف فألقيت بها ووضعت رأسي بين ركبتي وبكيت ما شاء لي البكاء ثم دعوت له وترحمت عليه ..

وكان لقائي الاول والاخير به في الطائف كما اسلفت . دلفت اليه في غرفته بفندق دار السلام فألفيته ممددا على سرير .

فهتفت الله أكبر أهذا هو السباعي صاحب المؤلفات العظيمة واليراع الذي لا يقف ولا يجف عن الارعاف ؟ ان الانسان قلب ولسان ! .

سلمت عليه فرد التحية بأحسن منها ثم أردف وهو يتململ ليجلس ــ تعال لهون يا أخي ــ قالها بلغة أهل الشام فسحبت المقعد وجلست

وعيناي مركزه فيه . لقد كان رحمه الله يشكو كما اسلفت مرض الشلل فكان لا يرتاح الا وهو مستلق على فراش . ودار بيننا حديث طويل . تمنيت انه لم يطل حيث شعرت أخيرا ان الكلام المتصل والتعرض لاوضاع المسلمين وما يعانونه في كل مكان من العالم من ظلم وعدوان يزيد من ضربات القلب لديه ويعيد اليه رعشة الجسم وكنت اجهل ذلك مسبقا حتى لفت نظري فضيلة استاذنا الكبير الشيخ محمد محمود الصواف حفظه الله وخرجت من عنده وأنا اخفي عيني وأدفن وجهي في منديل كان معي لاعيده وقد تبلل بالدموع تأثرا مما يعانيه فيلسوف من أكبر فلاسفة عصره وقطب من أقطاب العلم والفكر ومع هذا فلا يعلم به أحد الا الله وكفى به عليما وبعض اخوانه ومحبيه وعارفي فضله .. ويح هذه الدنيا لقد كان السباعي قبل أن يصاب أبرز خطيب يستطيع التأثير في الجماهير وصرفها الى ناحيته في أيام الانتخابات والمعارك السياسية بين الاحزاب في سورية فكان اذا خطب اسكت الالسن وأذهل الآذان وأخذ بمجامع القلوب واذا كتب أثر واجبر المنافس على التراجع القهقري واخلاء الميدان لـه ولانصاره ومؤيديه ولكن قضى الله ولا راد . ولا معقب لحكمه أن يصاب فقيدنا الغالي بمرض الشلل الذي اقعده عن السير الا بعكاز فقل نشاطه عن ذي قبل ولا احب ان أطنب واسهب في تبيان مآثر الفقيد الغالي فذلك مالا يحتاج الى حصر واحصاء .

ثم تحدث الكاتب عن بعض كتب الفقيد وعرض شيئا من شعره وبخاصة ما كتبه خلال مرضه الاخير وتابع القول :

عزيزي القارىء : هذا هو السباعي فقيد العروبة والاسلام عاش عيشة المجاهدين الصابرين الى ان اختاره الله الى جواره ومع هذا فلم يعلم عن السباعي أحد الا بعض اصدقائه واقربائه وعارفي فضله .

رحم الله فقيدنا الغالي رحمة الابرار وأحسن مثواه وجزاه عن جهاده وكفاحه في سبيل العقيدة والدين وقضايا المسلمين بخير ما يجزي به عباده المجاهدين ولتظلل قبره سماء الرحمة ولتمطره سحابة الغفران .

الدكتور السباعي

وكتبت مجلة « الحج » التي تصدر في الرياض في عددها الصادر في جمادى الثانية الكلمة التالية :

فجع العالم العربي والاسلامي في أوائل هذا الشهر – جمادى الثانية (١) – بوفاة احد أعلامه البارزين ، وعلمائه المجاهدين الدكتور مصطفى السباعي عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق سابقا وصاحب مجلة « حضارة الاسلام » .

وكان المرحوم الدكتور السباعي يشكو من شلل سبق أن عولج منه من قبل ، غير أن أثره ظل ملازما له في الاعوام الاخيرة ولكنه بالرغم من ذلك ظل مثابرا على نشاطه في جهاده الديني في مختلف المجالات سواء عن طريق دروسه ومحاضراته في الجامعة ، أو عمله في التاليف ، أو عمله في مجلة « حضارة الاسلام » .

وقد صدر للفقيد الكبير عدد وافر من الكتب النفيسة منها كتابه القيم « السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي » وقد تصدى فيه – الى جانب ما اشتمل عليه من الموضوعات العلمية للرد على أضاليل محمود أبي رية ومغالطاته المعروفة في كتابه الذي طلع به من بضع سنوات وسماه أضواء على السنة المحمدية .

ومن كتب الفقيد الاخرى : « المرأة بين الفقه والقانون » و « من روائع حضارتنا » و « نظام السلم والحرب في الاسلام » و « أبو هريرة بين المحبين والمبغضين » وغيرها وغيرها ..

---

(١) صححت المجلة في عددها التالي تاريخ الوفاة وأشارت الى انه وقع في يوم السبت الموافق ٢٧ جمادى الاولى سنة ١٣٨٤ وليس كما ذكر من قبل أوائل جمادى الآخرة .

وبعد .. فقد كان نعي المرحوم الاستاذ الكبير مصطفى السباعي صدمة أليمة لكل الذين يعرفونه وما أكثرهم ليس في سورية فحسب ، أو البلاد العربية فحسب ، وانما في جميع الاقطار الاسلامية وليس من شك في أن الخسارة بفقده وبفقد أمثاله من العلماء المكافحين عن العقيدة على هدى وبصيرة لا يمكن أن تعوض . رحم الله مصطفى السباعي وأثابه بقدر ما أسدى من خدماته العظيمة للاسلام والمسلمين .

مات المرابط على الثغر

ونشرت مجلة « التربية الاسلامية » التي تصدر في بغداد في عدد رجب الكلمة التالية بعنوان « رجل فقدناه مصطفى السباعي رحمه الله » :

فقد المسلمون علما من أعلام الاسلام ألا وهو الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله . ولقد عرفته الحركة الاسلامية واقفا على أكثر من ثغر ، قائدا المعركة تلو المعركة ، منظما الفرد الى الفرد ، حاديا الركب المبارك بعلمه وعمله وجهاده .

ففي ميدان الفكر ، كان رحمه الله مفكرا ومؤلفا ، وصحفيا ، أغنى المكتبة الاسلامية الحديثة بثمار يانعة مباركة ساهمت — بعمق — في بلورة الاسلام عقيدة ونظاما للحياة ، عبر هذا الخضم المتلاطم من الدعاوى والمبادىء والانحرافات التي تسرح وتمرح في ربوع العالم الاسلامي . وفي سوح الجهاد ، كان قائدا لباقة فتية من كتائب الشباب المسلم . أبلت البلاء الصادق في أرض فلسطين .

وفي ميدان التنظيمات الشعبية ، كان خطيبا مفوها قل أن تشهد مثله المنابر ، وسياسيا محنكا لا يعرف غير الحق في الهدف والسلوك ، وصاحب دعوة شاملة يعرف بها ويكون انصارها وينفذ بهم ما يستطيع تنفيذه من خطوات .

أما في ميدان النفس البشرية ، فقد كان واحدا من الصابرين المحتسبين لم تزده الامراض التي حلت به الا ايمانا بالله وصبرا على قضائه وشوقا الى لقائه ، وهو الذي كان يرد :

سوف احدو للركب ما دمت حيا   زاد بي الضر أم أبلت قروح

والضر الذي نزل به وأقام عليه سبعة أعوام طوال هو شلل تشنجي نصفي من الدماغ . وشخصية كشخصية السباعي رحمه الله جديرة بالدراسة والتأمل واستخلاص الدروس الغوالي منها في العلم والعمل والصبر . وهذه سطور من حياته هي أشبه ما تكون بفهرس مختصر لسجل ضخم كبير .

● ولد المرحوم السباعي في مدينة (حمص) عام ١٩١٥ .

● قاوم المستعمرين الفرنسيين في بلاد الشام عام ١٩٣١ بتهمة توزيع نشرات سرية ! ثم عادوا فسجنوه ثانية بتهمة القاء خطبة جمعة في جامع حمص الكبير .

● سافر الى مصر عام ١٩٣١ لاكمال دراسته في الازهر الشريف ، فسجنه الانكليز هناك بتهمة قيادة التظاهرات الطلابية ، ثم عادت واعتقلته عام ١٩٤٠ بتهمة تشكيل جمعية سرية تؤيد ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق .

● عاد الى الشام عام ١٩٤١ بعد أن حصل على (العالمية) بدرجة استاذ من كلية الشريعة في الازهر . عاد ... وقد كسب علما الى علم ، والتهب حماسا الى حماس ، فتولى مسؤولية الحركة الاسلامية في سورية ، فاعتقلته السلطات الفرنسية وبقي في السجن سنتين ونصف ، وفي عام ١٩٤٣ خرج من المعتقل ليثير قضية فلسطين على شتى المستويات .

● في عام ١٩٤٥ قاد المقاومة المسلحة في حمص ضد الفرنسيين ، وما كادت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ تتخذ الشكل المسلح وتدخل الجيوش العربية حتى قاد السباعي كتائب المجاهدين السوريين الى ارض المعراج .

● شارك في الحياة السياسية السورية ، فرشح نفسه نائبا عن دمشق عام ١٩٤٩ فنال أكبر نسبة من الاصوات ، وانتخب عام ١٩٥٠ نائبا لرئيس مجلس النواب ، وكانت له المواقف الرائعة التي حفظت لسورية شخصيتها الاسلامية .

● اوفدته جامعة دمشق عام ١٩٥٦ الى الجامعات الاوربية . فاجتمع هناك بالمستشرقين وصحح الكثير من شبهات الغربيين عن الاسلام .

● زار الاتحاد السوفياتي عام ١٩٥٧ مع وفد جامعة دمشق بدعوة من جامعة موسكو ، كانت فرصة ثمينة أظهر فيها السباعي عظمة التشريع الاسلامي وصلاحه ، وخواء الحضارة ـ غربيها وشرقيها ـ من الجانب الروحي للانسان .

● اصيب عام ١٩٥٧ بالشلل وعمره اثنان واربعون عاما .

● نعته الصحف الصادرة صباح الجمعة ٣ جمادى الآخرة ١٣٨٤ الموافق ٩/١٠/١٩٦٤ .

● خلف ثمانية عشر كتابا مطبوعا وسبعة كتب مخطوطة جعلها الله تعالى علوما ينتفع بها من بعده وأجزل له الاجر على ما قدم . وانا لله وانا اليه راجعون .

كلمة الاستاذ الشيخ محمد أبي زهرة

وصلتنا في وقت متأخر مجلة لواء الاسلام العدد (١١) تحمل كلمة للاستاذ الكبير الشيخ محمد أبي زهرة ينعي فيها الدكتور السباعي بالكلمة التالية :

قبل أن نبتدىء الندوة المباركة أنعى الى العالم الاسلامي من فوق منبر هذه المجلة المجاهدة أحد مجاهدي الاسلام منذ شبابه الى أن بلغ سن الكهولة ، هو المرحوم الاستاذ الدكتور مصطفى السباعي عالم سورية ، وقد توفي في ميدان الجهاد في النصف الاخير من شهر جمادى الاولى سنة ١٣٨٤ هـ

واني أعرفه منذ كان شابا يطلب العلم في التخصص في الفقه وأصول الفقه ، وأعرفه مجاهدا يحمل القلم ويجاهد ، وقد كان يكتب في سنة ١٩٣٣ و ١٩٣٤ في مجلة « الفتح » ، وكان يكتب مدافعا عن الاسلام في الموضوع الذي ما زلنا ندافع عنه وهو الدفاع عن السنة . ولما بلغ الشأو وتولى التدريس في كلية الشريعة في دمشق حمل لواء الجهاد هناك ، ولما سقط اللواء الذي كانت تحمله بعض الصحف المجاهدة ، حمل وحده اللواء في مجلة ممتازة ثرية بالعلم هي مجلة « حضارة الاسلام » ، وقد استمر يحرر فيها وينفق عليها من موارده المحدودة الضئيلة . ولم يكن يكف عن

الجهاد ساعة من زمان ، ولما كانت الشديدة تشتد في سورية ، كان هو من المتصدين لحمل الشديدة .

وفي عهد اديب الشيشكلي ألقى في غيابات السجن مدافعا عن دينه.

ولما أفرج عنه حمل لواء الكفاح مرة ثانية ، واستمر يدافع حتى ضعف جسمه عن حمل العبء ولكنه ظل يحمله بمقدار طاقته .

وقد ذهب الى المدينة يلقي دروسا في كلية الشريعة بها لما أحس ضيقا في دمشق ولم يمنعه ضعف جسمه وما أصيب به من أمراض أن يذهب مرة ثانية الى المدينة .

ومن أعجب الامور انه قضى نحبه وهو يعد الامتعة لزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم ولالقاء الدروس في حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام . رحمه الله رحمة واسعة .

وان مجلة لواء الاسلام لتشارك العالم الاسلامي في الاسف على وفاة ذلك العالم المجاهد النابغة الذكي .

نم في أمان الله

ونشرت مجلة « الحج » كذلك في عددها الصادر في رجب القصيدة التالية للاستاذ ضياء الدين الصابوني مدرس الادب العربي في دار المعلمين بحلب :

اليوم مات العلم في الفيحاء ... اذ غاب عنها حجة العلماء

اليوم اظلمت البلاد جميعها ... لمصيبة من أفدح الارزاء

أعظم به اذ قام يدعو قومه ... للعلم والاسلام والعلياء

ومشى على قدم الرسول ونهجه ... وهداه في السراء والضراء

أدى الامانة مخلصا في حملها ... ولكم ينوء بها من العظماء

هل بعد ايقاظ الضمير رسالة ... تسمو فتبعث ميت الاحياء ؟

يا «مصطفى» قدكان نعيك فجعة ... أبكى البلاد وفت في الاعضاء

ما لي سوى دمعي فان أهرقته ... فالدمع عندي من أقل جزاء

قد كنت ذخرا للشريعة مرجعا ... وملاذ أهل الفقر والضعفاء

فاليوم تبكيك القلوب جميعها ... في الشام ، في بغداد، في صنعاء

تبكيك من أسف وقد خلفتهــا ... في اليتم تنـدب فارس الهيجاء
قد كان شيد للشريعة(١)(معهدا) ... في مجـده يسمو على الجوزاء
وهب الحيــاة رخيصة في ذاته ... متجنــــدا للشرعــــة السمحاء
كم قد تعدى الخطب عند عبوسه ... متجلــدا بعزيمــة شمــاء
ليعز دين الله يعلي شرعــه ... ويرد عنــــه مكــائد السفهــاء
ولقد دعا داعي الجهاد فلم يكن ... الا الجهــاد وقبلــة الشهــداء
يا «مصطفى» هاهم شبابك شعلة ... تحمي شريعتنــا من الاعــــداء
يتلفتون فـــلا يرون منــارهم ... فتفيض أنفسهــم من الـــلأواء
هذي فلسطين الذبيحة تشتكي ... وقع المصاب وشــدة النكبــاء
والمقدس الاسوان ينـدب قائداً ... من أشجع القواد في الهيجــاء
قدمت نفسك فيه وهي عزيزة ... وبذلت روحــك وهي خير فداء
فوجدت في مر الكفاح حـلاوة ... ورأيت للأحزان خــير شفــاء
يا وارث الرسل العظام وناهجاً ... نهْج النبي معــلم الحكمــاء
اني أرى الامصار جللها الاسى ... وبكت عليــك بحرقــة وسخاء
وقد ابتليت فكنت أعظم صابر ... لك أسوة في سيــد الشهــداء
لم يفقد الخطب المبرح همــه ... وحملت عبء الدين رغم الداء(٢)
ما كنــت الا صــورة مجلــوة ... للقــائد المقــدام والعلمــاء
حملتك أفئــدة الشباب وكلهــا ... ألــم لفقــدك ضرجت بدمــــاء
نم في أمان الله يا علــم الهدى ... نم مستريح البــال في نعمــاء
فلقد ختمت(٣) بحجــة مبرورة ... وزيارة الهادي أبي الزهراء

---

(١) هو كلية الشريعة بجامعة دمشق .

(٢) أصيب المرحوم بشلل في جسمه قبل بضع سنوات .

(٣) مع شدة المرض الذي كان يلازم الفقيد فقد ختم حياته بحج بيت الله وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم .

على طريق الوفاء للراحل الكبير

دمشق وبيروت تخلدان ذكرى الجهاد والعلم

كانت دمشق في اليوم الثامن عشر من كانون الاول على موعدها الاول في طريق الوفاء للرجل الكبير مصطفى السباعي ، فقد أقامت جامعة دمشق حفلا تأبينيا ضخما على مدرجها الكبير تكريما لذكرى رجل العلم ومؤسس كلية الشريعة وعميدها الاول ، والاستاذ في كليتي الشريعة والحقوق ورئيس قسم الفقه الاسلامي ومذاهبه في جامعة دمشق الدكتور مصطفى السباعي .

وفي موعد الحفل توافد جمهور غفير من أساتذة الجامعة والعلماء والمثقفين والشباب المؤمن للمشاركة في تخليد ذكرى الراحل الكبير حتى أن المدرج الكبير قد ضاق على رحبه بالوافدين الذين قدموا لحضور حفلة التأبين واضطر أكثرهم للوقوف في الممرات والساحات المحيطة بالمدرج وكان الجو مهيبا وفيه كثير من الوقار الذي تضفيه المناسبة ورجلها العظيم

وقد بدأ الحفل بآي من الذكر الحكيم ثم اعتلى منصة الخطابة عريف الحفل الدكتور أديب صالح المدرس في كليتي الشريعة والحقوق من جامعة دمشق فتكلم عن جوانب من شخصية الفقيد الكبير وأشار الى أن هذا الحفل يشكل خطوة أولى في طريق الوفاء للراحل العظيم ، وطالب جامعة دمشق التي خدمها الفقيد بعلمه وجهوده أن تفي لذكراه وترعى آثاره ومدرسته الفكرية الخالدة ثم قدم الخطباء فكانوا على التوالي :

الدكتور اسماعيل عزت وكيل جامعة دمشق فتكلم باسم الجامعة التي افتقدت رجلها وعدد جانبا من مآثر الفقيد في مجال العلم وحيى ذكراه الخالدة .

ثم ألقى الدكتور محمد الفاضل عميد كلية الحقوق كلمة قوية رائعة تحدث فيها عن المزايا العظيمة التي كانت تتحلى بها شخصية الفقيدوعرض الجوانب الفكرية والعلمية في هذه الشخصية وتحدث عن الرسالة التي حملها كقائد ورائد لدعوة كبيرة ، وجهاده في سبيل هذه الدعوة وقال ان مأتم الفقيد الكبير السباعي مأتم الامة العربية جمعاء ، ويوم ذكراه من أيام

ثكل الامة جمعاء وحيّى روحه العظيمة وقال : فلا والله ما بقيت ريحانة من رياحين الغوطتين الا تمنت أن تكون ضفيرة من ضفائر المجد على جبينه ، ولا والله ما بقيت مزنة طيبة عطرة من سحائب رياض الفيحاء الا رجت أن يضمخ بها جثمانه ، وأن يندى بها ضريحه .

وتكلم الاستاذ محمد المبارك العميد السابق لكلية الشريعة والاستاذ في كليتي الشريعة والآداب من جامعة دمشق فتحدث عن صحبته وأخوته للفقيد وذكرياته الطويلة عن مراحل جهاده ، وتكلم عن الثروةالفكرية الضخمة التي خلفها وقال ان الفقيد الحبيب استطاع في مجال الدعوة للاسلام أن يشق طريقه الى جمهور الشعب وفتح لهذا الجمهور الطريق الى فهم الاسلام ومبادئه ووصل ما بين مشكلات الامة الحيوية ودينها ، وما بين قضاياها وكفاحها للاستعمار ورسالة الاسلام ، فارتفع بالعامة والخاصة الى مستوى الاسلام عقيدة ورسالة في الحياة وقال لقد كان السباعي أستاذ جيل ، وقائد رعيل ، وباعث نهضة ، وكان خطيب جماهير ، ومصلحا كبيرا وعالما باحثا وكاتبا أديبا ومؤلفا منتجا وهي صفات قلما تجتمع في رجل واحد ولكن جمعها الله فيه .

وتكلم الدكتور صبحي الصالح الاستاذ في كلية الآداب في الجامعة اللبنانية فتحدث عن حيوية السباعي المتكافئة مع أحداث العصر ، وعن حركة السباعي الفكرية وموضعها في تاريخ الدعوات . وقال ان أي عالم ديني مهما يسم مقامه لا يزن هو ولا علمه عند الله جناح بعوضة ما لم يتسم كالسباعي بالكرامة العلمية التي ليس فوقها كرامة ، لا ملك ولا رئاسة ولا زعامة وما لم يتحل مثله بروح البحث الموضوعي المخلص النزيه الحر في التماس الحقائق وما لم يصنع صنيعه في ارساء الفكر الديني على دعائم ثابتة قوية لا تعصف بها رياح الشك والارتياب .

ثم تكلم الدكتور يوسف العش عميد كلية الشريعة عن الجانب الثقافي والفكري في عقل السباعي ، وعن أصل هذا الجانب في تربيته الدينية وثقافته الحضارية ، وقال انه لم يكن يرهب أن يجابه العقائد كلها دون خشية منها ثقة منه بعظمة التراث الذي عاش في رحابه .

وكانت خاتمة الحفل مفاجأة رائعة قدمها عريف الحفل فأثارتالنفوس واستدرت الدموع ونقلت الحاضرين الى جو مهيب من اجواء الحيوية التي كان يفيض بها الفقيد في دفاعه عن الاسلام وكان ذاك حين أدير تسجيل

صوتي لمقطع من خطبة قديمة للفقيد العظيم ، يعرض فيها جانبا من انسانية الاسلام وضرورة الدعوة اليه ، وجلال الخدمة التي يقدمها دعاة الاسلام لانقاذ الانسانية من حمأتها المهينة .

ويرد الفقيد بعض التهم الظالمة عن الاسلام ثم يستحث الشباب للثبات على دعوته العظيمة . ويسأل الله لهم الثبات عليها .

حفلـة لبنان :

وكانت الهيئات الاسلامية في لبنان قد أقامت حفلا تأبينيا كبير ، تكريما لذكرى فقيد الاسلام الخالد الدكتور السباعي ، وقد تم هذا الحفل في الاسبوع الاول من شهر كانون المنصرم ، وفي الموعد المضروب توافدت الى « الخلية الاجتماعية » ببيروت الشخصيات الاسلامية وجماهير الشباب المؤمن حتى غص بهم المكان . . ثم بدأ الحفل بآيات من الذكر الحكيم تعاقب بعدها الخطباء على الكلام يعددون مآثر الفقيد ومناقبه وجهوده الزائدة في شق الطريق للحركة الاسلامية في بلاد الشام ، وكان عريف الحفل الاستاذ محمد عمر الداعوق رائد جماعة عباد الرحمن فقدم الخطباء الذين كانوا على التوالي : الاستاذ عبد الله مشنوق وقد ألقى كلمة مرتجلة عن ذكرياته مع الفقيد ، ثم فضيلة الشيخ فهيم أبو عبية رئيس البعثة الازهرية في لبنان الذي تحدث عن فقه السباعي لرسالة الاسلام وصلتها بالحياة ، ثم الدكتور عمر فروخ البحاثة المعروف الذي تكلم عن عزيمة السباعي وشخصيته الجامعة ، وتكلم فضيلة الدكتور صبحي الصالح الاستاذ في كلية الآداب بالجامعة اللبنانية عن السباعي العالم العامل الذي جمع الى ثقافة الروح ثقافة العقل ، والى ثقافة العقل انسانية التفكير ، كما عرض الجوانب التي حارب السباعي فيها الخرافة في شتى مجالي الفكر والحياة ، وتكلم أخيرا الاستاذ فتحي يكن رئيس الجماعة الاسلامية في لبنان الذي قدمه عريف الحفل بانه تلميذ من تلاميذ السباعي وثمرة من ثمراته الطيبة فتحدث عن السباعي القائد والداعية .

وفي مواضع أخرى من هذا العدد نصوص الكلمات التي ألقيت في كل من حفلي التأبين في دمشق وبيروت .

هذا ومن جهة أخرى فقد وصلتنا انباء من السودان تفيد أن المنظمات الاسلامية قررت اقامة حفل تأبيني كبير لتخليد ذكرى الفقيد الراحل . وتتخذ لذلك أيضا الاستعدادات في الاردن والعراق وفي بلاد عربية واسلامية أخرى لاقامة مثل هذه الاحتفالات . وسنوافي الاخوة القراء بما يردنا من أنباء هذه الاحتفالات .

صـــدى الفاجعـــة
في طائفة من رسائل وبرقيات التعزية

لم يكد يمضي وقت قصير على اذاعة النبأ الاليم بوفاة فقيـد الاسلام الكبير الدكتور مصطفى السباعي من قبل عدد من الاذاعات العربية والعالمية ، حتى وافانا البريد وحملت الينا اسلاك البرق بفيض غامر من الرسائل والبرقيات من جميع انحاء العالم ، تحمل الاسى الملتاع والحزن العميق للخسارة الفادحة التي حلت بالاسلام والمسلمين بفقد رجل العقيدة والجهاد والعلم ، ونجتزىء فيما يلي طائفة من هذه الرسائل والبرقيات :

رسالة الاستاذ أبي الاعلى المودودي

الاخ الكريم مدير مجلة « حضارة الاسلام » الغراء .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ، فقد فجع قلوبنا واجرى الدموع من أعيينا نعي اخينا المجاهد في سبيل الله الدكتور مصطفى السباعي وقد بلغنا قبل يومين بواسطة احد القادمين من دمشق ، فانا لله وانا اليه راجعون ... الحقيقة ان العالم الاسلامي قد فقد بمضائه الى رحمة ربـه مجاهدا شجاعا في صفوفه الاولى كانت له مواقف حاسمة لا تعد في مقارعة الباطل من أين رفع رأسه ، وما جاهد الباطل وأهله بلسانه فقط ولا بقلمه فقط ولكن بقوة ساعده ايضا حيث خرج مجاهدا في سبيل الله وابلى فيها بلاء حسنا ، وكان عليه سحائب الرحمة ــ يجمع الى عاطفــة جهاده القوية علما غزيرا وأدبا جما وكان قد اعطاه الله قلبا جريئا وقلما سيالا ولسانا مخرسا لكل من ناصب الاسلام والمسلمين عداء . ونحن اذ نحتسبه عند الله نسأله تعالى ان يتغمده برحمته ورضوانه وينزله منازل الابرار ويتقبل منه ما بذل في سبيله من الجهود المتتابعة ويحشره مـع الذين انعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ويلحقنا به على حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونسأله تبارك وتعالى أن يعظم فيه اجركم وأجر سائر أهل بيته ويحسن على جليل الرزء ثوابكم وثوابهم . والحقيقة اننا اذ نعزي فيه أفراد اسرته ، نعزي فيه أنفسنا وسائر العاملين لاقامة دين الله في كل أقطار العالم الاسلامي .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أولا وآخرا .

اخوكم المشاطر لكم رزءكم وهمومكم
ابو الاعلى المودودي
(امير الجماعة الاسلامية بباكستان)

رسالة المفكر الاسلامي الجزائري

الاستاذ مالك بن نبي

الأخ الكريم :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

... لقد تعرفت بالفقيد تغمده الله برحمته لقدر مقدر أثناء أول جولة محاضرات ، قمت بها في القطر السوري في صيف ١٩٥٨ ، كنت في غرفة بالفندق ، اذ دق الباب علي رجل من مستخدمي الفندق وسلم لي بطاقة الفقيد الذي كان قدم لزيارتي ، واعلمني أنـه في قاعة الانتظار ، فعجلت للقائه ، فاذا بي بعد لحظات أرى رجلا كبير الهيكل ، شديد بياض الوجه ، ذلك الوجه المبتسم المستبشر الذي عرفته منذ تلك اللحظة ، وكان يتكأ على عصى ، ففهمت ما عانى الرجل من مشقة في الصعود الى غرفتي ، حيث كنت نازلا بفندق صغير ليس فيه مصعد ، فتعانقنا على عتبة الباب وأعنته على الجلوس على المقعد ودار الحديث بيننا .

فمنذ الكلمات الاولى شعرت بانني تعرفت على رجل يحمل في أحشائه نارا ، نار القضية المقدسة التي عاش من أجلها مصطفى السباعي . وكانت الكلمات الدائرة بيننا تزيد في اهتمامي بشخصه ، وربما كانت تزيد في اهتمامه بشخصي على المعنى الذي أشار اليه الحديث الشريف ((الارواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تنافر منها اختلف)) .

هكذا تعرفت على رجل ، نشأت بيني وبينه منذ تلك اللحظات أخوة لا يطفىء حرارتها الموت .

ان شخص السباعي قد انتقل ، ولكن عمله سيبقى مفعوله جاريا في تشيد حضارة الاسلام .

من أخيكم

مالك بن نبي

مدير التعليم العالي بوزارة الثقافة والارشاد القومي الجزائري

رسالة سماحة الحاج أمين الحسيني

... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد بلغني أثر عودتي من الديار الحجازية نبأ وفاة فقيد الاسلام العلامة الجليل المرحوم الدكتور

والانتصار للحق ، فقد عرفنا فيه روح التضحية من أجل العقيدة والتفاني في خدمة الاسلام والمسلمين ومجاهدا على ارض فلسطين .

اني أقدم لكم خالص التعزية في هذا المصاب الاليم وأسأل المولى تعالى أن يتغمد الفقيد العزيز برحمته ورضوانه ويسكنه فسيح جنانه ويلهمكم جميل الصبر وحسن العزاء ويعوض المسلمين خيرا عن خسارتهم العظيمة بفقده .

وانا لله وانا اليه راجعون .

بيروت **محمد امين الحسيني**

رسالة الاستاذ عبد الله غوشة

سعادة الاخ الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد قضى الله ولا راد لقضائه أن تفجع الامة برجل من رجالاتها العاملين وابن من أبنائها البررة المخلصين وقف نفسه على خدمة أمته وبلاده والذب عن حياض الدين هو فضيلة المرحوم الشيخ مصطفى السباعي تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جنته .

ولقد وافته المنية والامة في أمس الحاجة اليه والى أمثاله من العلماء النابهين الذين جاهدوا في سبيل الدعوة الاسلامية ونشر الوية الحق والخير والفضيلة حق الجهاد فكانت الفاجعة بفقده أليمة والمصيبة عامة فجزاه الله خير الجزاء .

وانني بقلب يتفطر بالاسى والحسرة أبعث اليكم والى آله وذويه واخوانه واصدقائه بأحر التعازي سائلا المولى جل جلاله ان يعوض الامة خير العوض وان يتقبله قبولا حسنا ويجعله في كنفه وجواره مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا مع المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

وانا لله وانا اليه راجعون

((يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي)) صدق الله العظيم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد الله غوشه

رسالة الاستاذ أبو عرفان الندوي

عميد ندوة العلماء في لكهنو بالهند

حضرة الاستاذ السيد مدير مجلة حضارة الاسلام المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نرجو لكم التوفيق ودوام الصحة، فاجأنا نحن أسرة ندوة العلماء نبأ وفاة فضيلة الدكتور مصطفى السباعي فاحزننا كثيرا جدا ، وبما أننا كنا نرتبط به ارتباطا قويا أخويا وبمجلة حضارة الاسلام الغراء وأسرتها خاصة ، فقد كان النبأ لنا أليما وفجيعا خاصة ، وللعالم الاسلامي كله عامة وهي خسارة للاسلام والمسلمين لن تعوض .

ان فقيدنا الغالي بعلمه الغزير وفضله الجم وايمانه الراسخ القويم ومنهجه في الدعوة السديد قد احتل في العالم الاسلامي عامة وفي أسرتنا خاصة مكانة مرموقة محببة ، فاننا نعتبره خسارة فادحة كبرى لنا كما هي خسارة فادحة لبلاد الشام ومجلة حضارة الاسلام الغراء والعالم كله ، واننا اذ نبعث بكل ألم وحزن وأسف بتعزية الى حضرتكم والى أعضاء المجلة وأسرة الدكتور السباعي نبتهل الى الله عز وجل أن يتغمده برحمته ويدخله فسيح جناته ، ويعوضنا من يحل مكانه وينهج منهجه ويسير سيره الحثيث الى الدعوة والحق والخير ويكمل أعماله وخدماته للاسلام بالكتب والمؤلفات والمقالات القيمة الروحية البديعة متأسيا بفقيدنا الغالي وروحه الفياضة المشرقة والسلام عليكم .

المتألم : ابو العرفان الندوي

أخي الحبيب الاستاذ مدير تحرير مجلة حضارة الاسلام الغراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد علمت قبل دقائق نبأ نشرته جريدة باكستانية هلع له قلبي ويكاد أن يتفتت من حزن وألم وأسى وعيناي لا تصدقان أنهما تقرآن هذا النبأ المحزن المؤلم !! ولكن الصفات والمناصب والمآثر التي ذكرت للراحل هي صفات ومناصب ومآثر حبينا وقائدنا الدكتور مصطفى السباعي .. فانا لله وانا اليه راجعون .

انني أريد الآن — لان قلبي وعقلي لا يطمئنان ولا يقران لهذا النبأ — أن أتبثت منكم عن صحة هذا الخبر الذي أكاد ان يغمى عليّ كلما تصورت صدقه ؟ !! ولقد تركت أعمالي كلها منذ سماعه ، فبالله عليكم أن توفوني بالانباء المفصلة عن هذا الحادث ، ومتى وقع ؟ وهل صحيح أن ان مصطفى السباعي انتقل الى رحمة الله تعالى تاركا وراءه آلافا من محبيه ، واخوانه

وتلامذته متألمين باكين !! الذين نهلوا من مناهله وأفادوا من آراءه وأفكاره ودعوته ومناهجها وخططها التي كانت ولا تزال نبراسا للاجيال ومنارة الضوء للامم الاسلامية بأسرها من المحيط الاطلسي الى الجزر الخضراء في اندونيسيا المؤمنة . .

هل اصدق ان الذي كان بالامس يهدي الى الطريق وينير السبيل ويرشد الناس ، ويدرس في الجامعة ، ملؤه النشاط والحيوية والقوة والجرأة والهدوء ويحي النفوس والقلوب بنفحاته القدسية وأنفاسه الزكية قد ثوى في الارض وأهيل عليه التراب ؟ !! ان كان النبأ صحيحا ، والاسلوب الذي نشر به الخبر يدل على ذلك ، فانه خسارة للعالم الاسلامي بأسره لن تعوض . . ولا دأري من أعزي ؟ . هل أعزي ابنه العزيز أخي حسان جعله الله خلف صدق وحاملا لراية والده العلمية والفكرية والدينية والروحية .

أو أعزي أم حسان التي هي بمثابة أمي ، أم أخاه وأهله وأسرته في حمص أو في دمشق ، أم أعزي كلية الشريعة ؟ التي تمثل أغر تركته وأسمى وأنبل أعماله وخدماته للاسلام والمسلمين . . ام أعزي العالم الاسلامي كله الذي فقد فيه ثروته العلمية والفكرية الكبرى ، وفقد فيه ابنا له رشيدا وبارا ، وفقد فيه قائدا حكيما بارعا محنكا ، وفقد فيه عالما جليلا ومفكرا نابغا عبقريا . أم أعزي مجلة « حضارة الاسلام » الغراء التي فقدت رئيسها النشيط الشفيق الموفور العلم والروح ، حيث كان يغذيها في كل شهر بغذاء نافع عظيم للعقول والارواح والنفوس . .

أم أبعث بتعزيتي الى الشباب المؤمن في بلاد الشام والعالم الاسلامي كله الذين اصبحوا أيتاما بوفاته ، أو أعزي نفسي الحزينة المتألمة البالية التي فقدت مرشدها ، وقائدها واستاذها الحبيب الحنون ، لا أدري والله ما أفعل وما أقول ، الا انني أردد قول الشاعر العربي القديم :

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

الهند ـ لكهنؤ ـ ندوة العلماء **اخوكم المتألم**
محمد اجتباء الندوي

رسالة الطلاب المسلمين في المانيا

أخي مدير تحرير مجلة حضارة الاسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

انا لله وانا اليه راجعون

بعميق الحزن وبالغ الاسى تلقينا نبأ وفاة استاذنا الحبيب ومربينا الكبير

الدكتور مصطفى السباعي تغمده الله بواسع رحمته ، وأسكنه فسيح جنانه وتقبل صالح أعماله ، وجعله من المقبولين المقربين ، والحقه بالصديقين والشهداء والصالحين .

اختاره الله الى جواره فنعم الجوار ، وبشراه حين تقول له ملائكة الرحمن (نعم عقبى الدار) .

فلله ما أخذ ولله ما أبقى ، كل شيء هالك الا وجهه ، وكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام .

لقد فقد العالم الاسلامي بموته ــ رحمه الله ــ اماما من أئمة العصر أثابه الله كل خير على حياة ملؤها الجهاد المشرف المستمر الذي لم يعرف الفتور على توالي المحن .

وفقدت دعوة الاخوان بذلك قائدا أمينا ، ومجاهدا كبيرا ، وفارسا معلما ، قل أن يجود الزمان بمثله فحق للاخوان أن يذرفوا الدمع سخيا على فقيدهم وفقيد العاملين للاسلام في كل مكان . عليه رحمة الله ورضوانه .

بغصة وألم ارفع لك يا أخي باسمي واسم اخواني عبرات العزاء .

ميونيخ ــ ألمانيا الغربية **عنهم أخوك غالب**

رسالة الطلبة المسلمين في أوربا

كل نفس ذائقة الموت ــ انا لله وانا اليه راجعون

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

نبأ وفاة الدكتور مصطفى السباعي هز مشاعر الطلبة المسلمين في أوربا تلقينا النبأ بحزن شديد على الاستاذ المربي ، انه من خير قواد الحركة الاسلامية في هذا القرن ، رحمه الله كان اماما حركيا لا يعرف الهدوء الا في سبيل الله ، علمنا أن لا راحة للمؤمن الا بلقاء الله .

نرجو الله عز وجل مبتهلين اليه بقلب خالص ، أن يجمع المرحوم مع الصديقين والشهداء وحسن اولئك رفيقا .

بفقده خسر العالم الاسلامي أحد قادته المخلصين الذين لا يخافون في الله لومة لائم ، ولم يعرفوا في حياتهم الا الديناميكية في العمل ، كان مثالا حيا للمؤمن الصادق .

رحمه الله ، وهذه سنة الله في خلقه ، لا تبديل لها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

آخن ــ المانيا الغربية **عنهم اخوكم**

برقيات ... برقيات ... برقيات

برقية الاستاذين الندوي والانصاري

● ان وفاة لدكتور السباعي صدمة عنيفة لكل العاملين لقضية لاسلام والمسلمين تغمد الله روحه النبيلة وألهم عائلته وأصدقاءه الصبر .

جنيف أبو الحسن الندوي ـ ظفر الانصاري

برقية الاستاذ المودودي

●حزنا أشد الحزن لوفاة الاستاذ الدكتور مصطفى السباعي ، تغمد الله الفقيد برحمته وألهم عائلته وكل العاملين في الحقل الاسلامي الصبر .

باكستان أبو الاعلى المودودي

برقية السفارة الجزائرية بدمشق

● تلقينا بمزيد من الاسى والحزن نبأ وفاة فقيد العروبة والاسلام المجاهد العلامة الدكتور مصطفى السباعي ولا يسعنا في هذه المناسبة الاليمة الا الترحم على روح الفقيد والتضرع الى الله العلي القدير أن يتغمده برحمته الواسعة ويلهم عائلته الكريمة الصبر والسلوان .

القائم بأعمال سفارة الجزائر بدمشق

برقية السفارة التونسية بدمشق

● بقلب مفعم بالحزن والاسى أشاركم في مصابكم الجليل داعيا الله تعالى أن يلهمكم الصبر والسلوان وأن يسكن الفقيدفراديس الجنان ويتغمده برحمته الواسعة .

المنصف الصخيري
القائم بأعمال السفارة التونسية بدمشق

برقية رئيس جامعة حلب

● حز في نفوسنا المصاب تغمد الله الفقيد برحمته وألهمكم وأسرة التعليم العالي الصبر والسلوان .

رئيس جامعة حلب

برقية عميد وأساتذة كلية الهندسة بجامعة حلب

● عميد وأساتذة كلية الهندسة بجامعة حلب يقدمون اليكم أحـر التعازي بوفاة المرحوم الزميل الدكتور مصطفى السباعي تغمده الله برحمته.

عميد وأساتذة كلية الهندسة
بجامعة حلب

برقية الدكتور معروف الدواليبي

● لقد فجعنا بوفاة الاستاذ الجليل السباعي فنبعث اليكم ولجميـع أسرته بأخلص التعازي ورحم الله الفقيد .

بيروت **معروف الدواليبي**

برقية الاستاذ نهاد القاسم

● فجعنا نبأ وفاة الاخ الحبيب تغمده الله بالرحمة الرضوان وألهمكم ومحبيه الكثيرين جميل الصبر والسلوان .

بيروت **نهاد القاسم**

برقية الزرقا والترابي ومحمد صالح عمر

● مصيبتكم مصيبة المسلمين كافة بفقد بطل الدعوة الاسلامية المعاصرة أثاب الله الفقيد العظيم وعوض الامة .

السودان **مصطفى الزرقا ، محمد صالح عمر ، حسن الترابي**

برقية الشرباصي

● أحسن الله عزاءكم .

القاهرة **احمد الشرباصي**

برقية الشيخ محمد نصيف

● علمت بوفاة الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله ، وقد حزنت على فقده لان ليس له خلف من بعده في علمه وتدينه ومؤلفاته ومجلته حضارة الاسلام ، وعوض الله الاسلام بأمثاله واني أعزيكم وأعزي من يعزى فيه تغمده الله برحمته .

جدة **محمد نصيف**

برقية الشيخ قاسم الدرويش

● السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فقد سمعت اليوم بوفاة

فضيلة الشيخ العالم الجليل المرحوم مصطفى السباعي ، فبذالك أقدم لكم ولجميع الاخوان والمشايخ أحر التعازي سائلا الله عز وجل أن يتغمده بواسع رحمته وفضله ، كما أكرر الرجاء بالانابة عني بتعزية أقاربه وذويه والمحبين اليه والسلام عليكم ورحمة الله .

قطر **الشيخ قاسم الدرويش**

● رحم الله العالم الاسلامي والمفكر الكبير أستاذنا السباعي ولم يكن فقده بقاصر عليكم وانما هي فجيعة العالم الاسلامي بأسره أمطر الله على قبره سحائب الرحمة ولنا جميعا الصبر وانا لله وانا اليه راجعون .

السودان **موسى أبو زيد**
رئيس نادي واد مدني الثقافي

● فقد أبي حسان هو الخطب الجلل الى جنان الخالدين مع الشهداء الصادقين ولا حول ولا قوة الا بالله .

لبنان **نبيل الطويل**

● نعزيكم بفقيد الاسلام أحسن الله مثوبته وعوض المسلمين خيرا .

بيروت **محمد نمر الخطيب ـ حمدي الذهبي**

● حزننا شديد لوفاة فقيدنا الكبير ألهمكم الله الصبر .

القاهرة **عبد الكريم عثمان**

● ان القلب ليخشع والعين لتدمع وانا عليك يا مصطفى لمحزونون تغمدك الله برحمته وعوضك الجنة وألهم أسرتك واخوانك والامة الصبر والسلوان .

باسم مفاتي محافظة حلب وعلمائها
مفتي حلب محمد بلنكي

● مصابكم الاليم مصيبة المسلمين عامة ألهمنا الله واياكم الصبر والسلوان وأنزل على جدث الراحل العظيم سحائب الرحمة والغفران انا لله وانا اليه راجعون .

حلب **محمد النبهان**

● لستم أنتم الذين فقدتم السباعي فحسب وانما أصيب به المسلمون كل المسلمين الذين أدهشهم جهاده وأغناهم علمه وأضاء لهم فقهه طريق المعركة ضد معسكر الكفر لقد كان ركنا من أركان الدعوة الاسلامية في

العصر الحديث وسيبقى مثلا رائعا لقادة الركب الاسلامي الزاحف نحو الحكم بالقرآن رضي الله عنه وأرضاه وأنزله مع الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا .

بغداد **حمدان طوقان**
رئيس قطاع الكرخ لنقابة المعلمين

● تلقينا بمزيد الاسف والحزن نبأ وفاة فقيد المسلمين المرحوم الدكتور مصطفى السباعي اننا نعتبر فجيعتكم فيه فجيعة الامة برائد من رواد الفكر والجهاد في سبيل الدعوة نسأل الله العظيم أن يتغمده برحمته ويلهمكم وايانا الصبر .

طرابلس **جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية**
نائب الرئيس سميح مولوي

● كان لنعي الاستاذ أثر بالغ من مقدري فضله واصلاحه وانتاجه تغمده الله بواسع رحمته وعوض المسلمين عنه خيرا وألهم الجميع الصبر .

القدس **عبد الحميد السائح**
رئيس محكمة الاستئناف الشرعية

● نقدم أصدق التعزية بفقد الاستاذ الجليل الشيخ مصطفى السباعي مقدرين عظم الخسارة العلمية والوطنية بفقده تغمده الله برحمته الواسعة وأحسن عزاءكم وعوض الامة خيرا .

بيروت **الهيئة العربية العليا لفلسطين**

● تعازينا القلبية بوفاة أخينا الدكتور مصطفى سائلين المولى جل جلاله أن يتغمده برحمته ويلهمكم الصبر وانا لله وانا اليه راجعون .

الكويت **عبد الله العلي المطوع**

● وفاة العلامة الدكتور مصطفى السباعي خسارة فادحة للاسلام والعروبة والعلم فله عند ربه خير الجزاء ولآله ومحبيه الصبر والعزاء .

حمص **نظير زيتون**

● الآن بلغنا وفاة الاستاذ فقيد الاسلام والعلم والتضحية نشاركم الاحزان راجين للفقيد الرحمة ولكم العزاء .

حلب **صلاح باقي واخوانه**

● المصاب جلل يعز فيه العزاء نشاطركم الاسى ونسأل الله أن يتغمد الفقيد العزيز بالرحمة والغفران .

حلب **عميد كلية الحقوق وأساتذتها**
محسن شيشكلي

● لكم الصبر والاجر وللفقيد رضوان الله وانا لله وانا اليه راجعون .

حلب **الاختان عائلة الاميري وابو غدة**

● باسم اخواننا وأهلينا وباسم اخلاصنا ومحبتنا وباسم الوفاء والاخاء نقدم تعازينا القلبية ، والله لقد فجعنا جميعا ولولا أن موته قضاء الله تعالى لافتديناه بنفوسنا ولكن الله سبحانه اختاره الى جوار نبيه الكريم وقبضه الى ثوابه ليكافئه على صبره وجهاده وصدقه واخلاصه ووفائه ولا نقول الا ما يرضي ربنا انا لله وانا اليه راجعون .

بيروت **رفيق سنو**

● انتقال العالم الكبير أدمى القلوب للفقيد الرحمة ولكم طول البقاء .

حمص **أسرة القسيس بفيروزة**

● كان لفقيد الامة الاسلامية بالغ الاثر في نفوسنا نقدم تعازينا ونرجو للفقيد الرحمة .

عنبتا **الشباب المسلم**

● ما أشدها من صدمة حينما سمعت نبأ وفاة الدكتور مصطفى السباعي لانها خسارة لا تعوض لي وللآلاف الاصدقاء والطلاب ، أرجو أن تقبلوا التعازي الاخوية الخالصة تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جنانه .

لاغوس : **كامل الشريف**

● حزنت أشد الحزن لسماع هذا الخبر المفجع تغمد الله هذه الروح الطاهرة وألهم عائلته المفجوعة وألهمنا جميعا الصبر والسلوان ازاء هذه الخسارة .

جنيف **سعيد رمضان**

● فجعنا لوفاة شقيقكم العزيز للفقيد الرحمة ولكم وللاسرة الصبر .

القاهرة **محمود خالد وحرمه**

● تألمت للخطب الجلل ألهمنا واياكم الصبر .

القاهرة **عبد المولى السعيد**

● نكبة العالم الاسلامي بوفاة الدكتور مصطفى السباعي فاجأنا بالالم المرير الرحمة الغامرة للفقيد والعزاء الجميل لكم .

القاهرة **سعيد البوطي**

● من قلب يفيض بالاسى والحزن للمصاب الفادح أشاطركم الاحزان للفقيد الرحمة ولكم الصبر .

القاهرة **عبد الباري عمرو**

● نشاطركم الاحزان للفقيد الرحمة ولكم الصبر .

مصر الجديدة **عبد الكريم طليمات**

● للفقيد الرحمة ولكم خالص العزاء .

اسوان **فاضل عبد الحليم**

● أعزيكم وللفقيد الرحمة والغفران .

القاهرة **محاسب حسني خليل**

● المصاب عظيم بوفاة المرحوم مصطفى صبرا جميلا .

القاهرة **احمد طليمات وعائلته**

● انا لله وانا اليه لراجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم خسارة المسلمين عامة وآل السباعي واخوانهم خاصة خسارة لا يعوضها الا الاثر العظيم الذي تركه أستاذنا المربي الكبير المرحوم الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله وأوسع له فسيح جنانه والهم آله واخوانه الصبر والسلوان .

بيروت **هاشم جمال الدين**

● نشاركم أحزانكم للفقيد الرحمة ولكم طول البقاء .

بيروت **برهان الدين البعلبكي**

● أعظم الله أجرنا جميعا في فقيد العلم والشريعة ورجل الفضل والجهاد مصطفى السباعي الذي يزيد من فجيعتي به أن ترغمني الموانع على التخلف عن شهوده وتقبل العزاء به عوضنا الله خير عن مصابه وأنزله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

بيروت **عبد الحكيم عابدين**

● نشاطركم العزاء لوفاة المرحوم مصطفى السباعي تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنانه .

بيروت **عبد الفتاح كسيبي**

● بلغنا النبأ المروع بفقد العالم الاسلامي مجاهدا من أفضل المجاهدين ومفكرا من قادة الفكر الاسلامي في العصر الحديث ان لله ما أخذ وله ما أعطى ونسأل الله له الرحمة والغفران ولا حول ولا قوة الا بالله .

الرياض

عبد الرزاق العفيفي ، مناع القطان ، تيسير العيتي ، عاصم البيطار ، محمد الصباغ ، عمر عودة الخطيب ، علي الهاشمي ، عبد القدوس أبو صالح ، مصطفى الخن ، عبد الرحمن الباشا ، عبد الفتاح الغندور، غالب سكر ، أحمد مختار البزرة .

● بمزيد الاسى واللوعة تلقينا النبأ المحزن بوفاة فقيدنا الغالي المرحوم الشيخ مصطفى السباعي أعانكم الله وأعظم أجركم .

الرياض **عبد الجليل السباعي**

● بلغنا ما أساءنا نرجو للفقيد الرحمة ولكم الصبر .

مكة المكرمة **محمد مكي المطوف**

● الجنة لاخي والصبر للعائلة والوالدة والاخوة وانا لله وانا اليه راجعون .

مكة المكرمة **خير الله هيثم**

● المصاب جلل بفقيد الجميع الدكتور السباعي .

العراق ــ البصرة **غازي السامرائي**

● انا لله وانا اليه راجعون تلقينا بمزيد الاسى والحزن نبأ وفاة أستاذنا الكبير فضيلة السباعي ألهمنا الله واياكم الصبر والسلوان وتغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته .

بغداد ــ أعظمية **عن أخوانكم في العراق ابراهيم المبارك**
مدير دار النذير

● نعزيكم وأنفسنا بوفاة الاستاذ الكبير تغمده الله برحمته .

الكويت **نبيل سهيل المهايني**

لقد فجعنا بالمصاب الاليم تغمد الله الفقيد برحمته وأسكنه فسيح جنانه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

الكويت **خالد وعلي الحسن**

● وفاة الدكتور السباعي خسارة كبرى افجعت نفوسنا تغمده الله برحمته وألهمكم الصبر والعزاء .

الكويت منير عيسى ــ عادل الهاشمي

● ولدنا حسان مصطفى السباعي والاسرة
عزاءً جميلا لوفاة والدكم المجاهد. رحمه الله والهمكم الصبر وعوضنا عنه.

الدوحــة عبــد البديع شاكر

● فجيعتنا بالاخ الذي ودع والقبس الذي خبا والمجاهد الذي قضى لا يضارعها غير ضراعتنا الى العلي القدير أن يتغمده بواسع رحمته .

عمان مدرسة الاقصى ــ علي مريج

● نعزيكم ونعزي أنفسنا بالاخ الكريم فقيد العلم والفضل ومبتهلين **الى الله تعالى أن يتغمده برحمته ويعوضنا خير العوض وانا لله وانا اليـه** راجعون .

نابلس محمد الماجد ، مشهور ضامن

● الخطب جلل والمصاب عظيم عوض الله المسلمين عن فقيدنا الغالي وألهمنا واياكم الصبر الجميل .

عمان منصور الحياري ، سليمان العربيات

● **نعزيكم ونعزي العالم الاسلامي بفقد قائد من قادة الفكر الاسلامي** وبطل من أبطال حملة الدعوة الاسلامية الدكتور مصطفى السباعي ، من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ، وانا لله وانا اليه راجعون .

الخليل الهيئة التدريسية في مدرسة الحسين بن علي الثانوية

● تلقيت نبأ وفاة أخي مصطفى بمزيد من الحزن والاسى ، تغمـده الله برحمته وألهمنا واياكم الصبر الجميل .

نابلس عبد اللطيف الرشيد

● عم الحزن والاسى نفوسنا حينما علمنا بوفاة القائد المصلح والمربي الكبير فالى الفقيد الراحل جنـة الخلد ، والى عائلته وأصدقائـه الصبر والسلوان .

حلب المهندس كاظم أخرس

● وفاة الدكتور السباعي خسارة كبرى افجعت نفوسنا تغمده الله برحمته وألهمكم الصبر والعزاء .

الكويت **منير عبيسي ـ عادل الهاشمي**

● ولدنا حسان مصطفى السباعي والاسرة

عزاءً جميلا لوفاة والدكم المجاهد. رحمه الله والهمكم الصبروعوضنا عنه.

الدوحـة **عبـد البديع شاكر**

● فجيعتنا بالاخ الذي ودع والقبس الذي خبا والمجاهد الذي قضى لا يضارعها غير ضراعتنا الى العلي القدير أن يتغمده بواسع رحمته .

عمان **مدرسة الاقصى ـ علي مريج**

● نعزيكم ونعزي أنفسنا بالاخ الكريم فقيد العلم والفضل ومبتهلين **الى الله تعالى أن يتغمده برحمته ويعوضنا خير العوض وانا لله وانا اليـه** راجعون .

نابلس **محمد الماجد ، مشهور ضامن**

● الخطب جلل والمصاب عظيم عوض الله المسلمين عن فقيدنا الغالي وألهمنا واياكم الصبر الجميل .

عمان **منصور الحياري ، سليمان العربيات**

● **نعزيكم ونعزي العالم الاسلامي بفقد قائد من قادة الفكر الاسلامي** وبطل من أبطال حملة الدعوة الاسلامية الدكتور مصطفى السباعي ، من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ، وانا لله وانا اليه راجعون .

الخليل **الهيئة التدريسية في مدرسة الحسين بن علي الثانوية**

● تلقيت نبأ وفاة أخي مصطفى بمزيد من الحزن والاسى ، تغمده الله برحمته وألهمنا واياكم الصبر الجميل .

نابلس **عبد اللطيف الرشيد**

● عم الحزن والاسى نفوسنا حينما علمنا بوفاة القائد المصلح والمربي الكبير فالى الفقيد الراحل جنـة الخلد ، والى عائلته وأصدقائـه الصبر والسلوان .

حلب **المهندس كاظم أخرس**

● لقد هز مشاعر الامة الاسلامية فقدها عالما من أجل علمائها الابرار الدكتور السباعي نسأل الله سبحانه أن يتغمده برحمته ورضوانه ويجزيه عنا خير الجزاء فللفقيد منا أحر الدعاء ولاسرته الصبر والسلوان .

المحامون بحلب

صدقي البرازي ، عبد الله البني ، بهاء الراشد ، عمر بلال ، عبد العزيز شماع ، عمر شماع ، قدري فيض الله ، أسعد جلب ، نديم بوادقجي ، شهاب الدين موصللي ، محمد عنجريني ، عبد الرحمن قردحمود ، زهير مرتيني .

● آلمنا وأحزننا فقد الدكتور مصطفى السباعي نسأل الله لاهله العزاء وله فسيح الجنان .

حلب **اسماعيل مزيك**

● بلغنا بمزيد الاسى وفاة الفقيد الغالي نسأل الله له مقعد صدق في جنة النعيم وألهمنا واياكم الصبر .

حلب **أبناء محمد سباعي**

● فجيعة الاسلام الكبرى بفقيده المجاهد الكبير المرحوم مصطفى السباعي كانت كارثة على الامة والاسلام عوض الله به الاسلام خيرا ، وعزاؤنا للجميع .

حلب **عبد الوهاب الالتنجي**

● مصابنا كبير بفقيد الاسلام .

حلب **عامر الخطيب**

● كان لنعي الفقيد الكبير الدكتور الشيخ مصطفى أبلغ الاسى وأشد الحزن رحم الله الفقيد وأسكنه فراديس الجنان وألهمكم الصبر والسلوان.

حلب **عبد الباسط خلف**

● مصابنا في أستاذنا وأخينا أليم وفادح . ستبقى الشعلة التي أوقدها في قلوبنا تنير لنا الطريق ، نسأل الله أن يكلأه برعايته ويسكنه فسيح جناته وأن يلهمكم وايانا الصبر .

حلب **أختكم نادرة شمنن**

● أصدق التعازي لكم وللعائلة ، للفقيد الجنة ولكم الصبر والسلوان .

حلب **هيثم وصادق الاخرس**

● نشاطركم الاسى للفقيد الرحمة والرضوان ولكم جميل الصبر والسلوان .

حلب **راتب ونذير السباعي**

● جل الرزء وانصدعت القلوب لوفاة رجل الاسلام مصطفى السباعي. فقده فاجعة المسلمين والايمان يمنع الجزع ، نشاطركم الاسى راجين للفقيد الرحمة ولكم الصبر وللامة العوض بذريته المباركة .

ادلب **وحيد جحا ، نافع الشامي**

● وفاة المرحوم الاستاذ مصطفى السباعي خسارة للاسلام لا تعوض نعزيكم وندعو الله أن يلهمكم الصبر والسلوان ويتغمد الفقيد بالرحمة .

حماة **عز الدين وخالد عرواني**

● نقدم لآل السباعي والطباع أحر التعازي بالفقيد الغالي له الرحمة ولكم جميل الصبر والسلوان .

حماة **عبد القادر سلطان ، عبد الحميد عرابي**

● أقدم تعازي القلبية للفقيد الغالي الرحمة ولكم الصبر والسلوان .

حماة **عبد الكريم السماعاتي**

● فقد الاستاذ السباعي مصاب أليم وخطب جلل روع القلوب وحز في النفوس ، ألهمنا الله الصبر والسلوان وسدد الخطى .

حماة **بديع عدي**

● تعازينا بوفاة أستاذنا الكبير الدكتور مصطفى السباعي ، رحم الله فقيدنا العزيز وألهمكم الصبر والسلوان .

حمص **سليمان الجرايحي**

● نتقدم بأحر التعازي بالفقيد العظيم الراحل ، له الرحمة ولكم الصبر والسلوان .

حمص **محمد نديم السباعي وولده عبد الرافع**

● تعازينا بفقيد البلاد زين الشباب ، المصيبة فادحة والخطب جلل ألهمكم الله لصبر .

حمص **أحمد كسيبي وولده وعقيلته**

● مصابكم جليل وخسارة للاسلام والمسلمين نشاركم الاسى لفقدان شقيقكم المرحوم الدكتور مصطفى السباعي ، للفقيد الرحمة ولآله الصبر .

حمص **محمد ألفين ، عبد الحليم الحجة ، حافظ ألفين**

● آلمنا مصاب الامة بالفقيد الغالي الصبر لكم وللفقيد الجنة .

حمص **الدكتور أنيس المصري**

● بقلب منفطر أتقدم بأحر التعازي بفقيد العرب والاسلام برغمي تأخرت عن مشاركتكم للفقيد الرحمة ولكم ولي الصبر .

حمص **عبد المؤمن الشيخة**

● نقدم تعازينا للفقيد الكبير ونرجو له الرحمة ولكم الصبر .

حمص **محمد سيادي المراد**
قاضي حمص الشرعي

● تعازينا القلبية للفقيد الرحمة ولكم الصبر والسلوان .

حمص **ابنا عارف دراق**

● بفقد المرحوم الدكتور مصطفى السباعي فقدت الامة العربية والاسلامية ركنا من أركانها اهمكم الله الصبر وله من الله الرحمة والجنة .

حمص **نور الدين سلقيني ، عبد الوارث الطرشة**
سري الزين ، نفعي الزين

● وفاة الفقيد خسارة لنا ولكم وللعالم الاسلامي للفقيد الجنان ولكم الصبر والسلوان .

حمص **عبد الرحيم ريشة ، خلدون اليافي**
أحمد نادر الاتاسي ، معن الملوحي

● نشارككم الاسى للفقيد الرحمة .

تدمر **عبد الله المادون**

● مشيئة الله لا ترد ليس لنا الا الصبر فهو ذريعة من آمن واحتسب لفقيدنا الرحمة ولا حول ولا قوة الا بالله .

اللاذقية **لؤي بستنجي**

● أشاطركم الاسى والاسف .

اللاذقية **محمد أهدلي**

● نشارككم الحزن والاسى لفقيدكم وفقيد العروبة والاسلام فله الرحمة ولكم الصبر والسلوان .

دير الزور **فاضل كرك**

● نشارككم الحزن والاسى لفقيدكم الراحل ، له الرحمة ولكم الصبر والسلوان .

دير الزور **احمد كدرو ، سعيد عكاوي**

● تلقيت ببالغ الاسى نبأ وفاة المرحوم الاخ مصطفى السباعي نرجو من الله أن يتغمده برحمته ويسكنه فسيح جنانــه وأن يلهمكم الصبــر والسلوان .

دير الزور **ثابت غريب**

● نعزي العالم الاسلامي بفقد علم من أعلامه قضى حياته مجاهــدا فنال شرف الشهادة رحمه الله وغفر له وألهم ذويه واخوانه الصبر .

دير الزور **احمد الصالح**

● المصاب مشترك نقدم تعازينا ولنا بكم وبآثار الفقيد خلف صالح في جوار الله مع المجاهدين الاخيار .

دير الزور **حسين السراج**

● آلمنا مصابكم للفقيد الغالي الرحمة والجنان ولكم الصبر والسلوان انا لله وانا اليه راجعون .

دير الزور **عبد الوارث الطرشة ، محمد الديري**

● عظم المصاب بفقد من حمل آلام أمة وآمالها واذ نتعزى بمقامــه في الجنان فاننا لا نجد العزاء بأنفسنا لشدة الصدمة بفقده وثقل الامانة بعده رحم الله الفقيد وغفر له وألهم آله والاخوة الصبر والسلوان .

دير الزور **مصطفى الخالد**

● باسم الله الرحمن الرحيم انا لله وانا اليه راجعون ، شباب القافلة المؤمنة بالميادين الذين عاهدوا الله مع الفقيد المرحوم الدكتــور مصطفى السباعي على السير في طريق الاسلام حز في نفوسهم وآلمهم نبأ وفاته الذي هو خسارة للاسلام والعلم والمعرفة لكم الصبر ، واسكن الله الفقيد فسيح جنانه .

ميادين **عبد الرحمن عبد الرحمن**
عطا الله الحافظ ، عبد الغني الرحبي

● بسم الله الرحمن الرحيم انا لله وانا اليه راجعون ، كان لنبأ وفاة المرحوم مصطفى السباعي أوقع الاثر وأعمق الحزن في نفوسنا أسكن الله الفقيد الجنان ولاخوانه ولذويه الصبر والسلوان .

الميادين **علي العوجان ، شكور مرير ، محمد الفيروز**

● بسم الله الرحمن الرحيم يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ، يا خسارتنا بموت فقيد الاصلاح مصطفى السباعي ، فانا لله وانا اليه راجعون اللهم اسكنه فسيح جناتك وألهمنا وآله الصبر والسلوان .

الميادين **بدر الدين طــه**

● بسم الله الرحمن الرحيم انا لله وانا اليه راجعون . تبلغنا وفاة المرحوم الدكتور مصطفى السباعي ببالغ الاسى والحزن ونحن اذ نجدد العهد لروح الفقيد على المضي في الطريق التي سار عليها نرجو الله له الرحمة ولذويه ولاخوانه الصبر والسلوان .

الميادين **خضر مرير ، عبد الفتاح صويحي ، كمال مشوح**

● المصاب الاليم بفقدان المغفور له المرشد مصطفى السباعي خسارة كبرى للعالمين العربي والاسلامي تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنانه مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن اولئك رفيقا .

أبو كمال **عبد الكريم الجوغان**

● ان وفاة الدكتور مصطفى السباعي آلمتنا وهي فاجعة حلت بالمسلمين نشاطركم الاسى وللفقيد الرحمة والغفران .

أبو كمال **عطا الله الزرزور**

● خسارتنا بالفقيد الكبير الاستاذ الحبيب الدكتور مصطفى السباعي خسارة لا تعوض لانه كان الصوت المعبر عن آلام الشعب وآمانيه .

دمشق **محمد أكرم معراوي**

● آلمنا مصابكم للفقيد الرحمة ولكم العزاء .

طرابلس الشام **فوزية عبد الباري**

آلمنا المصاب للفقيد الرحمة ولكم الصبر والسلوان .

دمشق **عبد الحميد الحلو**
السجن المدني

شكر على التعازي

الهيئات الاسلامية والعلمية التي نعت الفقيد الدكتور مصطفى السباعي ، واسرته واخوانه يتقدمون بخالص الشكر لجميع من تفضل بمشاركتهم أحزانهم في مصابهم الجلل ، سواء بالحضور أو بارسال البرقيات والرسائل ، ضارعين الى الله سبحانه أن يقيهم المكاره ، ويثيبهم خيرا ويفيض للاسلام رجالا بررة يحملون الامانة ويؤدون الرسالة ، ويتولى الفقيد الغالي برحمته ورضوانه .

وانا لله وانا اليه راجعون .

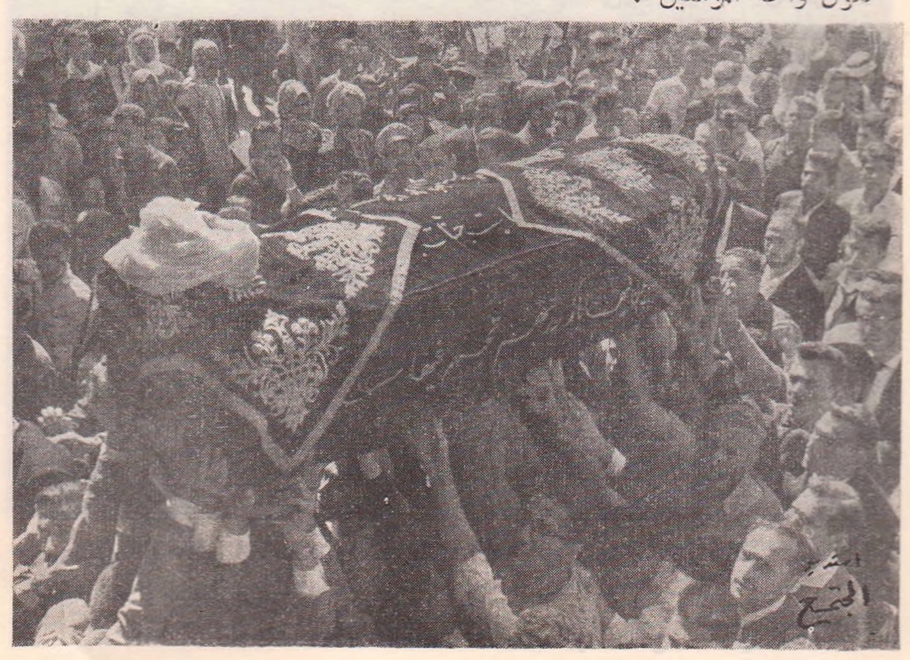
مصطفى السباعي في ذمة الرحمن وبين أيدي الخلود

دمشق تزحف لوداع فقيد الاسلام العظيم وتعاهده على الوفاء لدعوته

في الساعة الثانية عشرة ظهر يوم السبت السابع والعشرين من جمادى الاول سنة ١٣٨٤ هـ الموافق للثالث من تشرين الاول عام ١٩٦٤ م انطفأت شعلة مضيئة من العلم والخلق والجهاد ، وانطلقت الى بارئها روح طاهرة وثابة نشأت على معاني الكفاح منذ نعومة أظفارها .. هي روح مصطفى السباعي ..

ولقد روع هذا النبأ المفجع دمشق فوجم كل الذين سمعوه حيارى لايكادون يصدقون .. وروعت سورية كماروع العالمان العربي والاسلامي بنعي الرجل العظيم الذي قضى نحبه ظهر ذلك اليوم .

كان الفقيد الكريم قد عاد قبل مدة قصيرة من زيارته الاخيرة لارض الامجاد والمقدسات كما كان يتهيأ مجددا لجولة قريبة في سبيل العقيدة والعلم ولكن القدر لم يمهله فغير له طريق السفر ونقله نقلة بعيدة الى حيث تكون واحة المؤمنين .



وفور انتشار النبأ بدأت الآثار الاولى تنعكس بمظاهر الكارثة فاهتز اثير البرق والهاتف يحمل النبأ الاليم .. وقد نعى الفقيد الكبير الى الشعب كل من رابطة العلماء وجامعة دمشق وأعضاء الهيئة التدريسية في كليتي الشريعة والحقوق والهيئات الاسلامية والشباب المسلم وآل الفقيد كما نعته الاذاعات العربية والعالمية مع ذكر نبذة عن حياته وجهاده ، وسجي جثمانه الطاهر بانتظار تشييعه في اليوم التالي فظهرت أكثر الصحف في العالمين العربي والاسلامي تحمل الى قرائها الخبر المفجع .. وما أن أطلت شمس اليوم التالي حتى بدأت الجماهير والوفود التي جاءت من مختلف المحافظات والبلاد المجاورة تتوافد الى بيت الفقيد لتلقي النظرة الاخيرة على القائد الراحل وتودعه الوداع الاخير ولتشارك تشييعه الى مثواه الاخير.

ولم تتح الظروف وعوامل السرعة والزمن المجال لوفود أخرى من العالم العربي والاسلامي أن تشارك في تشييع جثمان الراحل العظيم .. وما ان أزفت الساعة الحادية عشرة من اليوم نفسه حتى غصت الشوارع والساحات المحدقة بمنزل الفقيد بألوف الحاضرين والمشيعين ..

وقبل أن يبدأ موكب الجنازة سيره حيى الجثمان الطاهر علماء الامة وأخوان الفقيد واصدقاؤه وألقوا على وجهه المكفن بالجلال نظرة الوداع .

وقد بدأ الموكب سيره تتقدمه السيارات التي تحمل أكاليل الزهور باسم ممثلي الدول العربية والاسلامية في دمشق وباسم مختلف الجمعيات والهيئات الاسلامية .. وسار في المقدمة سفراء البلاد العربية والاسلامية والعلماء وأساتذة الجامعة وممثلو الهيئات وأهل الفكر والمثقفون والشباب المؤمن الحزين الذي فقد قائده ورائده .. وقد ارتفع النعش على اذرع الشباب الذين أثارتهم الفاجعة فخرجوا باندفاع على الترتيب المهيأ لسير الجنازة . وساروا بها في شوارع دمشق الكبرى ، بعد أن كان مقررا أن يكون التشييع بالسيارات الى مدخل الحميدية فيحمل من هناك الى مسجد بني امية الكبير للصلاة عليه .. وأثناء سير الموكب في شوارع دمشق لم تمتلك الجماهير عبراتها ومشاعرها واندفعت تظهر هذه المشاعر فارتفع صوتها بالتهليل والتكبير وكلمات الوداع فكنت تسمع : **في ذمة الله ياسباعي الى رحاب الله يا سباعي لا اله الا الله السباعي حبيب الله ــ على طريقك يا سباعي موكبا بعد موكب نحن على العهد يا رائد الجيل .. اللهم انا نشهد وهذه الجموع تشهد ان السباعي أدى الامانة وبلغ الرسالة وسار على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا الامة الى ربها ، اللهم ارضى عنه فانا عنه قد رضينا .**

وهكذا توالت الصرخات الباكية المؤثرة التي ترتفع بمعاني الاجلال





والوفاء والفجيعة ، بينما كان الناس يبدون في الشوارع وكأن كلا منهم قد ألمت به المصيبة ، حتى الذين وقفوا يتابعون الموكب على جنبات الشوارع كانت عيونهم دامعة ووجوههم واجمة حزينة ..

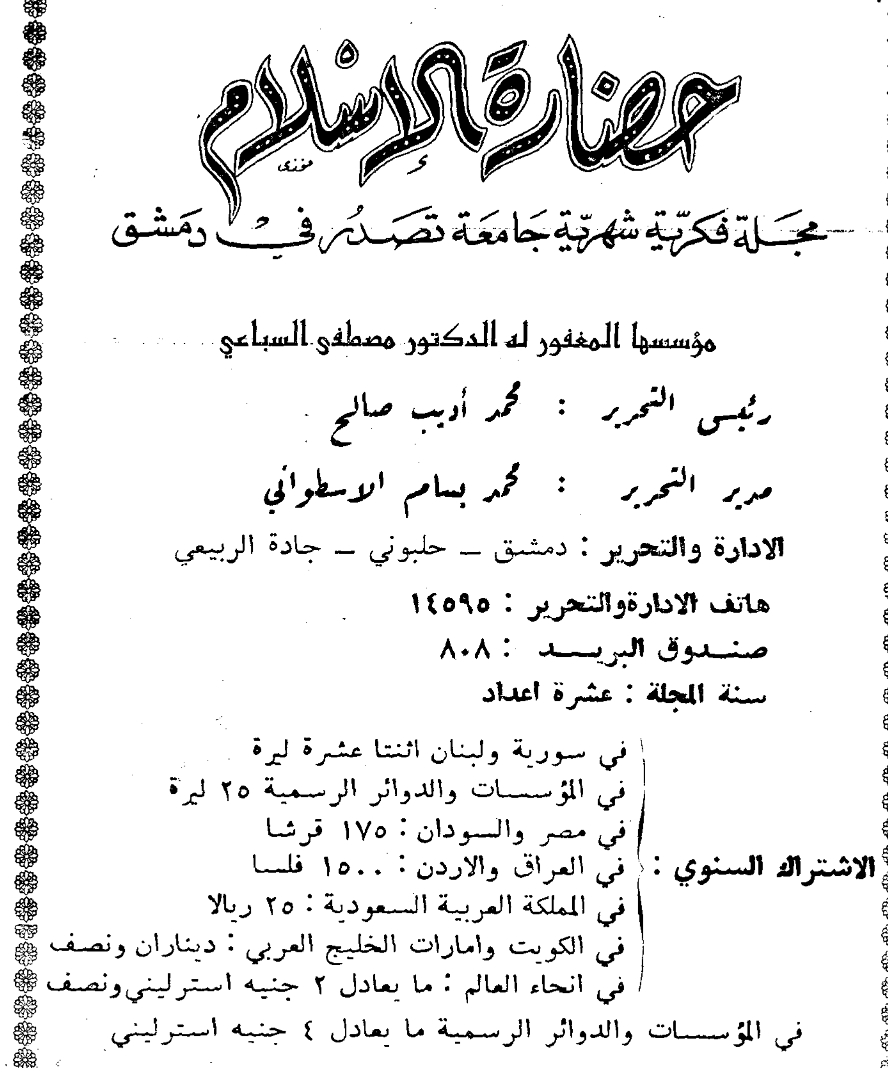
وعند وصول الموكب الى سوق « الحميدية » كانت متاجر السوق قد أقفلت أبوابها وشارك أصحابها في مسيرة الجنازة حتى وصلت الى مدخل المسجد الاموي فانضمت اليها الجماهير التي كانت تنتظر في مدخل المسجد وساحته الكبرى ، وهنا بلغ الانفعال غايته وغدا الموقف مؤثرا لدرجة شديدة ، وفي جو هذا التأثر أقيمت للجنازة صلاة لم تشهدها دمشق منذ زمن طويل ، فقد غص المسجد الاموي على اتساعه بالوف المصلين . .

وبعد أن أديت صلاة الجنازة ارتفع نعش الراحل الحبيب على أكف الشباب الذين أحاطوا به من كل جانب ووسط دوي الصرخات الباكية وهتافات التكبير والدعوة ، خرج النعش المحمول على الاكف من باب المسجد الاموي الكبير مخترقا سوق الحميدية في تظاهرة مهيبة عظيمة. وتابع الموكب سيره حتى خرج من سوق الحميدية الى سوق الدرويشية فباب الجابية وعندما تجاوز النعش باب الجابية كان المشيعون ما يزالون يتدافعون من المسجد الاموي . . ولما وصل الموكب الى مقبرة باب الصغير حيث يرقد فيها صفوة أهل التقوى والايمان من العلماء والاولياء السابقين من أهل دمشق ، وظهرت تلك الحفرة التي ستضم ذلك الجسد الطاهر بلغ الانفعال ذروته وانسكبت الدموع من العيون المفجوعة تروي التراب الذي سيضمه . . وتعالت الاصوات تسأل الله للفقيد أعلى المراتب في جنات الخلد وأن يجعله حيث كان يتمنى مع سيد المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام ومع اخوانه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . . كما تسأل الله الثبات على العهد وأن يعوض الاسلام والامة عنه بخير عوض . . ورددت أصوات الآلاف من الشباب قسم العهد بالثبات والوفاء للدعوة الاسلامية التي حمل السباعي لواءها . . ولم تهدأ الاصوات الا عندما ارتفع صوت أحد الاخوان من وراء مكبر الصوت يقدم الخطباء الذين توالوا على المذياع يؤبنون الفقيد بكلمات مؤثرة يعددون فيها بعض مزاياه وشمائله وقد كان أول المتكلمين الدكتور حسن هويدي ثم الاستاذ محمد المبارك ثم الاستاذ محمد المجذوب ثم الاستاذ مشهور حسن من الاردن ثم الشيخ عبد الرؤوف أبو طوق باسم رابطة العلماء ، ثم الدكتور أديب صالح ــ ثم الاستاذ الشاعر محمد الحسناوي . . وبعد ذلك تقدم المشيعون من آل الفقيد يشاركونهم العزاء ولقد استغرق تشييع الجنازة من بيت الفقيد الى المثوى الاخير مدة أربع ساعات كانت من أشد ساعات العمر وطأة بأحزانها وآلامها وشدتها على الشباب المؤمن الذي رباه الفقيد العظيم . . ومضى بعد ذلك المشيعون وقد أصاب منهم الذهول ما أصاب ونال منهم الشرود ما نال . . . ولكن لئن غاب السباعي بجسده عن دنيانا فهو في قلوب الشباب المؤمن حيٌّ ما دامت الحياة ، وذكراه خالدة خلود الزمان **وانا لله وانا اليه راجعون . . .**

الفهرس

اعتـــذار

نعتذر للاخوة القراء الذين لم يتسع المجال لنشر رسائلهم وبرقياتهم وكلماتهم ونرجو أن نعوض ذلك في الاعداد المقبلة ان شاء الله ، وبالمناسبة فاننا نشكر الجميع على ما أبدوه من صادق العاطفة والرغبة في المساهمة في دفـع المجلـة الى الامام . والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه .



حضارة الإسلام

مجلة فكرية شهرية جامعة تصدر في دمشق

مؤسسها المغفور له الدكتور مصطفى السباعي

رئيس التحرير : محمد أديب صالح

مدير التحرير : محمد بسام الاسطواني

الادارة والتحرير : دمشق ــ حلبوني ــ جادة الربيعي

هاتف الادارة والتحرير : ١٤٥٩٥

صندوق البريد : ٨٠٨

سنة المجلة : عشرة اعداد

الاشتراك السنوي :
- في سورية ولبنان اثنتا عشرة ليرة
- في المؤسسات والدوائر الرسمية ٢٥ ليرة
- في مصر والسودان : ١٧٥ قرشا
- في العراق والاردن : ١٥٠٠ فلسا
- في المملكة العربية السعودية : ٢٥ ريالا
- في الكويت وامارات الخليج العربي : ديناران ونصف
- في انحاء العالم : ما يعادل ٢ جنيه استرليني ونصف

في المؤسسات والدوائر الرسمية ما يعادل ٤ جنيه استرليني

المراسلات : التحريرية والادارية والمالية ترسل باسم المدير المسؤول
محمد بسام الاسطواني

ISLAM'S CIVILIZATION

All - embracing Cultural Monthly

P, O, Box 808

DAMASCUS SYRIA

وكلاء التوزيع

في المحافظات :

حلب : المكتبة العربية لصاحبها محمد التلاليني ـ باب النصر

حمـاه : مكتبة دار الدعوة لصاحبها محمد علي زينو ـ تحت القلعة

اللاذقية : مكتب الوساطة العقارية لصاحبيه سليم وخيرات جولاق ساحة الشيخ ضاهر

ديرالزور: مكتبة دار الفكر لصاحبها ياسين فرج

القامشلي: السيد خالص كنجو

في البلاد العربية :

العراق : مكتبة المثنى لصاحبها قاسم محمد الرجب ـ بغداد ـ

السعودية: مكتبة الثقافة ـ مكة المكرمة
المكتبة السلفية لصاحبها الشيخ محمد عبد المحسن الكتبي باب الرحمة ـ المدينة المنورة ـ
المكتبة السلفية الكبرى لصاحبها محمد المؤيد ـ الطائف ـ
مكتبـة جدة ـ جدة ـ

الكويت : مكتبة المنار لصاحبها الشيخ عبد الرزاق الصالح المطوع

لبنـان : مجلة المجتمع ـ فيصل مولوي ـ طرابلس

قطـر : مكتبـة الثقافة ـ الدوحة ـ

السودان : خرطوم بحري ـ مكتبة الهداية لصاحبها الصديق ابراهيم الصديق
السودان الجنوبي ـ واد مدني ـ مكتبـة الامل لصاحبها موسى أبو زيد

ليبيـا : المكتبة الوطنية لصاحبها محمد الرماح البشينة ـ الزاوية ـ

في دمشق : الشركة القومية للتوزيع

المكتبة الاموية ، وسائر المكتبات الكبرى

مؤلفات الفقيد

١ ــ السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي
٢ ــ اشتراكية الاسلام
٣ ــ المرأة بين الفقه والقانون
٤ ــ من روائع حضارتنا
٥ ــ هكذا علمتني الحياة (القسم الاجتماعي)
٦ ــ أخلاقنا الاجتماعية
٧ ــ أحكام الصيام وفلسفته
٨ ــ القلائد من فرائد الفوائد
٩ ــ شرح قانون الاحوال الشخصية (ثلاثة أجزاء)
١٠ ــ الوصايا والفرائض .
١١ ــ أحكام المواريث
١٢ ــ مشروعية الارث وأحكامه
١٣ ــ أحكام الزواج وانحلاله
١٤ ــ أحكام الاهلية والوصية
١٥ ــ الدين والدولة في الاسلام
١٦ ــ المرونة والتطور في التشريع الاسلامي
١٧ ــ نظام السلم والحرب في الاسلام
١٨ ــ منهجنا في الاصلاح
١٩ ــ أصدق الاتجاهات الفكرية
٢٠ ــ لماذا أخفقت الجامعة العربية
٢١ ــ دعوة الاسلام واقعية لاخيال

كتب معدة للطبع

٢٢ ــ السيرة النبوية تاريخها ودروسها
٢٣ ــ النظام الاجتماعي في الاسلام
٢٤ ــ قانون النفقات في الفقه الاسلامي
٢٥ ــ ابن شهاب الزهري بين المسلمين والمستشرقين
٢٦ ــ العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في التاريخ
٢٧ ــ أبو هريرة بين المحبين والمبغضين
٢٨ ــ هكذا علمتني الحياة (القسم السياسي)

كتب كان ينوي تأليفها وقد بدأ ببعضها

١ ــ نحن والغربيين
٢ ــ الحضارة الغربية مالها وما عليها
٣ ــ أوهام الحضارة الغربية
٤ ــ سراب الشعارات الانسانية
٥ ــ الحرية أين هي ؟ !
٦ ــ الاديان والحضارات
٧ ــ عوامل الفساد في المجتمع العربي والاسلامي
٨ ــ الذين لمستهم روح محمد (ص) من عظماء العرب وغير العرب (جزآن)
٩ ــ كبار الجناة على الانسانية : ماركس داروين ، فرويد
١٠ ــ الاسلام والاستعمار
١١ ــ اسلام الامس
١٢ ــ اسلام اليوم
١٣ ــ اسلام الغد
١٤ ــ ميدان المعركة
١٥ ــ مع العلماء الاولياء
١٦ ــ مع العلماء المجاهدين
١٧ ــ مع العلماء الشهداء

ثمن العدد : ٣ ل.س أو ما يعادلها

المطبعة الهاشمية